



منفج في الاتماء المذهبى

تأليف
صائب عبد الحميد

مركز المعلومات والذكاء الاصطناعي

**منْهَج
في الاتّمام المُذَهّبِي**



حقوق الطبع محفوظة للناشر

اسم الكتاب : منهاج في الانتماء المذهبي

تأليف : صائب عبد الحميد

الناشر : مركز الغدير للدراسات الإسلامية

الطبعة : الخامسة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م

الفلم والزنك : تيزهوش

المطبعة : باقرى

عدد النسخ : ٣٠٠٠



مِنْجَدٌ

فِي الْإِتْنَاءِ الْمُذَهَّبِيِّ

تألِيف
صَاحِبُ عَبْدِ الْحَمِيدِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دُعَاءٌ ..

إِلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى وَآلِهِ الْكَرَامِ
أَتَمْ صَلَاةً، وَأَطَيْبْ سَلَامٌ ..
وَإِلَى أُمِّيْ، وَأَبِيْ

«رَبِّ آزِحْمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا»
وَإِلَى مَنْ عَلِمْنِي بِالْحَقِّ حَرْفًا
رَبِّ أَنَّهُ أَحَسَنَ الْجَزَاءَ ضَعْفًا ..

وَإِلَى كُلِّ أَخِّ جَمِيعَتِهِ مَعِي ذَكْرِيَاتٍ خَاطَبَتْهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ..
«رَبِّ آغْفِرْ لِي وَلَا نَجِي

وَأَذْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الْأَرَاحِمِينَ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الطبعة

الحمد لله حقَّ حمده ..

والصلاوة والسلام على النبي المصطفى وآلـه ..

والتحية والرضوان على صحبة الأخيار والتابعين بإحسان ..

وبعد ..

فالليوم إذ أقدم هذه الطبعة - ولعلها تكون الخامسة - بعد علمي بصدور أربع طبعات في ثلاثة بلدان إسلامية في نحو (١٥٠٠٠) نسخة صدرت جميعها في سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

أوَكَدَ بعد الحمد لله بما هو أهلـه : أَنِّي حرصت على المحافظة على هذا الكتاب في صورته الأولى كما كنت أعيشـها وأتفاعل معها أيام تدوينـها ، لذا تجنبـت الإضافة والتغيير إلا في نطاق ضيق جداً كان لا بدـ منه ، وقد تضمنـ :

- أ - تصحيح ما وقفتـ عليه من أخطاء طباعية وهفوات لغوية وهي قليلة جـداً والحمد لله .
- ب - استدراكـ موجز على حديث واحد فقط ، وقع الاستدراكـ في صفحة ٧٢ و ٧٤ .
- ج - تعديلـ شـلـ موضعـين فقط .

والله ولي التوفيق .



لماذا هذا الكتاب

ليس هو كتاباً مذهبياً يزداد منه تعميق الخلاف بين المسلمين ، فما أحرجنا اليوم إلى كلمة
تلّم شملنا ، وتوّلّف بين قلوبنا ، وما أحرانا باجتياز الحواجز التي رُكِّزت بیننا .
ثمّ ما أشوقنا إلى لغة الحوار السليم التي تعينا على ذلك ، إذن لبلغنا المني ولاستوت
مراكبنا ، واجتمعت كلمتنا على ما تركه لنا نبيتا المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فلانضلّ
بعده ، ولا نفترق ، أو نسلك سبلًا شريرة ..
وإذا كانت هناك أسباب ودواع لما حصل بیننا من خلاف ، فما أجمل أن نقف عليها بكلّ
حياد ، وتعقل ، مدركون أنّ المهم في الأمر هو ظهور النهج الإسلامي الأصيل الحنيف ، وليس
غلبة هذا الاتجاه ، أو ذاك .. وأنّ اتفاقنا على الحقّ الصريح هو الذي سيضمن اجتماعنا .
وأما تعصّب كلّ متن إلى فرقته - ليس إلا لأنّه ورثها عن آبائه ، ونشأ عليها ، وترشّبت
بها عروقه - فلا يزيdenا إلا تباعدًا عن بعضنا ، وابتعدًا عن المحجة البيضاء ، والشريعة
المحمدية السمحاء .

وهذا الكتاب هو تجربة شخصية على هذا الطريق .

تجربة فيها كلّ ما في التجارب الكبيرة من مشاكل وصعوبات ، وفيها ما في أخواتها
عندما تكمل بالنجاح .

وقد لا تكون التجارب في ميدان العقيدة عزيزة ، فربما خاضها الكثiron من أبناء كلّ

جيل ، ولكن انتصار اليقين والحق المجرد على العاطفة هو العزيز في تلك التجارب . ولست من الذين يرون أن هزيمة اليقين أمام العاطفة هو من أثر العصبية وحدها ، فربما يكون ذلك ، ولكن ربما تكون هذه العاطفة وفاءً للذكريات الجميلة التي لا يشك صاحبها في صفاتها ، وربما يجتمع الأمران معاً .

والوفاء لذاته مدوح ، يعكس العصبية ..

فكثيراً ما يقف المرء على حقيقة كان يعتقد بخلافها ، ولكن عقيدته هذه في قلبه قدسيّة أحياناً، فينبئ عن هذه القدسية سؤال يقول : أحقاً أن هذا المفهوم الذي عشت أقدسه لا أصل له ، وأن الصواب في المفهوم الآخر الذي يأبه قلي وتنفر منه نفسي ؟!

هذه هي العصبية ، وكم صدّت فحولاً عن مواصلة الطريق نحو الحقيقة الثابتة .. إن العصبية تمنع كثيراً من المفاهيم هالة قدسيّة ، لكنّها سراب لا حقيقة لها .. وأصعب شيء على من يقدّس أمراً أن يقال له : إن الذي تقدّسه سراب !!

وثمّة نوع آخر من العاطفة يشدّ المرء إلى الوراء ..

إنه الوفاء للذكريات .. فلِمَ لا وقد أمضى أيام شبابه وهو في ذروة الحماس الديني ، مع ثلاثة من إخوانه المؤمنين ، تزدان مجالسهم بالذكر والبحث الصادق النقّي الذي لا تشويه شائبة من رياء أو مكابرة ؟

إنه ليُعشّق تلك الذكريات عشقاً لا تتخيله سهام الطعن ، فإذا ما واجهته الحقيقة بغير ما كان يرى ثار شوّقه إلى تلك الذكريات وتراجّع عشقه لها ، فينبئ من بين الشوق والعشق سؤال يُضيّع الفراغ : أحقاً كانت مجالسنا تلك قد تخاللها شيءٌ من الأوهام ؟!

إنه لا يريد أن يشك في ذلك الماضي الجميل !!

وهذا هو الوفاء للذكريات ..

ولقد كنت للعصبية عدواً حيناً واجهتني ، غلبتها أو غلبتني ، أمّا الذكريات فقد آخيتها وأحسنت صحبتها حتى النهاية ، وقد جعلتها في فقرات من هذا الكتاب بثابة صديق لي أحاوره فيستجيب لي ولو هساً.

وقد أعاني على ذلك كونها ذكريات واضحة لم تختلط في ذهني .. وكونها زاخرة

بعلامات استفهام كانت تثيرها العقول في ساعات انطلاقاتها ، فتخترق بمحويتها أسوار القدسية ، ثم ترك السؤال حائراً ، وقلماً وجدت له جواباً مقنعاً وشافياً..
ورأيت أثناء رحلتي أن الوفاء للذكرىيات لا ينبغي أن يكون عاطفياً ، فربما ينعكس أثره فلا يكون عندئذ وفاءاً .. وإنما المطلوب من الوفاء أن يكون وفاء علمياً إن صح التعبير .
من هنا وجدت لزاماً عليًّا أن أسجل تجربتي بكلّ أمانة ، لتكون بين الأيدي تجربة
جاهزة تخزل الكثير من عناء هذا الطريق الطويل ، وتقديم حلولاً للكثير من تلك الأسئلة
الحائرة ..

فرضتُ هذا الكتاب ..

وقد حاولت أن أحافظ فيه أشواط رحلتي مرتبةً كما كانت في الواقع ، بعيداً عن
التكلّف ..

إشارات أولية ، ثم عودة إلى نقاط البدء ، فحوار بين حقيقة تهدي إليها الإثارة و موقف
مبين إزاء هذه الحقيقة .. وقد اخذنا هذا الحوار ثلاثة أشكال :
- حوار مع قطب من الأقطاب الذين تبتوأ ذلك الموقف ودافعوا عنه ، وقد قدّمت لهذا
دليلاً بذكر اسم الرجل وكتابه .

- حوار مع الذكرىيات ، فإذا حاورتها سميتها (صديق) ، أو تكلّمت بضمير الخطاب .
- حوار مع حدث ثابت من الأحداث ، أو مفهوم من المفاهيم .
فتكشف عن كل ذلك أنَّ ثمَّ نسيجاً غليظاً نسجه التاريخ حول كثير من الحقائق ، وهالة
مصطنعة أضفها على كثير من الرجال والمفاهيم ، وليس لذلك أساس في الدين ولا واقع في
التاريخ .

ووضعت ذلك في فصول اكتملت فيها بالقليل من شواهد التاريخ ، وأغضبت عن كثير
منها خشية الإطالة مرتّةً ، ولكرامة الغوص في أغوار بعض الأحداث المؤلمة أكثر من القدر
الكافي مرتّةً أخرى .

وقد قدّمت له بمقدمتين :

الأولى : حول طبيعة الانتفاء المذهبى ، وأثره في قضية الوحدة بين المسلمين .

والثانية: إشارة موجزة إلى بداية قصتي في هذه الرحلة.

وهناك ركائز منهجية اعتمدناها تجدر الإشارة إلى بعضها، فنها:

- ١ - تجنب النقل بالواسطة، والاقتصار على مانقف عليه مباشرةً ماتيسر ذلك.
- ٢ - التحقيق في أسانيد الأحاديث المتنكرة، أو اعتقاد حكم أرباب هذا الفن فيها. وقد ذكرنا بُعداً من ذلك في مواضع الضرورة فقط، وأعرضنا عَمِّ سواها تجنبًا للإطالة.
- ٣ - للاحظة اختلاف النسخ المتعددة للمصدر الواحد، ذكرنا تعريفاً بالنسخة المعتمدة في فهرس المصادر.
- ٤ - ألحقنا بالكتاب فهارس مفصلة تيسيرًا للحصول على المطالب، وقد تضمنت الآيات، والأحاديث، والأعلام، والأشعار، والمصادر، ومحظى الكتاب.

وأ والله ولي التوفيق.

صائب عبدالحميد

الانتهاء المذهبي بين الواقع والمسؤولية

* لماذا هذا التجاوز بين أبناء المذاهب الإسلامية؟

* هل انتخب كلّ منا مذهبه عن وعي وإدراك ، وبعد الدرس والتحقيق ؟
أم كيف حصل هذا الانتهاء ؟

بين هذين السؤالين تدور أشياء كثيرة ، منها ما هو بديهي ، ومنها ما يتطلب
بعض العمليات العقلية ، وما لم نمتلك الروح الموضوعية في مواجهة القضايا ،
فسوف تغيب عنّا حتى تلك الأمور البديهية .

ولا بدّ أن نعترف مقدماً بأنّ هذه الموضوعية ستكون أمراً صعباً للغاية
عندما نواجه قضايا تتعلق بالعقائد والتقاليد والموروثات التي تشبع بها العروق ،
وألفتها النفوس .

وسوف تكون أشدّ وأصعب عندما يدور الحديث بين تلك العقائد
والموروثات من جهة ، وبين ما يقابلها لدى الآخرين من جهة أخرى ،
فالانحياز الفوري نحو المألوف هو النتيجة المتوقعة دائمًا ، بينما يبقى الموقف
الموضوعيّ أمراً نادر الحصول .

* كيف نشأ هذا الموقف الانحيازي؟

وما هو نصيبه من الصحة ؟

وما هو أثره في الوجود الاجتماعي لهذه الأمة ؟

وكيف ينبغي أن نواجهه ؟

سنطرق هذه الموضع من جوانبها النفسية ، بدلاً من عواملها

التاريخية ..

- أذكر يوماً أني قد أدت خدمةً ما إلى مجموعة من الناس ، فيهم السنّي وفيهم الشيعي ، فأراد بعضهم أن يشكر لي جهدي ، فقبلني بحرارة ، وقال - معتبراً عن امتنانه الكبير - : سأدعو لك عند ضريح أمير المؤمنين ، وأبي عبد الله الحسين وتلاه آخر ، فقبلني بلهفة ، وهو يقول : سأدعو لك عند الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وأبي حنيفة .

لا أشك أنَّ كلامها قد كشف عن المعاني التي يقدّسها ، في لحظات كانت تهيج فيها مشاعره ، وتنطق براءاته بلا أيَّ تكليف ، فهي عبارات تعبر عن شعور بالقرب من المعاني التي تعيش في أعماقه إن لم نقل بالاتحاد النفسي معها والسؤال الذي برز إلى ذهني حينها ، هو : من أي شيء حصلت هذه الفوارق في الارتباطات النفسية ؟

إنه لا ينبغي أن يشيرنا سؤال واحد يجب أن نضعه أمام أنفسنا لأجل البحث عن سر اختلافنا ، وهذا التجافي المحاصل بيننا . ولعلنا سوف نمسك بطرف من أطراف الاتفاق ، ونقترب خطوة نحو الموضوعية لو ابتدأنا من هذه الملاحظة البسيطة :

فلو أنك سألت شاباً ولد في مدينة (النجف) فقلت له : هل ستكون شيئاً لو حصل أنك ولدت في (حلب) من أبوين سنين ؟

وهكذا لو سألت الحلبي ، هل ترى أنك ستكون سنيناً بهذه الطريقة ، لو أنك ولدت في (النجف) ، في أسرة شيعية ؟

هنا سوف لا يختلف منا اثنان حول الجواب الذي سنسمعه ، بل يمكننا أن نضع الجواب مقدماً ، متلقين على أنه من المسلمات التي لا خلاف فيها . وهذه الملاحظة وحدها تكفي لأن تضعن أمام الحقيقة كلّها ، وتكتفي لأن تبعث فينا الاستغراب لهذا التجافي والتناقر الحاصل بيننا ، كما تسمح لنا هذه الملاحظة أيضاً أن نطرح مزيداً من الأسئلة الالزمة ، لنقترب أكثر نحو الموضوعية كلّا استطعنا أن نزيل شيئاً من دواعي الانحياز الوهمية المتراءكة فينا .

ولنبدأ بالسؤال حول الانحياز نفسه ، والعصبية ذاتها :
 فهل سيرضى أحدينا لو وجد آخر يتعصب ضدّه من غير داعٍ
 حقيقية ، وبدون أن يتعرف على حقيقة موافقه وأرائه ؟
 فإذا كان الجواب بالنفي بديهيّاً لدى هذا الشخص ، فماذا تتوقع أن يكون موقف أشخاص محايدين ، نفترض أنهم يراقبون هذا المشهد ؟ قطعاً إنّهم سيأخذون المتعصب على تعصبه .

إذن ، فعند الجميع كان التعصب لذاته شيئاً مقوتاً .
 أفال يكون من التناقض إذن أن نحمل بين جوانحنا أشياء نمقتها لدى الآخرين ، ونمقتها بالأصل ؟ !

فلماذا لا نكون إذن على مستوى تقبل الطرح العلمي والموضوعي الذي يتناول شيئاً من مواقفنا تجاه الأشياء والقضايا المبدئية ، وتجاه بعضاً ؟
 وماذا في الأمر ؟ فما دام الطرح موضوعياً وعلمياً ، فإنه سيثبتنا على مانحن عليه ، إن وافقنا الأصل والصواب ، أو أنه سيرشدنا إلى ما هو أحق وأهدى ، إن لم نكن قد وافقناه .

ألسنا جميعاً من دعاة الحقّ ، وطلابه ؟
 ولكن السرّ كلّه يكمن هنا ، فتّمة حقيقة نستطيع أن نطلق عليها :

(الخوف من الهزيمة) أمام الطرف المقابل ، تراودنا جميعاً ، وهذه حقيقة لا يمكن لنا أن نوافق الصواب إن تنكرنا لها . وقد تتجلى هذه الظاهرة في الملاحظات التالية :

- أفلأ ترون أننا لو صدمتنا الحقيقة بشيء يخالف ما ألفناه واعتقدناه ، لظهرت ردود الفعل فيها - فوراً - على هيئة غضب وثورة ، ثم أحکام تُلقى جزافاً ، وربما أعقبتها سخرية ، ثم يُسدل الستار على الموضوع ، حتى لو عاد يواجهنا ثانية لما أحدث فيما أثراً يُذكر ، ولأنه مسألة لا تستحق العناية ، أو الالتفات !

وبهذه الطريقة يدفعنا اللاشعور للتسلّح بالمناعة الكافية ضد أي مفهوم يخالف المألف ، ولو كان أكثر منه ثباتاً ، وأقوى حججاً .
وهذه ظاهرة عامة في بني الإنسان ، إلا من تحرر منها بالوعي والمعرفة ، وتلك شجاعة ما أعزها !

- وترانا أيضاً ، حين نواجه الأمر معكوساً نقف منه موقفاً مناسباً ! فلو عرض علينا مذهبنا مفهوماً أو اعتقاداً لا يستقيم مع الفطرة السليمة ، والعقل المستقيم ، والبيان الشرعي ، فإن رد الفعل هذه المرة سيأتي على هيئة تنازل تلقائي عمّا نرتضيه حقيقةً ، لنخضع - بأي مستوى من مستويات الخضوع - لمعانٍ تأباهما عقولنا ، وتتنفر منها فطرتنا ، ولكننا ورثناها !

- ولو خشينا من أن هذه المعاني الجديدة قد تستولي علينا ، فإننا نلجأ - من حيث ندري ، أو لا ندري - إلى غض النظر عنها ، مؤثرين السكت ، والوقوف عند أي مستوى يمكننا أن نخضع له ، مستبعدين إمكان المناقشة والمحوار !

فما الذي يدفعنا إلى كل هذا ؟ إنه (الخوف من الهزيمة) !
ذلك الشبح الذي يراود كل من يواجه مثل هذا الموضوع ، حيث يرغب ،

بل يندفع من الداخل لأن يكون متفوقاً ، وهرب من أي نوع من أنواع التراجع ، حتى لو كان تراجعاً أمام الحق ، وأمام الحكم الشرعي !
وهو لأجل إرضاء هذه الرغبة ، يطرح في المقابل آراء وحججاً ليقتنع بها
ويجعلها في النهاية سداً منيعاً دون الدخول في آية محاولة للمناقشة الجادة ،
والحوار والمتابعة .

وعندما تكون تلك الهواجس متفوقة لديه جداً ، فإنه سيكتسب قناعات شديدة بكلّ مامن شأنه قطع السبيل إلى ميادين التفكير الحرّ ، ويجعل أي شيء من هذا القبيل بمثابة الأمر المحرّم ، الذي يجب إنكاره كلياً .
ثمّ كيف نفسّر وجود هذه العقد النفسية المتراكمة فيما تراكمًا جعل أحدهنا يرى أنّ مجرد اقترابه من الآخر يُعدّ مستوى من مستويات الهزيمة ، أو الضعف العقائدي ، أو أنه بمحصلة على حساب المبادئ !

ومن هنا ينكر ظاهرة الانكماش النفسي المفاجئ ، والنفور غير الإرادي التي فرضت نفسها حتى على الكثير من جاء ليعالج هذا الداء العضال ، ويرسم حدود هذه المشكلة المستعصية في الأمة ؟

فحتى الكثير من هؤلاء ينزلق من حيث لا يشعر ، فهمارس مرّة أخرى تجسيد تلك الروحية ، وتعزيز تلك الحواجز النفسية التي سيكون لها هنا آثار أكثر سلبيةً حتى من تلك البحوث التي تُكرّس أصلاً لتعزيز الخلاف ، وإحياء الروح الطائفية ، وذلك لأنّها ستؤدي للقارئ بأنّ هذه الظاهرة هي بمستوى الحقيقة التي تأصلت في النفوس ، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من عقائدنا وعواطفنا ، وعند هذا يُصبح مجرد مناقشتها أمراً مخالفًا للطبع ، وليس له موضع بيننا على الإطلاق .

ومن أبرز الأمثلة على هذا النمط ، ما نجده عند بعض من كتب في الدفاع عن الوحدة الإسلامية ، متحمّساً ضدّ الطائفية ومروجيها ، ثمّ إذا أراد

أن يستشهد بمثال ، أو يأتي بمصاديق على دعواه ، مال على الجانب الآخر ، مسجلاً نهادجاً من حملات بعض رجالهم ضد المذهب الذي ينتمي إليه هو ، فكأنه يريد أن يقول : إن أولئك هم أساس هذه التزاعات ، وهم الذين يؤجّجون نار الفتنة بين المسلمين ، ولم يكن أصحابه هو إلا مدافعين عن مذهبهم المستهدَف ! وهكذا يمارس دوره من جديد في إثارة النزاع بما يشيره من ردود فعل سلبية لدى الأطراف الأخرى ، فيضيف حلقة أخرى إلى مسلسل التزاعات ! بينما كان الأجدر به - حين يلتجأ إلى مثل هذا الاستشهاد - أن ينتخب نموذجاً من حملات أصحابه هو ضد المذاهب الأخرى ، فيردها ، ويبعدها عن ساحة القبول ، وبهذا يكون قد أعطى نموذجاً صادقاً ورائعاً في هذا المضمار ، وقدّم مثلاً لروحية عالية ترتفع على الأهواء والعصبيّات ، وتُمْيل بصدق لتحقيق التالُف بين أبناء هذه الأُمّة الواحدة .

ذلك بحقّ إنسان في القمة ، وما أحوجنا إليه في كلّ مكان وزمان . إن تلك الروحية العالية وحدها هي التي تحقق أثراً إيجابياً يرجى أن يؤتي ثماره على طريق التقارب والتفاهم والمحوار العقلاني الوعي ، الذي سيزيدنا قوّةً ويوفرّ بيننا مستوى من الانسجام والاتحاد لا يقلّ عن درجة الإحساس الصادق بالارتباط المصيري ، والاتحاد العقدي . وسيعيينا هذا الفهم ، بل سيدفعنا إلى التعرّف على بعضنا من جديد ، بروح أخوية نزهة ، ويزدّنا برغبة صادقة في البحث عن الحقائق الناصعة المبرأة من كلّ ما تراكم من غبار زمن طويل ، مليء بالنزاعات والتخاصم ، وتبادل التهم والشتائم و . . . وبمثل هذه الصيغة يمكننا أن نتوصل إلى جذور تلك الحواجز النفسية ، وخلفيات هذا التشنج ، وتلك العصبيّات المقيمة .

فلقد بلغت بنا تلك العصبيّات حدّاً بالغ الخطورة ، حتى صار تعصّبنا لأي شيء أفناء هو أشدّ ألف مرّة من استعدادنا للتمسّك بالحكم الشرعي الثابت .

وهذا يقابله تعصب مماثل ضدّ مانزاه لدى الأطراف الأخرى .

ومن المهم أن أوكد هنا أنّي لا أعني مفهوماً بالذات ، أو طائفة من المسلمين دون غيرها ، ولا فرداً دون آخر ، بل أريد تلك الظاهرة التي أصبحت (مرضًا) نفسياً أرسى جذوره في أعماقنا ، أفراداً وجماعات ، حتى أصبحت معظم التقاليد التي نسبت إلى المذهب ، وألصقت به وهي ليست منه ، حاكمةً حتى على النص الشرعي الثابت لدينا .

فرحنا نلجاً إلى تحوير كلّ نصّ لا ينسجم مع هذا التقليد ، أو ذلك الرأي وصياغته بحسب قوله صنعتها نحن بأيدينا ، وإن كانت لا تمت إلى الدين بصلة ، ولكنّها ارتفت في أذهاننا إلى مستوى الشعائر المقدّسة ، فأصبح مجرد الإشارة إليها أمراً يثير المشاعر ، ويؤجّج فيها نار الغضب .

ولهذا نجد أنّ علماء المذهب نفسه لا يجرأون على استنكارها ، أو وعظ أصحابهم بتخفيف شدة تمسّكهم بها ، ولو تجرأ أحدهم على شيء من ذلك ، لننبهه أتباعه في الحال ، ولا أصبح بينهم عرضة لأنّواع الشتائم والمطاعن ، وربما بلغ الأمر إلى رميء بالزندة والنفاق ، ولو كان أتقى الأتقياء !

ولنتذكر مرةً أخرى أنّ من الخطورة بدرجة أن يميل كلّ منا للاستفادة من هذه الإشارات في توجيه التهم إلى الآخرين ، على أنها من مزاياهم وحدهم فإنّ هذا الأسلوب هو تجسيد كامل للعصبية ، كما أنه سوف يُقي على كلّ معايننا وأخطائنا ، ثمّ يعود بنا إلى عمق مصيبتنا .

إنّا المطلوب منا أن نفتش عن تلك الظواهر في أنفسنا نحن لننتزعها من قلوبنا وعواطفنا ، ونخلّص من آثارها .

فلوا امتلكنا مثل هذه الروحية ، لا قتلعنا كلّ جذور الخلاف ، واكتسحنا كلّ الآثار السلبية المترتبة عليه .

والآن ، لعلّي أصبحت قادراً على أن أطرح على نفسي السؤال الآتي :

ما الذي يحملني على الاعتقاد - إلى حد التسليم - بأن مذهبي الذي ورثته عن آبائي وبمحتمعي الصغير هو الحق الأوحد والأمثل ، وأنه الصورة الأكثر كمالاً للدين الإسلامي الحنيف ، بحيث لا يشاركه مذهب آخر في حظه هذا من الكمال ؟

ما الذي حملني على هذا الاعتقاد ، أهو القرآن الكريم ؟ أم السنة المطهرة
أم العقل السليم ؟

أم هي العصبية التي لا تستند إلى شيء ؟!
ولماذا لا يمكنني أن أعتقد بأن المذاهب الأخرى هي مثل مذهبتي على الأقل ؟
ومن يدري ! فلعلها تكون جميعاً أكثر سلاماً وكمالاً مما تعلمته أنا !
وما العجب من هذا الافتراض ، أليس هكذا يعتقد أبناء المذاهب
ال الأخرى ؟

إذن ، ما الذي ي يعني من أن أكون أبعد نظراً ، لأتقبل فكرة : أن
المذاهب الأخرى هي أيضاً تحتمل الصحة ، على الأقل ؟
ثم ، ألسْتُ مسؤولاً غداً عن سبب اعتقادي ، وتبعيّتي الدينية ؟
وهذا هو السؤال الخطير الذي يجب أن أقف عنده موقف الجد ..
سيبرز هنا سؤال آخر ، وهو : ألا تقودني هذه الفكرة إلى الطائفية مرّةً
أخرى ؟

أعني أنني عندما أدخل طريق الدرس والمتابعة ، فإن دراستي ستقودني
حتى إلى قناعةٍ ما ، وعلى أساس هذه القناعة سوف أنتخب المذهب عن وعي
وإدراك هذه المرة ، كما تقتضي المسؤولية الشرعية ، وأصول الدراسة العلمية ،
أفلا يفهم من هذا أنني سوف أطعن بالمذاهب الأخرى ، وسوف أصرّح بالفعل
وإن لم أصرّح بالقول ، بأن المذهب الذي انتخبت هو الأكثر كمالاً ودقّة وعمقاً ؟
نعم ، قد تكون هذه الطريقة مصدراً للإثارة ، ولكن إلى أي شيء تعود تلك

الإثارة، و على أية أرضية تقوم؟

هل انبثقت من موقف علميٍّ و رؤية موضوعية، أم أنها نشأت عن غير ذلك؟

وبتعبير آخر، هل هي رؤية تصمد أمام قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

أم هي واقعة تحت ظلال قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الظُّنُنَ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾^(٢)؟

فهذا هو ميزان السماء لكل دعوى.

إن شيئاً من ردود الفعل هذه، ما هو إلا جزء من إفرازات تلك العقد النفسية المتجلدة فينا، وإنما فمن أين جاء زعمنا: أن الفرد المسلم الذي انطلق من وعيه بمسؤوليته الشرعية، ملتزماً قواعد البحث العلمي، والدراسة الموضوعية المجردة، متسلحاً بالشجاعة الكافية في اتباع الحق الذي يستقر عليه، ثم انتهى إلى اختيار آخر، خالف فيه أصحابه، أنه سيكون بالضرورة قد ناصبهم العداء، أو حكم عليهم بالضلال والجحيم؟

أليس العكس هو الصحيح، ما دمنا نقر جميعاً بأن هذا المنهج هو مسؤولية شرعية في عنان الجميع دون استثناء؟

نعم، لنا أن نقول: إن مثل هذا الفرد لكي يكون متوازناً في مواقفه، ملتزماً علميته، عليه:

أولاً: ألا يكون منفعلاً بتأثير نشوة الاكتشاف الجديد، فيندفع متھماً تجاه المذاهب الأخرى، ليشنّ عليها حملاته، بمناسبة أو بلا مناسبة، و كأنه

(١) النمل : ٦٤ .

(٢) النجم : ٢٣ .

يتحدّث مع فرقة ضالّة قد مرقت من الدين.

وثانياً: ألا يذوب كلياً في المجتمع الجديد بكلّ ما فيه، حتى التقاليد الموروثة التي لم يكن مصدرها الإسلام، وحتى العقد النفسيّة المتراكمة فيهم تجاه كلّ من يخالفهم بشيء؟

إنّ منهاجاً كهذا لو التزمه الواقعون ملأ، لوصلنا إلى أفضل مما نحن عليه الآن بكثير.

وحتى لو لم نصل جمِيعاً إلى نتيجة واحدة، وحتى لو عاد كلّ واحد منا فاتخَب مذهبَه الذي نشأ عليه من جديد ، فلن يؤدي ذلك إلى خلاف جديد بيننا بالمرة ، بل على العكس تماماً، سيؤدي إلى احترام كلّ مَنْ لَلآخر، لأنَّه سيرُف عنه الكثير مما كان مخفياً عليه، أو كان مشوحاً في ذهنه، نتيجة ما ورثه في ذلك الواقع المرّق المخيف.

هذا عن أصل المشكّل المثار، وأمّا عن مضمونه الذي مفاده: (أنَّ مجرّد البحث أو التفكير في مثل هذا الموضوع، هو بمنابعه نواة للفرقَة والتمزّق وإثارة الخلافات المذهبية من جديد) فجوابه:

إنّ قضيّة الوحدة بين المسلمين هي مسؤوليّة شرعية لا يمكن التعامي عنها وإغفالها، فقد أمر القرآن الكريم بحفظها أمراً صريحاً، فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِبَحْرِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١).

وحدّرَ من تضييعها، وتوعّد على ذلك بأشدّ الوعيد، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

(١) آل عمران: ١٠٣ .

(٢) آل عمران . ١٠٥ .

فالوحدة بهذا المستوى من الأهمية، قضية يجب حمايتها والحرص عليها في كل قول وفعل، ولا شك في أنّ من تغافل عن ذلك فقد وقع في التقصير. فمن المسلم به إذن: أن الشارع المقدس لن يرتضى لأحد أي عمل من شأنه أن يقدح بهذه المسؤولية الشرعية.

ولكن ، من المسلم أيضاً بين المسلمين ، أنه جل جلاله لن يرتضى لعبد المكلّف أن تكون حجّته في تدینه وانتهائه المذهبى : ما وجد عليه آباء ! إذن ليس أمام هذا العبد المكلّف المسؤول إلا أن يتعاهد مسؤوليته بالبحث والدرس والتحقيق، على قدر استطاعته، ليكون قد اتّخذ موقفه، وحدّد التزاماته عن وعي وإدراك حقيقيين .

وإذا كان كذلك، فشّمة مسألة أخرى لا بدّ من الإشارة إليها : ففي منهج البحث العلميّ، هل سيكون الباحث ملزمًا تأييداً وموافقة كلّ ما تتبنّاه المذاهب الإسلامية ، على اختلافها ؟

فينبغي له أن يكون - تحت عنوان حفظ الوحدة الإسلامية - مؤيّداً لكلّ الفروع والتفاصيل التي تعترض طريق البحث ؟ إنّ شيئاً من هذا الإلزام سوف لا يُقْيِّي على أيّ معنى للبحث والنظر ، بل سيبطلها من الأساس . فالبحث العلمي إنّما يتوكّل الحقائق المجردة عن أية مواقف مسبقة، وأية اعتبارات أخرى تصرفه عن مساره ، وهذا محال مع وجود ذلك الإلزام .

فليس من الصحيح إذن أن نطالبه بموافقة الجميع ، حتّى فيما اختلفوا فيه ، بحجة تحبّب الخلاف والفرقة ، بل إنّ فكرة كهذه ستكون مصدر أخطار على الوحدة بين المسلمين قد لا يوانها خطر يأقى من عمل عدائى مقصود ! لأنّ هذا الفهم يعني بالنتيجة : أنّ علينا أن نحتفظ بكلّ تلك الخلافات وبأسبابها ودواعيها أيضاً إلى الأبد ، لأنّها كلّها كانت آراء رجال السلف

منهج في الانتهاء المذهبي

ومواقفهم و حتى تلك التي أدت إلى إثارة الحروب ، وسفك الدماء، لأن كلّ
أطرافها كانوا على الحقّ !

ألا يعني هذا أنّ من حقّنا اليوم، وفي كلّ عصر، أن نجدد تلك النزاعات،
وأن يقتل بعضنا بعضاً ، ولا بأس علينا ، لأنّ كلّ طرف منّا قد تمسّك بما نُقل
إليه عن بعض رجال السلف ؟

وفي أحسن الأحوال ، فإنّا سنُبقي على تلك الخلافات ، وعلى
جذورها حيّةً فيما بيننا، وليس هذا مجرّد فرض نفترضه، أو دعوى ندعّيها ،
بل هو الواقع الحال في هذه الأمة .

فهل تمدد الخلاف فيما ، وتواتت الانقسامات ، إلا بسبب التمسّك بتلك
الفكرة التي جعلت من نقاط الخلاف القديم محاور لمجتمعنا ، وعناوين
لانقساماتنا ؟

وما زال الكثير منّا يدافع عن ذلك المبدأ، معتقداً بأنّ الدفاع عن الجميع
هو السبيل الوحيد لتحقيق التقارب بين المسلمين !
وإنه لأمر غريب حقّاً، فمتى كان التمسّك بأسباب الانشقاق هو الشرط
الذي يضمن تحقيق الانسجام ؟ !

ولنتذكّر ثانيةً أنّ هذا هو واحد من إيحاءات (المخوف من الهزيمة) الذي
نعني منه ، وإنّ أعلاً يكون من دواعي الاستغراب أن تضيق صدورنا عن تتبع
النصّ الإسلامي الشرعي، والتمسّك به ؟ !

ذلك ونحن نعتقد جيّعاً أنّ مسؤوليتنا تتلخص في حفظ هذا الدين الحنيف
كما أراده الله ورسوله ، بالتزام الموقف الحقّ الثابت الذي لا غبار عليه ، وحمايته
سواءً وافق ميول الأشخاص ، أو خالفها !

هكذا يتبيّن إذن أنّه لا يجوز استغلال شعار «الوحدة الإسلامية» للتخلّي
عن مسؤوليتنا الشرعية في التفكير الحرّ، وانتخاب الموقف عن وعي وبصيرة .

وكذا فليس من الصواب الاندفاع تحت ذريعة هذه المسؤولية لتعيمic
الخلافات المذهبية ، وإغذاء النزعة الطائفية البغيضة، فهذه أيضاً مسؤولية
شرعية ملقة على عواتقنا بنفس الدرجة ، ونحن مسؤولون عنها جداً : ﴿مُنَبِّهِينَ
إِلَيْهِ وَأَتَقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شَعَاعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدُهُمْ فَرَحُونَ﴾^(١)

إنَّ الوحدة بينَ المُسْلِمِينَ يَجُبُ أَنْ تُفْهَمَ إِنَّهَا قَضِيَّةٌ رسَالِيَّةٌ اسْسَاسِيَّةٌ .
فَلِيُسْتَ هي مَوْضِعًا طَائِفِيًّا يَجْمِعُ الْمُسْلِمِينَ أَمَامَ الْأُمَمِ الْأُخْرَى ، وَحْسَبَ .
وَلَا هِيَ دُعَوَى فَوْقَيَّةٍ يَرَادُ مِنْهَا التَّزَلُّفُ وَالتَّمْلُقُ فِيهَا بَيْنَنَا .
وَلَمْ تَكُنْ فِي عَرْفِ التَّشْرِيعِ السَّمَاوِيِّ الْمَقْدِسِ هَدْفًا دُنْيَوِيًّا مَصْلُحَيًّا مُؤْقَتًّا .
بَلْ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلَّهُ ، إِنَّهَا مَسْؤُلِيَّةٌ رسَالِيَّةٌ بِحَجمِ هَذِهِ الرَّسَالَةِ ،
أُرِيدُ لَهَا أَنْ تَسْوُدَ ، كَمَا أُرِيدُ لَهَا الْبَقاءُ وَالْخَلْوَةُ .

فما أحوجنا إلى أن ندرك واجباتنا في حفظ مجتمعنا الإسلامي النزيه ،
وتحقيق الانسجام والتاليف بين أفرادنا وفصائلنا، ومعالجة أسباب (هذه الفرقة ،
التي لم تؤذ السنّي في مواجهة الشيعي فقط ، ولا الشيعي في مواجهة السنّي فقط ،
ولكنها كرّست تفتیت السنّي إلى عدّة مذاهب ، وكرّست تفتیت الشيعي إلى عدّة
مذاهب)^(٤)

- إن اتفاق المسلمين في قضاياهم المصيرية ليكونوا أمّة واحدةً ، ويبدأ واحدةً في مواجهة المسؤوليات ، وفي البناء الحضاري الإسلامي ، وفي حفظ هذا الدين العزيز ، والوقوف بوجه المخاطر والتحديات ، هي من الأمور التي يجب

(١) الرؤم : ٣٢ - ٣١ .

(٢) من مقالة للدكتور فهمي الشناوي بعنوان (الفتنة الكبرى المعاصرة) نشرتها مجلة العالم في عددها ٣٣٦ من عام ١٩٩٠ .

حاليتها وإن اختلف المسلمون في انتهاء اتهم المذهبية ، أو تباينوا في وجهات النظر حول بعض القضايا ، فليس هناك أي تناقض بين أن نكون أحراً في تفكيرنا، وأن نكون متفقين في قضايانا المصيرية ، ومعالمنا المشتركة .

وإذا كان هذا الهدف كبيراً وعظيماً ، فهو ليس مستحيلاً ولا مستبعداً .

وحين تتوفر لدينا الرغبة الصادقة في بلوغ هذا الهدف نكون قادرين على تبني المشروع الوحدوي التكامل الذي يستوعب جميع الخطوات الأساسية على هذا الطريق ، والتي يمكن حصرها بما يلي :-

أولاً : إزاحة الحواجز النفسية المتراءكة فيما ، والتي لم ترتكز على دليل علمي ، ولا حجّة منطقية ، ولا أساس من الدين الذي أمرنا الشارع المقدس أن نتدين به .

ثانياً : تحقيق المستوى الكافي من الوعي بمسؤولياتنا تجاه الإسلام ، والأمة المسلمة .

ثالثاً : التوجّه نحو المبادئ المشتركة فيما بيننا - والتي تشكّل لوحدها كل العناصر الأساسية الالزمة لتحقيق أفضل مستوى من الاتحاد بين المسلمين - : كوحدة العقيدة بأركانها ، ومصادر التشريع الأساس ، وفروع الدين ، وما لا يخصى من الأحكام التفصيلية الأخرى ، هذا مع إيماننا جميعاً بوحدة المصير .

إذ إنّ وحدة المصير - لوحدها - لو أخذناها مأخذ الجدّ ، لأزاحت الكثير والكثير جداً من العقبات التي تحول دون تفاهمنا .

إن خطوات كتلك ستخلق التآلف الحقيقي ، وهو التأليف بين القلوب كما يصفه الله تبارك وتعالى بقوله : ﴿ وَالَّذِي بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾^(١) .

هذا بدلًا من أن نسود الصفحات العديدة بالنداءات الوحدوية ، والعبارات الخطابية الرنانة ، والألفاظ الأدبية الساحرة ، التي تصور درجة عظمى من الاتحاد والتماسك ، ولكن قد لا تجد لها مصداقاً في القلوب . وفي أبسط لغة ، ومع الحد الأدنى من البرهان ، نقول : إنَّ كلاماً منا يشهد للآخرين بأنَّهم مسلمون ..

و بهذه الشهادة وحدها يتربَّ عليه أن يحفظ تجاههم كلَّ حقوق المسلم على أخيه المسلم ، والتي يبنِّها الشارع المقدس في عشرات ، بل مئات النصوص من قرآن وسنة :

فَدُمْهُ ، وِعِرْضُهُ ، وَمَا لِهِ حِرَامٌ ، وَاغْتِيَابُهُ حِرَامٌ ، وَهَبَّتَهُ مِنَ الْكَبَائِرِ ، وَسَبَابَهُ فَسَوقٌ ، وَقَتَالَهُ كُفَّرٌ ، وَالْغَشُّ لَهُ وَالْغَدَرُ بِهِ جَفَاءٌ مَعَ الدِّينِ كُلَّهُ ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ مَعَهُ كَأَعْصَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ ، وَأَنْ يَحْبَّ لَهُ مَا يَحْبَّ لِنَفْسِهِ ، وَيَكْرِهَ لَهُ مَا يَكْرِهُ لَهُ ، وَلَا يَقْبِلُ فِيهِ أَقْوَالَ الْوَشَاءِ وَالسَّاعِينَ فِي بَثِ الْفَرَقَةِ وَالْخَلَافِ . كُلَّ هَذَا ، وَكَثِيرٌ غَيْرُهُ ، يَعْدَ مِنَ أُولَئِيَّاتِ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَمَا يَتَعَلَّمُهُ الْمُسْلِمُ فِي أَوَّلِ حَيَاتِهِ ، وَابْتِدَاءً مِنْ أَبْسَطِ الْحُقُوقِ : كِإِفَشَاءِ السَّلَامِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ ، وَانْتِهَاءً بِأَكْبَرِهَا : كَالإِيَّاثَرِ بِالنَّفْسِ .

فَمَا بَالَّا نَنْسِي كُلَّ هَذَا ، بِمَجْرِدِ أَنْ نَخْتَلِفُ فِي مَوَارِدِنَا الْفَقِهِيَّةِ ؟ ! ثُمَّ نَجْعَلُ نَقْطَةَ الْخَلَافِ هَذِهِ : قَبْلَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا نَتَوَجَّهُ فِي أَفْكَارِنَا ، وَاهْتَمَامَاتِنَا ، وَأَحَادِيثِنَا فِي جَلَسَاتِ سَمْرَنَا ، لَتَصْبِحَ فِيهَا بَعْدِ مَوَاقِفِ سِيَاسِيَّةٍ وَعَقَائِدِيَّةٍ تَفْصِلُ بَيْنَنَا ؟

وَلِمَا لَا نَدْرِكُ أَنَّ كُلَّ مَا حَاصَلَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ انْقَسَامَاتٍ وَتَشَعُّبٍ فِي الْمَوَارِدِ ، إِنَّا هُوَ وَلِيدُ الْخَلَافِ السِّيَاسِيِّ الَّذِي ظَهَرَ مَرَّةً ، ثُمَّ تَهَيَّأَ لَهُ أَنْ يَنْمُو بَعْدَمَا ظَهَرَ ، وَهُوَ لِأَجْلِ أَنْ يَنْمُو وَيَسْتَمِرُ ، لَابْدَ أَنْ يَعْتَمِدَ أَسَاسًا « شَرِيعِيًّا » عَلَيْهِ فَلَا بدَ أَنْ يَشْقَى لَهُ مَوْرِدَهُ الْفَقِهِيِّ الْمَنَاسِبِ ، وَلَوْ تَدْرِيْجِيًّا ، وَعَنْ غَيْرِ قَصْدٍ ، وَلَكِنَّهُ

سينمو بالنتيجة ، ليكون مورداً مستقلاً له خصائصه ، وقواعدـه ، ودعائمه التي يقوم بها ، وتميّزه عن غيره ، وكلما مضى في تعزيز نبأته ، فقد تغلل في البعد عن منبعه الأول !

وهكذا قل مع كل مورد أدخلت فيه السياسية أصابعها ، حتى تحصل في الواقع اتجاهات متعددة ، تتوجّل في البعد عن بعضها كلما أرادت تدعيم حججها وإظهار معالمها .

والحقيقة هي هكذا لو تبصرنا فيها .

ولولا خشية الخروج عن منهجهـا ، لفـصلنا القول في إيضاح ذلك ، ولكنـا اكتفينا بما يشير إليه ضمن فصول هذا الكتاب ، تاركـين التطبيق للقارئـ الكريم لأنـ تكـلف التطبيق سيخرجـنا عن منهجهـا في هذا البحث ، أولاً ، وسيـغمـنا - ثانياً - على الإـطـالة ، التي سـعـينا جـاهـدين لـتـجـنبـها .

وأمام تلكـ الحقـائق ، فلا مفرـ من كـونـنا جـمـيعـاً ، على قـدـمـ سواءـ في المسـؤـولـيـةـ، المسـؤـولـيـةـ الـبـحـثـ ، والـتـحـريـ ، والـاسـتكـشـافـ ، ثمـ اـنـتـخـابـ المـوقـفـ الـوـاعـيـ ، القـويـمـ ، غـيرـ المـنـحـازـ ، وـغـيرـ المـتـنـطـرـ .

وكـلـنا مـتسـاـوـونـ فيـ الـحـاجـةـ إـلـىـ مـراـجـعـةـ موـاقـفـناـ ، ثـمـ إـعادـةـ بـنـائـهاـ عـلـىـ أـسـاسـ سـلـيمـ . وـإـلـىـ هـذـاـ كـانـ سـعـيناـ ، وـفقـ خطـواتـ نـعـرضـهاـ مـرـتـبـةـ فيـ فـصـولـ هـذـاـ الـكـتابـ .

واللهـ منـ وـرـاءـ القـصدـ ﴿ وـالـذـينـ جـهـدـواـ فـيـنـاـ لـنـهـدـيـنـهـمـ سـبـلـنـاـ ﴾^(١) :

هكذا كانت البداية

مع الحسين - مصباح المدى - كانت البداية .

ومع الحسين - سفينة النجاة - كان الشروع .

بداية لم أقصدها أنا ، وإنما هي التي قصدتني ، فوقنني الله لحسن استقبالها ،
وأخذ بيدي إلى عبأتها ..

ذلك كان يومَ ملَكَ عَلَيَّ مسامعي صوتُ شجيّ ، رِبِّما كان قد طرقها من
قبل كثيراً فأغضضتْ عنه ، ومالتْ بطرفها ، وأسدلتْ دونه ستائرها ، وأعصتْ
عليه .

حتى دعاني هذه المرّة ، وأنا في خلوةٍ ، أو شبهها ، فاهتزّتْ له مشاعري
ومنحته كلّ إحساسٍ وعواطفٍ ، من حيث أدرى ولا أدرى ..

فجذبني إليه .. تبادلي أمواجه الهاדרة .. وألسنة هلبيه المتطايرة ..

حتى ذابت كبرياتي بين يديه ، وانصاع له عتوّي عليه ..

فرُحْتُ معه ، أعيش الأحداث ، وأذوب فيها .. أسير مع الراحلين ،
وأحطّ إذا حطّوا ، وأتابع الحُطْنَى حتى النهاية ..

تلك كانت قصّة مقتل الإمام الحسين عليه السلام ، بصوت الشيخ عبد

الزهراء الكعبى يرحمه الله ، في العاشر من محرم الحرام من سنة ١٤٠٢ للهجرة .

فأصغيت عنده أىّما إصغاء لنداءات الإمام الحسين ..

وترتعد جوارحي ، مع الدمعة والعبارة ، وشيء في دمي كأنّه الثورة ..

وهناف في جوارحي .. ليتك ، ياسيدى يابن رسول الله ..

وتنطلق في ذهني أسئلة لا تكاد تنتهي ، وكأنّه نور كان محظوظاً ، فانبعث

يشقّ الفضاء الرحيب دفعّة واحدة ..

إنطلاقة يومها الحسين ، بقية المصطفى ، ورأس الأمة ، وعلم الدين ؟

إنطلاقة الإسلام كلّه تنبع من جديد ، ورسول الله يقودها من جديد ،

بشخص ريحانته ، وبسطه الحسين ؟

وهذه نداءات الإسلام يبئها أيّنا حلّ ، والجميع يعرفها ! ولا يعرف

للإسلام معنى في سواها ؟

ومصارع أبناء الرسول ؟ !!

وتيار الانحراف يجرف الحدود ، ويقتحم السodos ؟ !

وأشياء أخرى لا تنتهي ...

وتعود بي الأفكار إلى سنين خلت ، وأنا أدرج على سلم الدرس ، لم أشدّ

فيها عن معلّمي ، فقلت : ليتني سمعتُ إذ ذاك ما يروي ضمائي ..

ولكن ، ما هو ذنب معلّمي ! إنّه مثلّي ، كان يسمع ما كنت أسمعه ، وليس

إلا ..

بل ليتها مناهجنا قد نالت شرف الوفاء لهذا العطاء الفريد ..

ليتها مررت على فصول تلك الملائم ، ولو مرر العابرين ! من غير

تعظيم ، أو تمجيد ، أو ثناء ..

فليس ثمة حاجة إلى شيء من هذا القبيل ، فقد تألّق أولئك الأبطال

فوق ذروة المديح والثناء ، فكأنّي أنظر إلى منابر التمجيد والإطراء مهطعةً تحدّق

نحوهم ، وهم يُحلّقون في قبة السماء !!
ثم أنت يا حلق الوعظ ، ويا خطب الجمّع ويا بيوتات الدين ، أين أنت
من هذا البحر اللامتناهي ؟ !

لقد صحبتك طويلاً ، فليتني وجدتك اتخذت من أولئك الأبطال ، وتلك
المشاهد أمثلة تُحتذى في معاني اليقين والجهاد ، أو الإقدام والثبات ، أو التضحية
والفداء ، أو النصرة والإباء ، أو الحب والعطاء ، أو غيرها مما يفيض به ميدان
العطاء غير المتناهي ذاك ، كما عهدتكم مع نظائرها ، وما هو أدنى منها بكثير !
وأين أنت أيتها الدنيا ؟ !

وعلى أيّ فلك تجري أيّها التاريخ؟!

ألا تخشى أن يحاكمك الأحرار يوماً ؟
عتاب لاذع ، وأسئلة لا تنتهي ، والناس منها على طرقٍ شتى ..
 فهي تمر على أقوام فلا يكاد يوقظهم صداها ، ولا يُفزعهم صخوها !!
ورأيتها تمر على آخرين فتكاد تنزع أفتديهم ، من شدة ما لهم معها من
هياج ونحيب ، وأدمع تجري فلا ترید أن تكف ..
ويلتهبون على الجنة غيظاً ونقمّة وحنقاً ..
فتمتليء صدورهم من هذا وذاك بكل معاني الموالاة والبراءة ..
موالاة الله وأوليائه ، وبراءة من أعدائه ..
ولم لا تنظر الأكباد لفاجعة كهذه !
وبدلاً من أن تهرب من ذكرها - أيتها الدنيا - في العام مرّة ، أولى بك
أن تقفي عندها كل يوم ألف مرّة ، ولا تستكري .
أكثر أن يحيا الحسين السبط بيننا على الدوام ، وليس كثيراً أن يُقتل بين
يديك كل يوم ألف مرّة ؟ !

وعندما رحت أتعجب من هذا الانقسام ، عدت مع هذه الواقعة إلى الوراء ، فإذا الناس من حينها كحالم الآن ، فهم بين من حمل الحسين مبدئاً ، وقسّك به إماماً وأسوةً ، ودليلًا إلى طريق الفلاح ، فوضع نفسه وبنيه دون أن يُمسّ الحسين ، وبين من حمل رأس الحسين هديةً إلى يزيد !

وبين هذا وذاك منازل شتى في القرب والبعد من معالم الحسين ..
وأشياء أخرى تطول ، فقد استضاءت الدنيا كلّها من حولي ، وبدت لي شاخصة معالم الطريق ..

فرأيت الحكمة في أن أسلك الطريق من أوله ، وأبتدئ المسيرة بالخطوة الأولى لتتلوها خطى ثابتة على يقين وبصيرة ..

وابتدأت ، وإن كانت الأيام تشغلي بين الحين والحين بما يصدّ المرء عن نفسه وبنيه ، إلاّ أنّي أعود إذا تنفسْت فاتابع الخطى .

وقد حملتُ الصفحات الآتية أهم تلك الخطى ، ولم أكن أفقد إحساسي بمدد الله تعالى وتوفيقاته مادمت أشعر بالقرب منه جلّ جلاله ..

وهو حسبي ..



مدخل .

في فضائل أهل البيت ...

في هذا الباب من السعة ما قصرت عنه التصانيف الكبار ، غير أننا سنشير هنا إلى شيء من فضائلهم - عليهم السلام - التي لم يشاركهم فيها أحد من الناس ، تاركين ما يتعلّق منها بالفصول القادمة إلى محله ، ليكون هذا مدخلاً لما يليه ...

١- آية المباهلة :

هذه الآية التي خلّدت حدثاً هو من أظهر معاجز سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ جاء وفد نصارى نجران يدعى لنفسه الحق والظهور على الدين كله ، فخاطب الملك المقتدر حبيبه المصطفى ، فقال : ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَاجِئَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾^(١) .

فمن الّذين اصطفاهم الله تعالى لتلك المنازل العظمى ؟
أولئك هم الّذين انتخبهم رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسـلم مصداقاً
لهذه الآية الكريمة : عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، ولا أحد سواهم ^(١) .
قال البغوي في تفسيره : ﴿أَبْنَاءُنَا﴾ أراد الحسن والحسين ^(وَنِسَاءُنَا)
فاطمة ^(وَأَنفُسُنَا) عنى نفسه وعلىّاً رضي الله عنه ^(٢) .
وقال الرازى : هذه الآية دالة على أنّ الحسن والحسين عليهما السلام كانوا
ابني رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسـلم ، وعَدَ أن يدعوا أبناءه فدعا الحسن
والحسين فوجب أن يكونا ابنيه ^(٣) .

وهكذا يقال في عليّ عليه السلام ، إذ وعد رسول الله صلّى الله عليه وآلـه
وسـلم فقال : ^(وَأَنفُسُنَا) فجاء بعليّ معه .

ثمّ كانت بضعة الزهاء البتوّل كلّ ما اصطفاه من نساء أمّته .
وأمّا الزمخشري فيقول : وقدّمهم في الذكر على الأنفس لينبئه على لطف
مكانهم ، وقرب منزلتهم ، بأنّهم مقدّمون على الأنفس ، مُقدّدون بها ، وفيه دليل
لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكسائ ^(٤) ، وفيه برهان واضح على صحة
نبّوة النبي صلّى الله عليه وآلـه وسـلم ^(٥) .

(١) انظر صحيح مسلم ٤ : ١٨٧١ / (٣٢ - ٢٤٠٤) ، سنن الترمذى ٥ : ٢٩٩٩ / ٢٢٥ ، مصابيح
السنة ٤ : ١٨٣ / ٤٧٩٥ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٢٩٣ ، أسباب النزول للواحدى : ٦٠ ، تفسير
الرازى ٨ : ٨١ ، تفسير الزمخشري ١ : ٣٦٨ ، تفسير القرطبي ٤ : ١٠٤ ، تفسير الآلوسي (روح
المعانى) ٣ : ١٨٨ - ١٨٩ ، تفسير النسفي ١ : ٢٢١ ، تفسير أبي السعود ٢ : ٤٦ ، تفسير فتح القدير
للشوكاني ١ : ٣٤٧ - ٣٤٨ ، معلم التنزيل للبغوي ١ : ٤٨٠ ، جامع الاصول ٩ : ٤٧٠ / ٦٤٧٩
وسائل كتب التفسير ، ومناقب أهل البيت عليهم السلام .

(٢) معلم التنزيل ١ : ٤٨٠ .

(٣) تفسير الرازى ٨ : ٨١ .

(٤) سياق بيانه في الحديث اللاحق .

(٥) التفسير الكشاف ١ : ٣٦٩ - ٣٧٠ .

٢- آية التطهير وحديث الكسأء:

قد تقدّمت شهادة الزمخشري بأنّ أصحاب الكسأء هم : محمد رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم ، وعلى ، فاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام ،
فما هو خبر الكسأء ، وما صلته بآية التطهير ؟

أخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة : خرج النبي صلى الله عليه وأله وسلم غداً عليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ^(١) من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢).

وروى الزمخشري هذا الحديث في تفسيره ، ورواه الرازي أيضاً ، ثم عقب عليه بقوله : واعلم أن هذه الرواية كالتقى على صحتها بين أهل التفسير والحديث^(٣).

وأخرج الترمذى حديث أم سلامة : أن النبي صلى الله عليه وأله وسلم جلّى على الحسن والحسين وعلى فاطمة كسأء وقال : «اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي ، وحامي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا».
قالت أم سلامة : وأنا معهم ، يا رسول الله ؟
 فقال : «إِنَّكَ عَلَىٰ خَيْرٍ»^(٤).

(١) المِرْطُ : كسأء من صوف أواخر ، ويقال : مِرْطٌ مُرَحَّلٌ : إذا كان منقوش عليه صور الرجال ، أو فيه علم.

(٢) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - ٤ : ١٨٨٣ / ٢٤٢٤ .

(٣) تفسير الرازي - عند الآية (٦١) من سورة آل عمران - ٨ : ٨٠ .

(٤) سنن الترمذى - كتاب التفسير - ٥ : ٣٥١ / ٣٢٠٥ - وكتاب المناقب - ٥ : ٦٦٣ / ٣٧٨٧ و ٦٦٩
←

وهكذا يثبت أن أصحاب الكسae الحخمسة هم المشار إليهم في آية التطهير.
فعن سعد بن أبي وقاص : لما نزلت هذه الآية ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَائِكُمْ ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً
فقال : « اللهم ، هؤلاء أهلي »^(١).

وقال الواعدي : إن هذه الآية نزلت في خمسة : النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام^(٢).
وأفرد المحب الطبرى باباً أسماء : باب في بيان أن فاطمة وعلياً والحسن
والحسين هم أهل البيت المشار إليهم في قوله تعالى : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُم الرُّجْسَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا »^(٣).

→ ٣٨٧١ /

(١) صحيح مسلم : ٤ / ١٨٧١ (٢٤٠٤ - ٣٢) ، سنن الترمذى ٥ : ٦٢٨ / ٣٧٢٤ ، مصايب الحسنة ٤ / ١٨٣ / ٤٧٩٥ ، جامع الأصول ٩ : ٤٧٠ ، الاستيعاب - بهامش الإصابة - ٣ ، أسد الغابة ٤ : ٢٦ ، وغيرهم كثير .

(٢) أسباب النزول للواحدى : ٢٠٠ .

(٣) ذخائر العقبي ، وذكر في ذلك عدة أحاديث بين ص : ٢١ - ٢٤ .
ومن مصادر حديث الكسae غير ما تقدم : مسنـد أـحمد ٤ : ٢٠٤ ، ٢٩٢:٦١٠٧ ، مصايب الحسنة ٤ / ١٨٣ / ٤٧٩٦ ، المستدرك ٢:٤١٦ ، ١٤٨:٣ ، الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ : ٦١ / ٦٩٣٧ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٨٣ ، الصواعق المحرقة : باب ١١ الفصل ١ : ١٤٣ ، الحصائص للنسائي : ٤ ، شواهد التنزيل ٢ : ٩٢ / ٦٣٧ - ٧٧٤ ، أسد الغابة ٤ : ٢٩ ، الحصائص الكبرى للسيوطى ٢ : ٤٦٤ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٦٧ .

٣- القرآن الكريم يأمر بموذّهم:

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾^(١).

قال الزمخشري : روي أنها لما نزلت قيل : يا رسول الله ، من هم قرباتك الذين وجبت علينا مودتهم ؟

قال صلّى الله عليه وآلـه وسلم : « عليّ وفاطمة ، وابنـاهما »^(٢).

ورواه عنه الرازـي ، ثم قال : فثبتت أن هؤلاء الأربعـة أقاربـ النبيـ صلـى اللهـ عليهـ وآلـهـ وسلمـ ، وإذا ثبتـ هذاـ وجـبـ أنـ يـكونـواـ مـخـصـوصـينـ بمـزيدـ منـ التعـظـيمـ ، ويـدلـ علىـ وجـوهـ :

الأولـ : قولهـ تعالىـ : ﴿ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ .

الثانيـ : لاـشـكـ أنـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ يـحـبـ فـاطـمـةـ عـلـيـهاـ السـلامـ ، قالـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ : « فـاطـمـةـ بـضـعـةـ مـنـ يـؤـذـنـيـ مـاـيـؤـذـهاـ » وـثـبـتـ بـالـنـقـلـ المـتوـاـتـرـ عـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ أـنـ كـانـ يـحـبـ عـلـيـاـ وـالـحـسـنـ وـالـحـسـيـنـ ، وـإـذـاـ ثـبـتـ ذـلـكـ وـجـبـ عـلـىـ كـلـ الـأـمـةـ مـثـلـهـ ، لـقولـهـ تـعـالـىـ : ﴿ وـاتـبـعـوـهـ لـعـلـكـمـ تـهـتـدـونـ ﴾ وـلـقولـهـ : ﴿ فـلـيـحـذـرـ الـذـيـنـ يـخـالـفـونـ عـنـ أـمـرـهـ ﴾ .

الثالثـ : أـنـ الدـعـاءـ لـلـآـلـ مـنـصـبـ عـظـيمـ ، وـلـذـلـكـ جـعـلـ هـذـاـ الدـعـاءـ خـاتـمـ التـشـهـيدـ فيـ الصـلاـةـ ، وـهـوـ قـولـهـ : « اللـهـمـ صـلـلـ عـلـىـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـ مـحـمـدـ » وـهـذـاـ التـعـظـيمـ لـمـ

(١) سورة الشورى : ٢٣ .

(٢) الكشاف : ٤ : ٢١٩ - ٢٢٠ .

رويـ الحـدـيـثـ أـيـضاـ فـيـ : فـضـائـلـ الصـحـابـةـ ٢ : ٦٩٩ / ١١٤١ ، المـسـتـدـرـكـ ٣ : ١٧٢ ، شـواهدـ التـنزـيلـ ٢ : ١٣٠ مـنـ عـدـةـ طـرقـ ، الصـواعـقـ المـحرـقةـ : بـابـ ١١ـ فـصـلـ ١ : ١٧٠ - الآيةـ ١٤ـ : تـفسـيرـ الرـازـيـ ٢٧ـ : ١٦٦ـ ، بـجـمـعـ الزـوـانـدـ ٩ـ : ١٦٨ـ ، وـسـائـرـ كـتبـ المـناـقبـ .

منهج في الانتهاء المذهبي يوجد في حق غير الآل .

فكل ذلك يدل على أن حب محمد وآل محمد واجب ، وقال الشافعي رضي

الله عنه :

يَارَاكِبًا قِفْ بِالْحَصْبِ مِنْ مِنِي
وَاهْتُفْ بِسَاكِنِ خِيفَهَا وَالنَّاهِضِ
سَحْرًا إِذَا فَاضَ الْمَجِيئُ إِلَى مِنِي
فَيَضًا كَمَا نَظَمَ الْفَرَاتِ الْفَائِضِ
إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبَّ آلِ مُحَمَّدٍ
فَلْيُشْهِدْ الثَّقْلَانِ : أَنِّي رَافِضٌ^(١)

كما وُجِبَ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ :

في قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا »^(٢) .

وهذا مما لا يغيب عن أحد ، فكذلك نؤديه في صلواتنا ، واجبة كانت أم مستحبة ، وفي أذكارنا ودعائنا ، لما ثبت في المتواتر عن صورة الصلاة على النبي حين سُئل : كيف نصلّي عليك ، يارسول الله ؟

فقال : « قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على

(١) تفسير الرازي : ٢٧ : ٦٦١ .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .

إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم
وآل إبراهيم »^(١) .

وفي هذا جاءت أبيات الشافعي الشهيرة :

يأهـلـ بـيـتـ رـسـوـلـ اللـهـ حـبـكـمـ
فـرـضـ مـنـ اللهـ فـيـ الـقـرـآنـ أـنـزـلـهـ
كـفـاـئـمـ مـنـ عـظـيمـ الشـائـانـ أـنـكـمـ
مـنـ لـمـ يـصـلـ عـلـيـكـمـ لـاـ صـلـةـ لـهـ^(٢)

٥ - ويسـرـهـمـ بـالـجـنـهـ وـالـرـضـوانـ :

إذ يقول : ﴿ فَوَاقِعُهُمُ اللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهُمْ نَصْرَةً وَسُرورًا *
وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾^(٣) .

وقد تافق المسلمون على أن هذه الآيات نزلت خاصة في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام في قصة التصدق على المسكين واليتيم والأسير ، وقد ذكرها أغلب أهل التفسير^(٤) .

(١) صحيح البخاري ٦ : ٢١٧ / ٢٩١ ، الترمذى ٥ : ٣٥٩ / ٣٢٢٠ والحديث أشهر من أن تحصي مصادره .

(٢) الصواعق المحرقة : باب ١١ فصل ١ : ١٤٨ .

(٣) الدهر - الإنسان - ١١ : ١٢ .

(٤) انظر : التفسير الكشاف - للمخشري - ٤ : ٦٧٠ ، وتفسير الرازى ٣٠ : ٢٤٣ ، وقال : ذكره الواحدى في كتاب (البسيط) ، فتح التدبر للشوکانى ٥ : ٣٤٩ ، روح المعانى ٢٩ : ١٥٧ - ١٥٨ ، معالم التنزيل للبغوى ٥ : ٤٩٨ ، تفسير أبي السعود ٩ : ٧٣ ، تفسير البيضاوى ٢ : ٥٥٢ ، تفسير النسفي ٣ : ٦٢٨ .

٦- علٰيٰ وارث علم النبي :

فقد قال عليه السلام : « علّمني رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم ألف باب من العلم وتشعّب لي من كلّ باب ألف باب »^(١) .
وقال عليه السلام أيضاً : « كنت إذا سأّلت رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم أعطاني ، وإذا سكتُ ابتدأني »^(٢) .

٧- وأحبُّ الخلقِ إلى الله :

وما يشهد لهذا : حديث (الطائر المشوي) الشهير ، كما يرويه أنس بن مالك ، وخلاصته ، قال : كان عند النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلم طير أهدي إليه ، فقال : « اللهم إئنني بأحّب الخلق إليك ليأكل معي هذا الطير » .

فجاء عليه فرددته ، ثم جاء فرددته ، فدخل في الثالثة ، أو في الرابعة ، فقال له النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلم : « ما حبسك عنّي » ؟ .

→ روح البيان للشيخ اساعيل حقي ١٠ : ٢٦٨ وقد استوف الموضوع تفصيلاً ومناقشة.

(١) تفسير الرازى ٨ : ٢١ - عند تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ...﴾ «آل عمران: ٢٣» . ورواه ابن عساكر في تاريخه كما في ترجمة الإمام علي منه ٢ : ٤٨٥ / ١٠١٢ ، والجويني في فرائد السمعتين ١ : ١٠١ / ٧٠ ، والمتقي في كنز العمال ١٣ : ١١٤ / ٣٦٣٧٢ ، والحافظ المغربي في (فتح الملك العلي) : ٤٨ .

(٢) سنن الترمذى ٥ : ٦٣٧ و ٦٤٠ / ٣٧٢٢ و ٣٧٢٩ ، مصابيح السنة ٤ : ١٧٤ / ٤٧٧١ ، المستدرک ١٢٥ : ٣ ، الخصائص للثانية : ٣٠ ، أسد الغابة ٤ : ٢٩ ، جامع الاصول ٩ : ٤٧٤ / ٦٤٩٢ ، الصواعق المحرقة - باب ٩ - ١٢٣ ، حلية الأولياء ١ : ٦٨ ، كنز العمال ١٣ / ٣٦٣٨٧ .

قال : والذى بعثك بالحقّ نبِيًّا إِنِّي لأُضْرِبُ الْبَابَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَيَرْدَنِي أَنْسٌ .

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لم رددته » ؟ .

قلت : كنت أُحِبُّ مَعَهُ رجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ^(١) .

٨- وأَخْصُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ :

فلا أحد أقرب ولا أخص منه برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ففي حديث المناجاة ، عن جابر ، وعبد الله بن عباس : دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ الطَّائِفَ فَانْتَجَاهَ ، فقال الناس : لقد طال نجواه مع ابن عمّه ! فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَنَا انتجيتَهُ ، وَلَكُنَّ اللَّهُ انتَجَاهَ » ^(٢) .

(١) سنن الترمذى ٥ : ٦٣٦ / ٣٧٢١ ، الحصاص للنسانى : ٥ ، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ : ٥٦٠ / ٩٤٥ ، المستدرک على الصحيحين ٣ : ١٣٠ - ١٣٢ ، وصححه ، وقال رواه عن أنس اكثرا من ثلاثين نفساً ، ومصابيح السنة ٤ : ٤٧٧٠ / ١٧٣ ، أسد الغابة ٤ : ٣٠ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٦٣ ، جامع الاصول ٩ : ٤٧١ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر كما في ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق ٢ : ١٠٦ - ١٣٤ من اربع واربعين طريقاً ، الرياض النضرة ٣ : ١١٥ - ١١٤ ، ذخائر العقبي : ٦١ ، وكفاية الطالب : ١٤٤ - ١٥٦ وأحصى فيه ستة وثمانين رجلاً كلهم رواه عن أنس ، وقال الخوارزمي في مقتل الامام الحسين (ص ٤٦) : أخرج ابن مردوية هذا الحديث بيافة وعشرين إسناداً وسيأتي أن الذهبي ألف جزءاً فيها اعتمد من طريق هذا الحديث .

(٢) الترمذى ٥ : ٦٣٩ / ٣٧٢٦ ، مصابيح السنة ٤ : ٤٧٧٣ / ١٧٥ ، أسد الغابة ٤ : ٢٧ ، جامع الاصول ٩ : ٦٤٩٣ / ١٢٤ - ١٦٢ من خمسة طرق ، مناقب الخوارزمي : ٨٢ ، النهاية في الحديث ٥ : ٢٥ ، تاج المرؤس ١٠: ٣٥٨، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٧٣: ٩ / ٢١ ، الرياض النضرة ٣ : ١٧٠ ، البداية والنهاية : ٧ : ٣٦٩ .

وفي حديث سد الأبواب : عن عبد الله بن عباس ، وزيد بن أرقم ، وغيرهم : كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبواب شارعة في المسجد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « سُدُّوا الأبواب ، إِلَّا بَابُ عَلَيْ ». ^(١)

فتكلّم بذلك الناس ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فحمد الله وأتني عليه ، ثم قال : « أَمَا بَعْد ، فَإِنِّي أَمْرَتْ بِسَدِّ هَذِهِ الْأَبْوَابِ إِلَّا بَابَ عَلَيْ ». وقال فيه قائلكم ، والله ما سدّته ولا فتحته ، ولكنّي أَمْرَتْ فَاتَّبَعْتُه »^(٢) !

٩ - علامة الإيمان :

قال عليّ عليه السلام : « والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنّه لعهد النبي إلى : لا يحبّنى إِلَّا مُؤْمِنٌ ، ولا يبغضنى إِلَّا مُنَافِقٌ »^(٣) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : إِنَّا كُنَا لَنَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ -

(١) الترمذى ٥ : ٦٤١ / ٢٧٣٢ ، أَحْمَد فِي الْمُسْنَد ١ : ٣٣١ ، فتح الباري بشرح صحيح البخارى ٧ : ١٣ ، أحكام القرآن لابن عربى ١ : ٤٣٨ ، المستدرك ٣ : ١٢٥ ، ابن عساكر كما في الترجمة ١ : ٢٧٥ / ٣٢٣ وبعده من واحد وعشرين طريقة ، جمجم الزوائد ٩ : ١١٤ - ١١٥ ، الرياض النضرة ٣ : ١٥٨ ذخائر العقبي ٧٦ ، الخصائص للنسائي ١٣ ، الإصابة للسعقلاني ٤ : ٢٧٠ ، جامع الاصول ٩ : ٤٧٥ / ٦٤٩٤ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٥٥ ، جميع كتب المناقب .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - ١ : ٨٦ ، سنن الترمذى ٥ : ٦٤٣ / ٣٧٣٦ ، سنن النسائي - كتاب الإيمان - ٨ : ١١٦ ، وآخرجه أيضًا في الخصائص : ٢٧ ، سنن ابن ماجة ١ : ٤٢ / ١١٤ ، مصباح السنة ٤ : ١٧١ / ٤٧٦٣ ، ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢ : ٦٨٢ / ١٩٠ ، ٦٨٥ ، جامع الاصول ٩ : ٤٧٣ / ٦٤٨٨ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٦٨ ، الاستيعاب - بهامش الإصابة ٣ : ٣٧ ، الإصابة ٤ : ٢٧١ ، أسد الغابة ٤ : ٢٦ .

نَحْنُ مُعْشِرُ الْأَنْصَارِ - بِيَغْضُهُمْ عَلَيْيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(١) .
وَعَنْ أَبِي ذِرَّةِ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : مَا كَنَّا نَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا
بِتَكْذِيبِهِمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَالتَّخْلُفُ عَنِ الصَّلَواتِ ، وَالْبَغْضُ لِعَلَيْيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(٢) .

١٠- الصَّدِيقُونَ ثَلَاثَةٌ :

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « الصَّدِيقُونَ ثَلَاثَةٌ : حَبِيبُ النَّجَارِ مُؤْمِنٌ
آلَ يَاسِينَ ، قَالَ : ﴿ يَا قَوْمَ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ .
وَحَزْقِيلُ مُؤْمِنٌ آلُ فَرْعَوْنَ ، قَالَ : ﴿ أَتَقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ .
وَعَلَيْيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ^(٣) .

١١- السُّبُّقُ ثَلَاثَةٌ :

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « السُّبُّقُ ثَلَاثَةٌ : السَّابِقُ إِلَى مُوسَىٰ ، يُوشِعٌ

(١) سنن الترمذى ٥ : ٦٣٥ / ٣٧٧٧ ، الاستيعاب ٣ : ٣٦ فضائل الصحابة ٢ : ٥٧٩ / ٩٧٩ ، أسد الغابة ٤ : ٣٠ ، جامع الاصول ٩ : ٤٧٣ / ٦٤٨٦ الترجمة من تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢١٩ / ٧٢٢ .
وَحْزِقِيلُ مُؤْمِنٌ آلُ فَرْعَوْنَ ، قَالَ : ﴿ أَتَقْتَلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ .
وَعَلَيْيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ^(٣) .

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٢٩ وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) الصواعق المحرقة باب ٩ . فصل ٢ / ٣٠ ، ٣١ ، وأخرجه أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ في فضائل الصحابة ٢ : ٦٢٧ / ٦٥٥ و ١١٧ / ١١١ ، والدِيلِمِيُّ في الْفَرْدُوسِ ٢ : ٥٨١ / ٣٦٨١ ، وابن عساكر كما في الترجمة ١ : ٩١ / ١٢٦ ، ابن المغازلي في المناقب ٢٤٥ / ٢٩٣ و ٢٩٤ والخوارزمي في المناقب : ٢١٩ ، السيوطي في الحاجم الصغير ٢ : ١١٥ / ٥١٤٨ ، و المتقي في الكنز ١١ / ٣٢٨٩٧ ، المحب الطبرى في ذخائر العقبى : ٥٨ ، السيرة الخلبية ١ : ٤٣٥ ، شواهد التنزيل ٢ : ٩٣٨ / ٢٢٣ .

والسابق إلى عيسى ، صاحب ياسين .

والسابق إلى محمد ، علي بن أبي طالب »^(١) .

١٢ - ولَا قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْآيَاتِ : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذْنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ . . . ﴾ الْآيَاتُ^(٢) ، سُئِلَ : أَيْ بَيْوَتٍ هَذِهِ ؟ فَقَالَ : « بَيْوَتُ الْأَنْبِيَاءِ » .

قال أبو بكر : يا رسول الله ، هذا البيت منها ؟ - يعني بيت علي وفاطمة - .

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ ، مِنْ أَفَاضِلِهَا »^(٣) .

فهو بيت ضم بين أركانه أخا رسول الله وأحباب الناس إليه وسيد العرب على ابن أبي طالب ، مع بضعة رسول الله ، سيدة نساء أهل الجنة - فاطمة الزهراء - مع ريحانتي رسول الله ، وسبطيه ، وسيدي شباب أهل الجنة - الحسن والحسين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فكيف لا يكون من أفضليها ؟

(١) الصواعق المحرقة باب ٩ . فصل ٢ / ٢٩ . وقال : أخرجه الديلمي عن عائشة ، والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس ، وهو في مجمع الزوائد ٩ : ١٠٢ ، كنز العمال ١١ / ٣٢٨٩٦ ، والرياض النضرة ٣ : ١١٠ ، ذخائر العقبي : ٥٨ ، الجامع الصغير ٢ / ٦٦ ، ٤٧٩٥ ، المناقب للخوارزمي : ٢٠ ، شواهد التنزيل ٢ / ٩٢٤ - ٩٣١ .

(٢) النور : ٣٦ - ٣٨ .

(٣) الدر المنشور ، عند تفسير الآية ، وقال : أخرجه ابن مردويه عن أنس بن مالك ، وبريدة . وذكره الحاكم في شواهد التنزيل : من سورة النور ح / ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، واللوسي في روح المعاني ١٨ : ١٧٤ .

لابد من إمام

- * الإمامة في القرآن
- * في السنة
- * وفي الإجماع

الإمامية في القرآن

في القرآن الكريم نصوص تفيد إفادةً واضحةً ضرورة وجود إمام يقتدي به في كل زمان .

وفيها أيضاً تفصيل حال الناس ، وأن لكل فئة منهم إماماً يقتدي به ، برأً كان أو فاجراً ، سواء كان ﴿يهدى إلى الحق﴾ أم يهدي إلى الضلال والنار . والناس على ذلك منقسمون .

ثم جعل لزاماً على المؤمنين التزام الإمام الحق في كل زمان ..

ومن تلك النصوص الشريفة :

١ - قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهُدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

قال المفسرون : والمعنى : ولنجعلنّ من أُمّتك أئمّةً يهدون مثل تلك الهدایة لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين^(٢).

(١) سورة السجدة : ٢٤ .

(٢) الكشاف ٣ : ٥١٦ ، روح المعاني ٢١ : ١٣٨ ، تفسير أبي السعود ٧ : ٨٧ ، تفسير المراغي ٢١ : ١١٨ .

وبنفس المعنى في : تفسير الرازبي ٢٥ : ١٨٦ ، تفسير النسفي ٣ : ٤٥ .

- ٢ - قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالذِّينَ آمَنُوا﴾ الآية^(١).
- ٣ - قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٢).
- ٤ - قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّبِعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ﴾^(٣).

ففي هذه الآيات يُلزم الله جل جلاله عباده المؤمنين بالتمسك بولاية الولي الحق وإطاعته ، وأن طاعته هي طاعة الله ولرسوله ، وهي الأصل في كونهم (حزب الله) .

وقوله تبارك اسمه : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنْاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(٤) فلكل طائفة من الناس إمام يأتقون به ، وهذا حال الناس منذ خلق الله آدم ، وإلى قيام الساعة^(٥) .

(١) المائدة : ٥٥ .

(٢) المائدة : ٥٦ .

(٣) النساء : ٥٩ .

(٤) الإسراء : ٧١ .

(٥) إن هناك وجوهاً أخرى في تفسير «إمام» في هذه الآية ، وقد تعرض لها صاحب تفسير الميزان وأجاب عليها ، وذكر خلاصة كلامه ، قال : فمنها - أي تلك الوجوه - قولهم إن الإمام هنا هو الكتاب المنزل كالقرآن والتوراة ، وفيه : أنه معلوم لا كتاب ولا صحف أو لواح قبل نوح (عليه السلام) ، وعلى مقتضى تفسيرهم خرج من قبل نوح من عموم الدعوة .

ومنها : قولهم إن المراد بالإمام هو اللوح المحفوظ . قال : لم يصلح هذا ، لكون اللوح المحفوظ واحداً ، والآية تفيد أن لكل طائفة من الناس إماماً غير ما لغيرهم .

ومنها : أن الإمام هو النبي ، وفيه أنهم أخذوا الإمام بمعناه العرفي ، ولا سبيل إليه مع وجود معنى خاص له في عرف القرآن وهو الذي يهدي بأمر الله ، أو المؤتمن به في الظلال . وكذلك فإنه لا يلائمه ما في الآية من تفريع ، أعني قول : ﴿فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَ بِيْمِينِهِ﴾ و﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ إذ لا تفرع بين الدعوة بالإمام بهذا المعنى ، وبين إعطاء الكتاب باليمن أو العمى ، فالآلية الكريمة تقول : ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ

وفي السنة

وفي الحديث النبوي الشريف ما يقطع بوجوب الإمامة ، ومن ذلك :
 ١ - قوله صلّى الله عليه وآلـه وسلـمـ : « مَنْ ماتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » ^(١).

وفي رواية : « مَنْ ماتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ فَإِنَّ مُوْتَهُ مُوْتَهُ جَاهِلِيَّةً » ^(٢).
 وفي رواية أخرى : « مَنْ ماتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامًا زَمَانَهُ ، ماتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » ^(٣).

وهذه نصوص صريحة ، وخطابات واضحة منه صلّى الله عليه وآلـه وسلـمـ إلى أفراد المؤمنين كافةً ، إلى كلّ من أقرّ بالتوحيد والنبوة واليوم الآخر وكلّ ضرورات الدين ، فهو وإن كان على ذلك كله إلاّ أنه ليس على شيء ، بل هو على أمر الجاهلية ، ما لم يعرف إمام زمانه .

أناس يأمامهم فمن أُوقي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً * ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ^{﴿﴾} . انتهى بإيجاز .

ومما يؤكد هذا المعنى ، ما ذكره اليعقوبي في تاريخه ، بباب خطب رسول الله ومواعظه ، فقال: خطب رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلـمـ يوماً فقال في خطبته : « اذكروا الموت فإنه آخذ بنو اصحابكم - إلى أن قال - : إن العبد لا تزول قدماه يوم القيمة حتى يسأل عن عمره فيها أفناء ، وعن شبابه فيها أباء ، وعن ماله مما اكتسبه وفيها أنفشه ، وعن إمامه من هو ؟ قال الله ، عز وجل : « يوم ندعوا كلّ اناس يأمامهم ^{﴿﴾} إلى آخر الآية - تاريخ اليعقوبي ٢ : ٩٠ .

(١) مسند أحمد ٤ : ٩٦ ، الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧ : ٤٩ / ٤٥٥٤ ، حلية الأولياء ٣ : ٢٢٤ ، كنز العمال ١ : ١٠٣ / ٤٦٤ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ١ : ١١٧ ، بجمع الروايند ٥ : ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، الدر المنشور ٢ : ٢٨٦ - عند الآية (١٠٣) من سورة آل عمران - .

(٣) ينابيع المودة : ١١٧ .

وهذه المعرفة، بإمام زمانه، يفصلها النص الآخر الذي يؤكّد النصوص المتقدمة ، ويبينها ، وهو :

٢ - قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ ماتَ وَلَيْسَ فِيْ عُنْقِهِ بَيْعَةً ، مَاتَ بِمِيتَةِ جَاهِلِيَّةَ »^(١) .

فالمعرفة بالإمام إذن هي في أداء البيعة له ، والتي تقتضي - بداعه - طاعته وموالاته ، ومعاداة أعدائه ، والبراءة من كلّ ولاية غير ولائته التي هي ولاية الله ورسوله ، كما دلت عليه النصوص القرآنية المتقدمة .

وهكذا يقرر الإسلام أنّ لكلّ زمان إماماً حقاً ،
ويقضي بوجوب البيعة له . . .

وهذا ما تجب معرفته في البدء .

اثنا عشر إماماً

ثمّ بعد ذلك يأتي الإسلام ليحدد الأئمة - الذين جعل البيعة لهم تمام الدين ، وحقيقة معناه - باثنى عشر إماماً ، عدداً معدوداً ، كما ثبت ذلك لدى المسلمين في الصحيح مما اتفقوا عليه من السنة النبوية المطهرة :
ففي صحيح البخاري^(٢) : عن جابر بن سمرة ، قال : سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول :

(١) صحيح مسلم - كتاب الامارة - ٣ : ٥٨ / ١٤٧٨ - (١٨٥١) ، السنن الكبرى ٨ : ١٥٦ ، جامع الأصول ٤ : ٤٦٣ / ٢٠٦٥ ، بجمع الزوائد ٥ : ٢١٨ ، تفسير ابن كثير ١ : ٥٣٠ - عند الآية (٥٩) من سورة النساء - .

(٢) ج ٩ - كتاب الأحكام - ٧٩ / ١٤٧ ، ورواه الترمذى في السنن كتاب الفتن ٤ : ٥٠١ / ٢٢٢٣ .

« يكون بعدي اثنا عشر أميراً » فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي : إنه قال : « كُلُّهُمْ مِنْ قَرِيشٍ » .

وفي صحيح مسلم^(١) : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال :

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقُضِي حَتَّى يَمْضِي فِيهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً » قال : ثُمَّ تَكَلَّمُ بِكَلَامٍ خَفِيَ عَلَيَّ ، فَقَلَتْ لِأَبِي : مَا قَالَ ؟ قَالَ : قَالَ : « كُلُّهُمْ مِنْ قَرِيشٍ » . وأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ^(٢) بِطَرِيقَيْنِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ – وَهُوَ يُقْرَئُهُمُ الْقُرْآنَ – يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، هَلْ سَأَلْتَمِ رسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَمْ تَمْلِكُ الْأُمَّةَ مِنْ خَلِيفَةً ؟ فَقَالَ أَبْنَى مَسْعُودٍ : مَا سَأَلْتَنِي عَنْهَا أَحَدٌ مِنْذَ قَدِمَتِ الْعَرَاقُ قَبْلَكَ ، ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَقَدْ سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « اثْنَا عَشَرَ ، كَعْدَةٌ نَقِيَّاءٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ أَيْضًا^(٣) : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : « لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، وَيَكُونُ عَلَيْهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً ، كُلُّهُمْ مِنْ قَرِيشٍ »^(٤) .

(١) ج ٣ - كتاب الامارة - ١٤٥٢ / ٥ (١٨٢١) وبعده من سبعة طرق ، وجامع الاصول ٤ : ٤٤٠ ، ٤٤٢ .

(٢) ج ١ : ٣٩٨ ، ٤٠٦ .

(٣) ج ٣ - كتاب الامارة - ١٤٥٣ / ١٠ (١٨٢٢) ، ورواه أبو داود في سننه ٤ : ٤٢٨٠ ، والبغوي في مصابيح السنة ٤ : ١٣٧ ، ٤٦٨٠ ، والجزري في جامع الاصول ٤ : ٤٤٢ ، ٤٤٠ .

(٤) وقدورد هذا الحديث : « الخلفاء بعدي اثنا عشر » في صحيح البخاري بثلاثة طرق وفي مسلم ٩ « طرق ، وأبو داود في ٣ « طرق ، والترمذى بطريق واحد ، وأحمد ٩ « طرق وغيرهم بطريق آخرى .

وفي الإجماع

قال ابن حزم^(١):

اتفق جميع أهل السنة ، وجميع المرجنة وجميع الشيعة ، وجميع المغوارج على وجوب الإمامة .

وأنَّ الأُمَّةَ واجب عليها الانقياد لِإِمَامٍ عادلٍ ، يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ^(٢) .

قال : والقرآن والسنة قد وردا بإيجاب الإمامة ، ومن ذلك : قوله تعالى :

﴿ أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُمْ ﴾ مع أحاديث كثيرة صحاح في طاعة الأنبياء ، وإيجاب الإمامة^(٣) .

وقال القلقشندي^(٤):

في وجوب عقد الإمامة لمن يقوم بها ، قال الماوردي : وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع ، وإن شدَّ عنه الأصم^(٥) .

(١) هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، عالم الأندلس وأمامها ولد بقرطبة ، ثم أقصى إلى بادية لبلة فتوفي فيها سنة ٤٥٦ هـ الأعلام - للزركي - ٤ : ٢٥٤ .

(٢) قال : حاشا النجدات من المغوارج فاتهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم ، وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد ، وهو المنسوبون إلى نجدة بن عمير الحنفية القائم بالبيامة .

ثم قال : وقول هذه الفرقة ساقط ، ورد عليه : بالإجماع ، والقرآن ، والسنة .

(٣) الفصل في الملل والنحل ٤ : ٨٧ .

(٤) هو أحمد بن عبد الله القلقشندي الشافعى ، المتوفى سنة ٨٢٠ هـ .

(٥) الأصم : هو عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي . لسان الميزان ٣ : ٤٢٧ وقال ابن أبي الحديد المعتزلي : أبو بكر الأصم من قدماء أصحابنا ، حكى عنه قوله في الإمامة : أنها غير واجبة إذا ←

ثم قال : ولا خلاف بين أهل العلم أنها فرض كفاية - كالجهاد ونحوه -
إذا قام بها من هو أهل لها سقط فرضها عن كافة الناس ، وإن لم يقم بها أحد
أئم من الناس فريقان :

أحددهما : أهل الحال والعقد ، حتى يختاروا للأمة إماماً يقوم بأمرهم .

والثاني : أهل الإمامة ، حتى ينتصب للإمامية أحدهم ^(١) .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري ^(٢) :

قال الناس كلهم - إلا الأصم - : لا بد من إمام ^(٣) .

وأما الإسفرايني ^(٤) ، فقال :

قد اتفق جمهور أهل السنة والجماعة على أصول من أركان الدين ، كل ركن منها يجب على كل عاقل معرفة حقيقته .

ولكل ركن منها شعب : وفي شعبها مسائل اتفق أهل السنة فيها على قول واحد ، وضللو من خالفهم فيها - وعد هذه الأركان إلى أن قال - :

والركن الثاني عشر : الخلافة والإمامية ، وشروط الزعامة .

ثم قال في بيان هذا الركن :

→ تناصفت الأمة ولم تتوظلم - قال - وقال المتأخرن من أصحابنا : إن هذا القول غير مخالف لما عليه الأمة لأنه إذا كان لا يجوز في العادة أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم فيهم ، فقد قال بوجوب الرئاسة على كل حال . شرح النجح لابن أبي الحديد ٢ : ٣٠٨ .

(١) مآثر الإنابة في معالم الخلافة ١ : ٢٩ - ٣٠ باختصار .

(٢) هو علي بن إساعيل بن إسحاق أبو الحسن الأشعري مؤسس مذهب الأشاعرة ، شيخ أهل السنة والجماعة ، كان من الأئمة المتكلمين ، تلقى مذهب المعتزلة ، وتقدم فيه ، ثم رجع ، وجاهر بخلافهم ، توفي ببغداد سنة ٣٢٤ هـ الأعلام - للزركي - ٤ : ٢٦٣ .

(٣) مقالات إسلاميين ٢ : ١٣٣ .

(٤) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرايني ، العالم المتوفى من أئمة الأصول ، كان صدر الإسلام في عصره ولد ونشأ في بغداد ، ثم رحل إلى نيسابور ثم ارتحل منها وتوفي في أسفراين - من نواحي نيسابور - سنة ٤٢٩ هـ . الأعلام - للزركي - ٤ : ٤٨ .

إن الإمامة فرض واجب على الأمة لأجل إقامة الإمام : ينصب لهم القضاة والأمناء ، يضبط ثغورهم ، ويعزى جيوشهم ، ويقسم الفيء بينهم ، وينتصف لظلمومهم من ظالمهم^(١) .

هكذا يتضح أن الإمامة منصب إلهي كما تصرّح الآيات البينات ، وأن معرفة الإمام واجبة كما تقول الأحاديث الشريفة ، وقد انعقد الإجماع على لزومها ، ووجوب إقامة من يقوم بشؤونها ، فلا مجال للشك بعد هذا في ضرورة وجود الإمام ، ولزوم تعينه ، فمن هو الإمام إذن ؟ .

(١) الفرق بين الفرق : ٣٢٣ ، ٣٤٩ .

من هو الإمام؟

* آراء المذاهب في الإمام

* الإمام في القرآن والسنّة

- الله تعالى يقول ورسوله يتحدّث -

* أصحاب الحق يتكلّمون

آراء المذاهب في الإمام

أولاً : مع المذاهب الأربعه :

وننقل خلاصة آراء المذاهب الأربعه في الإمامه والخلافه عن كتاب (تاريخ المذاهب الإسلامية) للشيخ (محمد أبو زهرة) باختصار مفيد ، من مجموع ما ذكره في جزأي كتابه :

«أبو حنيفة» ٨٠ - ١٥٠ هـ

قال المؤلف، بعد أن استعرض موافق أبي حنيفة من الخلافتين الأموية والعباسية ، و موقفه من نهضة زيد بن علي^(١) ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن

(١) هو زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - ذو علم وجلاله وصلاح عدّه طائفة من المسلمين إماماً، فسموا (الزيدية)، وكان خروجه في عهد هشام بن عبد الملك الأموي، من الكوفة، فقتل فيها - رحمه الله - فنصبوا رأسه على قصبة، وصلبوه زماناً، ثم جمع فأحرق وذرى نصفه في الفرات، ونصفه في الزرع، لقول يوسف بن عمر النقفي الذي تولى قتاله : والله - يا أهل الكوفة - لأدعنكم تأكلونه في طعامكم، وتشربونه في ماءكم ! و كان ذلك سنة (١٢١). الطبقات الكبرى ٥: ٣٢٦ و تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٢٦ .

عليه^(١) ، قال :

إذن ، المعروف عن أبي حنيفة ، أنه يرى أن الإمامة يجب أن تكون في أقرباء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأرجح في أبناء على^(٢) .

قال أبو زهرة : والذي يرجح هذا الاختيار أمور :

١ - اعتبار خروج زيد بن عليّ أنه يشبه خروج رسول الله (ص) يوم بدر ، فالمعركة بين الكفر والإيمان .

٢ - عدم توليه عمل لبني أمية ، مع شدة إصرار عاملهم ابن هبيرة^(٣) ،

بقوله : أعطيك أرفع المناصب . بينما قبل فقهاء العراق ، كابن أبي ليلى^(٤) ، وابن شبرمة^(٥) ، ودادود بن أبي هند^(٦) ، وغيرهم كثير .

(١) المعروف بـ (النفس الزكية) ، وكانت نهضته على أبي جعفر المنصور العباسى ، هو وأخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن ، سنة ١٤٥ هـ ، وفيها استشهاداً - رحمها الله تعالى - تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٤٥ .

(٢) قال الرزمي في (الكافر) عند تفسيره قوله تعالى ﴿وَلَا يُنَالْ عَهْدِ الظَّالِمِينَ﴾ - البقرة - ١٢٤ - قال : وكان أبو حنيفة رحمه الله يفني سراً بوجوب نصرة زيد بن علي رضي الله عنها ، وحمل المال إليه ، والخروج معه على اللص المتغلب المشتهر بالإيمان والخليفة كالدوانيقى وأشباهه ، وكان يقول في الدوانيقى وأشباهه : لو أرادوا بناء مسجد ، وأرادونى على عدّ أجره ، لما فعلت . وفي الملل والنحل : وكان أبو حنيفة على بيته (أبي محمد ذو النفس الزكية) ومن جلة شيعته ، حتى رفع الأمر إلى المنصور الدوانيقى فحبسه حتى مات في الحبس ، ولما قتل محمد ذو النفس الزكية بقي أبو حنيفة على بيته يعتقد موالة أهل البيت . المصدر ١ : ١٤٠ .

(٣) هو يزيد بن عمر بن هبيرة والى العراق من قبل مروان بن محمد بن مروان ، وداموا ولايته منذ سنة (١٢٨) حتى قتل على عهد السفاح سنة ١٣٣ هـ . تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٥٣ .

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار ، ويقال هو داود بن الجلاح الانصاري الكوفي ، كان من أصحاب الرأى ، وتولى القضاء بالكوفة ، وأقام عليها حاكماً ثلاثة وثلاثين سنة ، ولـه لبني أميه شم بنى العباس - وكانت وفاته سنة ١٤٨ أيام المنصور ، وهو باق على القضاء . وفيات الأعيان ٤ : ١٧٩ .

(٥) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان بن المنذر الضبي ، أبو شبرمة الكوفي ، كان قاضياً على السواد لأبي جعفر المنصور ، وهو من فقهاء الكوفة ، وفاته سنة ١٤٤ هـ . تهذيب التهذيب ٥ : ٢٥٠ تسلسل / ٤٣٩ .

(٦) داود بن أبي هند ، واسمه دينار بن عذافر أبو محمد البصري ، من موالى بني قشير ، وكان مفتى أهل ←

٣ - خطبته عندما استقرّ الأمر ، لأبي عبد الله السفّاح - مؤسس الدولة العباسية - عندما جمع العلماء بالكوفة ، وخطبهم السفّاح ، فقال : إنّ الخلافة قد عادت إلى أهل بيت نبّيكم ، وأنتم معاشر العلماء أحقّ من أغان ، فباعوا بيعةً تكون عند إمامكم حجّةً لكم ، وأماناً في معادكم .
وكان أبو حنيفة وقتئذ حاضراً ، فنظر إليه العلماء يتطلّعون إلى رأيه ، فقال : الحمد لله الذي أعاد إلينا قرابة رسول الله وأبعد عنا جور الظلمة ، وبسط ألسنتنا بالحقّ .

قالوا : بایعوا على أمر الله ، والوفاء لك بعهدك ، فلا أخلّ الله هذا الأمر من قرابة رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم .

٤ - إنقلابه على العباسيين حين دبّ الخلاف بينهم وبين أبناء عليّ ، ثمّ مبادعته لمحمد بن الحسن أيام المنصور .

«مالك بن أنس» ٩٣ - ١٧٩ هـ

ونظام تعيين الإمام كان يراه حسبما تمّ في سلوك الصحابة ، مضيفاً إليه رأيه ، فهو عنده بأحد طرق أربعة :

- ١ - نظام الشورى ابتداءً ، كما فعل الصحابة في شأن أبي بكر ، وعلىّ .
- ٢ - نظام الاستخلاف بشرط المبادعة ، كما فعل أبو بكر في شأن عمر .
- ٣ - نظام الشورى بين عدد يعينهم الخليفة السابق ، كما فعل عمر .
- ٤ - نظام الغلبة بالسيف ، فمن تغلّب بالسيف ثمّ بایعه الناس ، تُعد ولايته شرعية ، وكان عدلاً في ذاته .

→ البصرة - وقد رأى أنس بن مالك ولم يرو عنه - ولد بمرو وتوفي بالبصرة سنة ١٣٦. تهذيب الكمال : ٨٤٦١ تسلسل ١٧٩٠ / ٦، سير أعلام النبلاء ٣٧٦ : ١٥٨ ت / ١٥٨ .

«الشافعى» ١٥٠ - ٢٠٤ هـ

وله ثلاثة آراء في الإمامة :

- ١ - إنه يرى الإمامة أمراً دينياً لا بد من إقامته .
- ٢ - إنه يرى أنَّ الإمامة في قريش .
- ٣ - لا يشترط لصحة الخلافة أن تكون البيعة سابقة على التولي، بل إنه يقرر أنه لو تغلب متغلب ، وكان قرشيًّا ، ثم استقام له الأمر ، واجتمع عليه الناس ، فإنه يعدَّ إماماً .

قال : وقد روى عنه تلميذه حرملة^(١) ، أنه قال : كلَّ قرشيَّ غَلَبَ على الخلافة بالسيف ، واجتمع عليه الناس ، فهو خليفة .

«أحمد بن حنبل» ١٦٤ - ٢٤١ هـ

وملخص رأيه في الخلافة ، أنها على أربعة أشكال :

- ١ - نظام الشورى ابتداءً ، كانتخاب أبي بكر ، وعلىَّ .
- ٢ - نظام الاستخلاف من الخليفة السابق ، بشرط المبايعة .
- ٣ - الشورى بين عدد معين يختارهم الخليفة السابق ليختاروا واحداً منهم كما فعل عمر .

(١) هو أبو حفص وأبو عبد الله حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة ، كان أكثر أصحاب الشافعى اختلافاً إليه واقتباساً منه . توفي سنة ٢٤٣ وقيل ٢٤٤ . وفيات الأعيان ٢ : ٦٤ ت / ١٥٤ ، طبقات الشافعية ١ : ٦ / ٦١ .

٤ - نظام الفَلَبة بالسيف لكلّ بُرٍّ وفاجر ، فالغالب تجب طاعته .
وقال : قال الإمام أحمد : السمع والطاعة للائمة ، وأمير المؤمنين البرّ والفاجر ، ومن ولی الخلافة فاجتمع عليه الناس ، ورضوا به ، ومن غلبهم بالسيف ، وسمى (أمير المؤمنين) .

والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيمة ، البرّ والفاجر .

ثم قال أبو زهرة : لقد أجمع جمهور العلماء على أنه لا بد من إمام ، يقيم الجمع ، وينظم الجماعات ، وينفذ الحدود ، ويجمع الأموال من الأغنياء ، ويردّها على الفقراء ، ويحمي التغور ، ويفصل بين الناس في الخصومات بالقضاء الذين يعينهم ، ويوحد الكلمة ، وينفذ أحكام الشرع ، ويلم الشعث ، ويجمع المترفق ، ويقيم المدينة الفاضلة التي حتّ الإسلام على إقامتها .

قال : وعلى هذا أجمع المسلمين .

ثانياً : المعتزلة :

ويتلخّص رأيهم في ثلاثة نقاط :

- ١ - إنّ الامامة يستحقّها كلّ من كان قائماً بالكتاب والسنّة .
- ٢ - يتقدّم القرشي على غيره ، فإذا اجتمع قرشيّ ونبيّ وهذا قائماً بالكتاب والسنّة قدّم القرشي .
- ٣ - لا تكون الامامة إلا بإجماع الأمة واختيارها^(١) .

(١) المقالات والفرق : ٨ - ٩ .

ثالثاً : الزيدية :

وهم على قسمين: فمنهم من قال : إنَّ عَلِيًّا (عليه السلام) هو الأفضل بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولكن جاز للأمة أن تولي غيره ، وإليهم يُنْسَب القول بجواز تقديم المفضول على الأفضل .

ومنهم الجارودية : وعقيدتهم أنَّ الإِمامَة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في عَلِيٍّ (عليه السلام) ، وبعده الحسن (عليه السلام) ، ثم الحسين (عليه السلام) نصَّاً من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

وبعد الحسين (عليه السلام) تكون شورى بين أبناء الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ، فإن قام أحد منهم بالإِمامَة وبايعه الناس فهو الإمام . فبالإِمامَة عندهم لا تخرج عن ذرَّةِ الحسن والحسين عليهما السلام^(١) .

رابعاً : الإِمامَية الائتِنَا عَشَرَيَّة :

وملخص قوله :

- ١ - أنَّ الإِمامَة ليست قضيَّة مصلحَّة تناط باختيار العَامَّة ، بل هي قضيَّة أصوليَّة ، وهي ركن من الدين ، لا تكون إلا بالتعيين ، والنَّصُّ من النبي .
- ٢ - أنَّ الإمام يجب أن يكون معصوماً ، منزَّهاً من الكبائر والصغرى .
- ٣ - أنَّ الإِمامَة بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في عَلِيٍّ (عليه السلام) ثم الحسن (عليه السلام) ، ثمَّ الحسين (عليه السلام) ، ثمَّ تسعة من ولد

(١) انظر : المقالات والفرق : ١٨ ، الفرق بين الفرق : ٣٧ - ٣٠ .

الحسين معروفين بأسائهم ، وقد نصَّ كلُّ إمام على الإمام اللاحق له .

٤ - أنَّ الإمامة فيهم ولا تخرج منهم ، ولا تصح لسواهم^(١) .

وبعد هذه الجولة بين آراء المذاهب الإسلامية في تعين الإمام لنتوجَّه إلى القرآن الكريم والسنَّة المطهرة لنرى أيٌّ هذه الآراء أقرب إلى الحقَّ .

* * *

(١) انظر : المقالات والفرق : ١٥ - ١٧ ، الملل والنحل : ١٣١ ، ١٤٤ .

الله تعالى يقول ورسوله يتحدث ...

لقد تناول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمْرَ الْإِمَامَةِ فِي الْعَدِيدِ مِنِ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ - الْمُقْطُوعِ بِصَحَّةِ إِسْنَادِهَا - تَصْرِيحاً ، أَوْ إِشَارَةً وَتَلْمِيحاً ، وَقَدْ جَاءَ بَعْضُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ تَابِعاً لِنُصْبِ قُرْآنِي مِنْزَلٍ ، مُبَيِّنًا لَهُ وَمُفَسِّرًا . وَجَاءَ الْبَعْضُ الْآخَرُ إِرْشَادًا مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ ﴿وَمَا يُنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ النجم : ٣ ، ٤ .
وَمِنْ تَلْكَ النُّصُوصِ :

١ - حديث الثقلين :

وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ ، ذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي يُلْخُصُ الْأَمَانَةَ الْكَبِيرَى الَّتِي تَرَكَهَا رَسُولُنَا الْأَكْرَمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْنَاقِنَا ، مِنْ أَجْلِ حَفْظِ هَذَا الدِّينِ ، وَحَفْظِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِحَفْظِ دِينِهَا .

وَهُوَ ، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(١) : عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ

(١) كتاب فضائل الصحابة ٤ : ٢٤٠٨ ح / ١٨٧٣ بعدة طرق ، ورواه عنه الترمذ في (رياض الصالحين)

الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً بهاء يدعى (خماً) بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال : « أما بعد ألا آيها الناس ، إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربِّي فأجيب ، وأنا تارك فيكم الثقلين : أوهلاً كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذلوا بكتاب الله واستمسكوا به - فتحت على كتاب الله ورَغْبَ فيه - وأهل بيتي ، أذْكُرْكم الله في أهل بيتي ، أذْكُرْكم الله في أهل بيتي ». ^(١)

وفي سنن الترمذى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترى أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تختلفون فيهما » ^(٢).

وبهذا النص أخرجه الحاكم في المستدرك ^(٣) ، ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشیخین ، ولم يخرجاه .

وفي مسند أحمد : « إني تارك فيكم خليفتين ، كتاب الله وأهل بيتي ، وإنما لن يفترقا حتى يردا على الحوض جمِيعاً » ^(٤) .

وقد ورد هذا الحديث في أغلب كتب السنن ^(٥) وبطرق عديدة ، يمتنع

→ . ١٤١ : ٢٥٥ .

(١) المصدر : الجزء الخامس - كتاب المناقب : ٦٦٣ / ٣٧٨٨ وقبله / ٣٧٨٦ .

(٢) ١٤٨ : ٣ .

(٣) ١٠٣٥ / ٦٠٣ : ٢ .

(٤) ومنها غير ما ذكرناه : الخصائص للنسائي : ٢١ ، السيرة الحلبية ٣ : ٣٣٦ ، العقد الفريد ٤ : ١٢٦ ، مصابيح السنة ٤ : ١٨٥ / ٤٨٠٠ و ١٩٠ / ٤٨١٦ والترجمة من تاريخ ابن عساكر ٢ : ٣٦ / ٥٣٦ .

ومصابيح الرواية ٩ : ١٦٣ - ١٦٤ ، الجامع الصغير ١ : ٢٤٤ / ١٦٠٨ ، الصواعق

المحرقة باب ١١ فصل ١ : ١٤٩ ، الخصائص الكبرى للسيوطى ٢ : ٤٦٦ ، تاريخ العقوبة ٢ : ١١٢ .

وذخائر العقبي : ١٦ والدر المنشور - عند قوله تعالى ﴿وَاعتصموا بحبل الله جمِيعا﴾ ١٠٣ آل

معها تسرّب الشك إلى يأي شكل من الأشكال .
وقد يكون هذا النص النبوى الشريف لوحده كافياً في تعين خلفاء
الرسول ، وأئمّة المسلمين .

فانظر إلى عبارته بدقة تجده قد جعل الكتاب وأهل البيت متلازمين
أبداً :

«لن يفترقا حتى يردا على الحوض » .

ثم انظر كيف توجه إليها بلفظ واحد ، ولم يفرق بينها حتى في الخطاب ،
قال : « فإنّها » ، « لن يفترقا » ، « حتّى يردا » ، فهو تلازم في التعبير والإشارة .
هذا بعد ما في صدر الحديث من كلام يفيد الإلزام ، ويؤكّد وجوب الحرص
عليه .

فهو إضافة إلى كونه أمر النبي الأعظم صلّى الله عليه وآلـه وسلـمـ ،
وتوجيهـهـ ، فهو أيضـاـ يـمـثـلـ خـلاـصـ الدـعـوـةـ النـبـوـيـةـ ، فإـنـهـ :
« يوشـكـ أنـ يـأـقـيـ رسـولـ رـبـيـ ، فـأـجـيـبـ » ..
و « إـنـيـ تـارـكـ فـيـكـمـ الثـقـلـيـنـ . . . » ، « خـلـيـفـتـيـنـ » .
« مـاـ إـنـ تـمـسـكـتـ بـهـاـ لـنـ تـضـلـواـ بـعـدـيـ . . . » .

وهي أمانـتـهـ في أـمـمـهـ : « فـانـظـرـواـ كـيفـ تـخـلـفـونـ فـيـهـاـ » « أـذـكـرـ كـمـ اللهـ فيـ
أـهـلـ بـيـتـيـ » وـنـحـنـ عـنـهـ مـسـؤـلـوـنـ « أـيـهـاـ النـاسـ ، إـنـيـ فـرـطـكـمـ ، وـأـنـتـمـ وـارـدـيـ
عـلـىـ الـحـوـضـ ، وـإـنـيـ سـائـلـكـمـ حـيـنـ تـرـدـونـ عـلـىـ عـنـ الثـقـلـيـنـ ، فـانـظـرـواـ كـيفـ تـخـلـفـونـ
فـيـهـاـ^(١) » .

وبعد هذا ، فمن البديهي أن نقول : إنـهـ متـىـ أـمـكـنـ هـذـهـ الـأـمـةـ ، أوـ كـانـ

→ عمران ٢ : ٢٨٥ ، والرازي أيضاً ٨ : ١٦٣ ، وابن كثير في سورة الشورى ٤ : ١٢٢ ، وغيرهم كثير ،
والحديث متفق عليه .

(١) تاريخ العقوبي ٢ : ١١٢ ، مصابيح السنة ٤ : ٤٨١٦ / ١٩٠ ، والترجمة ٢ : ٤٦ / ٥٤٧ .

من كان فيها ، أن يكون حاكماً على كتاب الله ، وقائداً له ، فقد جاز له أن يكون حاكماً على أئمة أهل البيت ، وإماماً منصباً عليهم .

ولما كانت الأولى مستحيلة ، فإن الثانية كذلك مستحيلة ، وبين نفس الدرجة بلا تفاوت ، وبلا فارق ، لأنّها «متلازمان» و «لن يفترقا» .

وأيضاً ، ففي عبارة : «لن يفترقا حتى يردا على الحوض» (إشارة إلى أنَّ كلَّ ما ألمَّ بآيٍ من الثقلين - بعد الوجود المقدس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - قد أصاب الثقل الآخر أيضاً ، وأنَّ هجرَ أيٍّ منها هجر للآخر ، حتى يرد هذان المهجوران الحوض على رسول الله) .

نعم ، هو الأمر هكذا ، وما يؤيده رواية الطبراني ، كما ينقلها ابن حجر فيقول : زاد الطبراني : «إني سألت ذلك لها ، فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنّهما فتهلكوا ، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»^(١) .
قال ابن حجر^(٢) : وفي رواية : «كتاب الله وسنتي»^(٣) .

قال : وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب ، لأنَّ السنة مبيّنة له ، فأغنى ذكره عن ذكرها ، والحاصل أنَّ الحثّ وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بها من أهل البيت ، ويُستفاد من جموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة .

ثمْ أعلم أنَّ لحديث التمسك بذلك طرفاً كثيرة ، ورددت عن نيف وعشرين صحابياً[ً] . . .

(١) الصواعق المحرقة : باب ١١ فصل ١ : ١٥٠ ، ورواهما الهيشني في مجمع الزوائد ٩ : ١٦٤ ، والسيوطى في الدر المثمر ٢ : ٢٨٥ - عند الآية (٢٠٣) آل عمران .

(٢) المصدر : ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) لم يأت الحديث في الصحاح بهذا اللفظ ، وإنما اتفقوا جميعاً على لفظ : «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وسيأتي الكلام فيه مفصلاً .

إِلَى أَنْ قَالَ : وَأَخْرَجَ ابْنَ سَعْدَ ، وَالْمَلَّا فِي سِيرَتِهِ : أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ بَيْتِ خَيْرٍ ، فَإِنِّي أَخَاصُكُمْ عَنْهُمْ غَدَاءً ، وَمَنْ أَكَنْ خَصْمَهُ أَخَصْمُهُ ، وَمَنْ أَخَصْمَهُ دَخْلُ النَّارِ ».

ثُمَّ أَضَافَ مَعْلَقاً ، بِقَوْلِهِ : (تَنبِيه) سَمِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَتْرَتَهُ (ثَقَلَيْنِ) لِأَنَّ التَّقْلِيلَ كُلَّ نَفِيسٍ خَطِيرٍ مَصُونٍ ، وَهَذَا كَذَلِكَ ، إِذْ كُلَّ مِنْهَا مَعْدُنٌ لِلْعِلُومِ الْلَّدُنِيَّةِ ، وَالْأَسْرَارِ وَالْحُكْمِ الْعُلِيَّةِ ، وَالْأَحْكَامِ الشَّرِعِيَّةِ . قَالَ : وَلَذَا حَثَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْاقْتِدَاءِ وَالتَّمْسِكِ بِهِمْ ، وَالْعِلْمِ بِهِمْ ، وَقَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِينَا الْحِكْمَةَ أَهْلَ الْبَيْتِ ».

وَقَيلَ (وَالْكَلَامُ لِهِ) : سَمِّيَا ثَقَلَيْنِ لِثُقلِ وَجُوبِ رِعَايَةِ حُقُوقِهِمَا ، ثُمَّ الَّذِينَ وَقَعَ الْحَثُّ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ إِنَّهُمُ الْعَارِفُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسِنَّةِ رَسُولِهِ ، إِذْ هُمُ الَّذِينَ لَا يَفَارِقُونَ الْكِتَابَ إِلَى الْحَوْضِ ، وَيُؤَيِّدُهُ الْخَبَرُ السَّابِقُ : « وَلَا تَعْلَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ ».

قَالَ : وَقَيَّزُوا بِذَلِكَ عَنْ بَقِيَّةِ الْعُلَمَاءِ لِأَنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَرَهُمْ تَطْهِيرًا ، وَشَرَفَهُمْ بِالْكَرَامَاتِ الْبَاهِرَةِ ، وَالْمَزَايَا الْمُتَكَاثِرَةِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْخُبُرِ الَّذِي فِي قَرِيشٍ : « وَتَعْلَمُوا مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ » فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا الْعُمُومُ لِقَرِيشٍ ، فَأَهْلُ الْبَيْتِ أُولَئِكُمْ بِذَلِكَ ، لَأَنَّهُمْ امْتَازُوا عَنْهُمْ بِخَصْوَصِيَّاتٍ لَا يَشَارِكُهُمْ فِيهَا بَقِيَّةُ قَرِيشٍ .

وَفِي أَحَادِيثِ الْحَثِّ عَلَى التَّمْسِكِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ إِشَارَةٌ إِلَى عَدْمِ انْقِطَاعِ مَتَأْهِلِهِمْ لِلتَّمْسِكِ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، كَمَا أَنَّ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ كَذَلِكَ .

وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ بِالْغَةِ الْأَهْمَيَّةِ يَنْبَغِي حَسْنُ التَّمْعَنِ فِيهَا ، فَهِيَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « وَإِنَّهَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ ».

قَالَ : ثُمَّ أَحَقُّ مَنْ يُتَمْسِكُ بِهِ مِنْهُمْ إِمَامُهُمْ وَعَالِمُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَمُ اللَّهِ وَجْهُهُ ، لَزِيدُ عِلْمِهِ وَدَقَائِقُ مُسْتَبْطَاتِهِ ، وَمَنْ ثُمَّ قَالَ أَبُو بَكْرَ : عَلِيٌّ عَتْرَةُ

رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلـم ، أيـ الـذـيـن حـتـّـ عـلـى التـسـكـ بـهـم ، فـخـصـهـ لـماـ قـلـناـ ،
وـكـذـلـكـ خـصـهـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ يـوـمـ غـدـيرـ خـمـ^(١) . اـنـتـيـ .

وهل يستدعي هذا النص مزيداً من الإيضاح؟

فقد أمرنا نبيتنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أمراً جلياً صريحاً بالتمسك بسبعين،
وصفها أنها سبباً للنجاة وطريق الهدایة «ما إن تمسّكت بها لن تضلوا بعدي» ثمّ هما «
متلازمان» فلا يصحّ فصل أحدهما عن الآخر « وإنما لـ يفترقا » حتى يرداً جميعاً على
رسول الله يوم القيمة .

ثم سماها تسمية صريحة، فقال : «كتاب الله ، وعترقى أهل بيته ». .

ثم قطع الطريق على المعذرين ، فقال : «أذْكُرْ كم الله في أهل بيتي ، أذْكُرْ كم الله في أهل بيته » . «واني سائلكم حين تردون علمًا عن الثقلين فانظر واكيف تخلفون في فهمها» .

فهذا نصٌّ صريحٌ في تعين خلفاء الرسول من بعده.

وهذا نص متفق عليه، أجمع على روایته أصحاب السنن والفضائل كافة -سوی البخاری!- وذکر هأضاً أصحاب السر والتفسیر.

وأَمَّا الْحَدِيثُ بِلِفْظِ (كِتَابُ اللَّهِ وَسُنْنَتِي) فَقَدْ وَرَدَ فِي مُوَطَّأِ مَالِكٍ عَارِيًّا مِنَ الْإِسْنَادِ^(۲)،
وَفِي تَارِيخِ الطَّبْرَيِّ بِهذَا الْإِسْنَادِ: أَخْبَرَنَا أَبْنَى حَمِيدٍ، قَالَ حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، عَنْ أَبْنَى إِسْحَاقَ، عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبْيِ نُجَيْحٍ، قَالَ: وَسَاقَ الْخَبَرَ فِي خُطْبَةِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ: وَتَرَكْتُ فِيمُّكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضْلُّوا أَبْدًا: كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنْنَتِي^(۳). وَهَذَا
الْإِسْنَادُ فِيهِ^(۴):

(١) هذه شهادة متقدمة، وبيان التفصيات في خطبة غدير خمّة لاحقاً، شاء الله.

(٢) الموطأ - كتاب القدر / ٣. ووصل إسناده ابن عبد البر وفيه كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، وهو متوكلاً على الله من أذكى الكذب ونستحبه ع. أنس بن حمزة موضعه ع. ميزان الاعتدال، ٣: ٤٠٦-٤٠٧.

(٣) تاريخ الطبع، ٣: ١٦٩ - ١٧٠، وعنه تاريخ ابن خلدون، ٢: ٤٨.

١ - سَلَمَةُ : وَهُوَ سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ الْأَبْرَشِ قاضي الرَّى ، روى عن محمد بن إسحاق
وروى عنه محمد بن حميد .

قال فيه البخاري : عنده مناكير ، وَهَنَئَ عَلَى - المَدِينَى - قال على : ما خرجنا من الرَّى
حتَّى رَمَيْنَا بِجَدِيْثَه ، وقال النَّسَانِي : هو ضعيف ، وقال أبو حاتِم الرَّازِي ، لا يُحْتَجُ بِجَدِيْثَه ،
ووصفه أبو زُرْعَة ، فقال : كذاب ^(١) .

٢ - ابن حميد : وهو محمد بن حميد الرَّازِي ، روى عن سَلَمَةَ بْنَ الْفَضْلَ كِتَابَ
الْمَغَارِي : قال يعقوب بن شيبة : محمد بن حميد كثير المذاكير ، وقال البخاري : في حديثه نظر
وقال النَّسَائِي : ليس بشفاعة ، وقال الجوزجاني : غير ثقة .

وقال الرَّازِي : عندي عن ابن حميد خمسون ألفاً ، لا أُحْدِثُ عنه بحرف .

وقال صالح بن محمد الأَسْدِي : ما رأيت أحداً أَجْرَأَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ ، كان يأخذ
أحاديث الناس فيقلب بعضه على بعض . وقال أيضاً : ما رأيت أحداً أَحْذَقَ بالكذب من
رجلين : سليمان الشاذكوفي ، ومحمد بن حميد كان يحفظ حديثه كله .

وقال أبو علي النيسابوري : قلت لابن خُزِيْمة : لو حَدَّثَ الأَسْتَاذَ عن محمد بن حميد ،
فإنَّ أَحَدَ قد أَحْسَنَ الشَّنَاءَ عَلَيْهِ .

قال : إنَّه لَمْ يُعْرَفْ كَمَا عُرِفَنَا ، ولو عُرِفَ مَا أَثْنَى عَلَيْهِ أَصْلًا .

وقال أبو القاسم ابن أخي أبي زُرْعَة : سَأَلْتُ أبا زُرْعَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَمِيدٍ فَأَوْمَأَ
بِإِصْبَعِهِ إِلَيْهِ ، فَقَلَّتْ لَهُ : كَانَ يَكْذِبُ ؟ فَقَالَ بِرَأْسِهِ : نَعَمْ ، فَقَلَّتْ : لَهُ : كَانَ قَدْ شَانَ ، لَعَلَّهُ
كَانَ يُعْمَلُ عَلَيْهِ ، وَيُدَلِّسُ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : لَا - يَا بْنِي - كَانَ يَتَعَمَّدُ .

وقال أبو نعيم : سمعت أبا حاتِم الرَّازِيَ وَعَنْدَهِ ابْنِ حِرَاشَ وَجَمِيعَهُ مِنْ مَشَائِخِ أَهْلِ
الرَّى وَحَفَاظَهُمْ ، فَذَكَرُوا ابْنَ حَمِيدٍ ، فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ ضَعِيفٌ فِي الْحَدِيثِ جَدًا ، وَأَنَّهُ يُحَدَّثُ
بِمَا لَمْ يَسْمَعْهُ .

(١) تهذيب التهذيب ٤: ١٥٣ / الترجمة رقم ٢٦٥

وقال ابن خِراش : حدثنا ابن حميد ، وكان والله يكذب .

وقال أبو حاتم الرازى : هذا كذاب لا يُحْسِن أن يكذب .

وسئل النسائي عنه ، فقال : ليس بشيء . فقيل له : ألبته ؟ قال : نعم .

وقال في موضع آخر : محمد بن حميد كذاب ^(١) .

وأخرجه الحاكم والبيهقي من طريقين ^(٢) : الأول فيه إسماعيل بن أبي أويس ، وعكرمة . وإسماعيل ضعيف مخلط يكذب ^(٣) ، وعكرمة هو المخارجي المعروف بكذبه على ابن عباس ^(٤) .

والثاني : فيه صالح بن موسى الطلحى ، وهو ضعيف جداً كثير المناكير لا يكتب حديثه ^(٥) .

هذه خلاصة حال هذا الحديث ! فقارن .

٢ - حديث المزلة :

ذلك الحديث الذي لم يجادل فيه أحد ، هو الآخر يكفي لوحده في معرفة الإمام وال الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والذي يقول فيه حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام :

(١) تهذيب التهذيب ٩: ١٢٩ - ١٣١ . ١٨٠/١٣١ .

(٢) المستدرك ١: ٩٣ ، السنن الكبرى ١٠: ١١٤ .

(٣) تهذيب التهذيب ١: ٢٧١ .

(٤) ميزان الاعتadal ٣: ٩٤ .

(٥) تهذيب التهذيب ٤: ٣٥٤ .

«أنت ميّ بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبيّ بعدك».

وهذا النصّ لا يكاد يخلو منه مصدر من مصادر الحديث، أو السيرة النبوية^(١).

وأمّا هذه المزالة - مزالة هارون من موسى - فإنّ القرآن الكريم هو الذي يتکفل تفسيرها، وإيضاح أبعادها، ولم يدع للناس فرصة تأويلها.

فقد حكى القرآن الكريم عن موسى عليه السلام دعاءه: «وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَرُونَ أَخِي * أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي»^(٢). وقال تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزَيْرًا»^(٣). وقال تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام: «وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَرُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ لَا تَسْبِّحْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ»^(٤).

فتلك هي مزالة هارون من موسى عليهما السلام، وهي بعينها مزالة عليّ من محمد - صلّى الله عليه وآلـهـ الكرام - إلـّـا النـبـوـةـ.

فعليّ إذن: وزير خاتم النبيين، ومن أهله، وأخوه، وخليفة في قومه.

ولقد وردت كلّ واحدة من هذه المخصصات في نصوص أخرى مستقلة، إضافة إلى خصائص أخرى،قرأنا بعضها، وسنقرأ بعضاً آخر فيما يأتي بإذنه تعالى.

(١) صحيح البخاري ٥: ٨٩، مسلم ٤: ٢٠٢ / ١٨٧٠، ٤: ٢٤٠٤ في ستة طرق، والترمذى في كتاب المناقب ٥/ ٣٧٣٠ وبعده، والحاكم في المستدرك ٢: ٣٣٧ - كتاب التفسير، وأحمد في المسند ١: ١٧٣، ١٧٠، ١٨٤، ٣٣١، مصابيح السنّة ٤: ٤٧٦٢ / ١٧٠، جامع الأصول ٩: ٦٤٧٧ / ٤٦٨ وغيرهم أيضاً، وكافة من تكلم في مناقبه عليه السلام.

(٢) طه: ٢٩ - ٣٢.

(٣) الفرقان: ٣٥.

(٤) الأعراف: ١٤٢.

٣ - «أنت مني وأنا منك» .

هذه الكلمة التي قالها رسول الله عليه ، ولم يقلها لأحد سواه ، كجميع ما ذكرنا ، وما سنذكر في هذا الكتاب من فضائله عليه السلام .

وقد جاءت هذه الكلمة في عدّة مواضع ، مفردة في بعضها^(١) ، وفي أخرى لها قصة وسبب^(٢) ، وهي في الجميع تكشف عن منزلة أخرى لعلي عليه السلام ، قد لا تظهر من النصوص المتقدمة .

ويتأتى لها في هذا الدور ، النص الآتي .

٤ - قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

«أمّا أنت يا عليّ ، أنت صفيّي وأميّني»^(٣) .

إذن فعلّي - عليه السلام - هو :

أولاً : من أهل رسول الله . ثانياً : أخو رسول الله .

ثالثاً : من رسول الله . رابعاً : نفس رسول الله .

خامساً : أمينه . سادساً : صفيّه .

سابعاً : وزيره . ثامناً : خليفته ، فهل تكفي هذه المخصائص في تقدّمه

(١) صحيح البخاري - باب مناقب علي عليه السلام - ٥ : ٨٧ و - كتاب الصلح - ٤ : ٢٢ ، النسائي في المخصائص : ٢٠ ، سنن الترمذى ٥ : ٦٣٥ / ٣٧١٦ ، مصابيح السنة ٤ : ١٧٢ / ٤٧٦٥ و ١٨٦ / ٤٨٠١ ، مستند أحمد ١ : ١٠٨ ، ١١٥ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى : ١٣٤ ، وسائل كتب المناقب .

(٢) سيبأي ذكرها في محلها .

(٣) النسائي في المخصائص : ١٩ - ٢٠ .

عليه السلام على من سواه فقط ، أم هي ترفعه عن حد القياس والمقارنة ؟

٥ - تبليغ سورة براءة :

وقصة تبليغ سورة (براءة) هي أيضاً من الأحداث التي تدل دلالةً قاطعة على أن تولي أمور المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، محصور بعلي ابن أبي طالب عليه السلام . والقصة من الشهرة بمكان ، إلا أننا نوردها هنا ل تمام الفائدة ، موجزةً ، كما رواها الإمام أحمد بن حنبل ، إذ قال : حدثني وكيع ، قال : قال إسرائيل : قال أبو إسحاق ، عن زيد بن يُشَيْع عن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثه ببراءة إلى أهل مكة : « لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف في البيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مذنه ، والله بريء من المشركين ، ورسوله » . قال : فسار بها ثلاثة ، ثم قال النبي لعلي : « إلحقة ، فرد على أبي بكر ، وبلّغها أنت » .

قال : فعل ، فبينا أبو بكر في بعض الطريق ، إذ سمع رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القصوى ، فخرج أبو بكر فزعاً ، فظنّ أنه رسول الله ، فإذا هو علي ، فدفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخذها منه ، وسار ، ورجع أبو بكر .

فلما قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى ، وقال : يا رسول ، أحدث في شيء ؟ قال : « لا ولكن أمرت أن لا يبلغها إلا أنا ، أو رجل مني » .

وفي بعض الروايات : « لا يبلغ عنِّي إِلَّا أنا ، أو رجل مِنِّي »^(١) .

فللننظر في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أُمِرْتُ »

أَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يُنْطَقُ عَنِ الْهَوْنِي

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ ؟ فهل تراه أَتَى بِهَذِهِ الْكَلْمَةِ « أُمِرْتُ » إِلَّا ليبعد ما قد يجول في صدور البعض ! كَمَا حَصَلَ يَوْمَ اِنْتِجَاهَ ، فَقَالُوا : لَقَدْ طَالَ نِجْوَاهُ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ ! فَرَدَ عَلَيْهِمْ - رُوحِي فَدَاهُ - بِقَوْلِهِ الْعَظِيمِ : « مَا اِنْتِجَيْتَهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ اِنْتِجَاهُ » .

ثُمَّ ، أَفَلَا يَكُونُ فِي هَذِهِ الْقَصَّةِ بِلَاغًّا لِلنَّاسِ ؟ لَقَدْ جَاءَتْ لِتَعْلَمَنَا مِنْ أَينْ نَأْخُذُ دِيَنَنَا : « إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي » .

(١) مسند أحمد ١: ٣٣١، ٣: ٢٨٣، ٤: ٢١٢، ٤: ١٦٤، ٥: ١٦٥ و ٣: ٩٤٦ ، سنن الترمذى ٥: ٦٣٦ / ٣٧١٩ ، جامع الاصول من أحاديث الرسول ٩: ٤٧٥ / ٦٤٩٦ ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ٢: ٣٧٦ - ٣٩١ ، مجمع الزوائد ٩: ١١٩ ، تاريخ اليعقوبي ٢: ٧٦ ، الخصائص للنسائي ٢٠ ، الصواعق المحرقة ١٢٢ ، الجامع الصغير ٢: ١٧٧ / ٥٥٩٥ ، البداية والنهاية ٧: ٣٧٠ ، تفسير الطبرى ١٠: ٤٦ ، مناقب الحوارزمي ١٠٦ ، وسائل أهل المناقب . وأوردتها جَلَّ المفسرين في أول سورة براءة ، وحاولوا التلاعُبُ فيها ، والتأویل بخلاف ما ورد في السنن والتواریخ .

وَجَاءَ هَذَا الْحِبْرُ أَيْضًا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي يُحْصِي فِيهِ عَشْرَ خَصَالًا لِعَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَفِيهِ :

وَبَعْثَتْ فَلَانًا بِسُورَةِ التَّوْبَةِ ، فَبَعَثَ عَلَيْهَا خَلْفَهُ فَأَخْذَهَا مِنْهُ ، قَالَ : « لَا يَذَهِبُ إِلَّا رَجُلٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ » .

وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ بَطْوَلُهُ : أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ ١: ٣٣١ ، الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدِرِكِ ٣: ١٣٤ - ١٣٢ ، ابْنُ حَبْرٍ فِي الْإِحْسَابِ ٤: ٢٧٠ ، ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي التَّرْجِيمَةِ ١: ٢٤٩ / ٢٠٢ ، النَّسَائِيُّ فِي الْخَصَائِصِ ٨: ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَائِيَّةِ وَالنَّهَايَةِ ٧: ٣٥٠ ، وَأَصْحَابِ الْمَنَاقِبِ .

٦ - حديث الدار - أو قصة الإنذار -

بعد أن نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(١) دعا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بنى عبد المطلب ، وبعد أن أطعمهم وسقاهم - في قصة يذكر تفصيلها أهل التواريخ - توجه إليهم قائلاً :

« يابني عبد المطلب ، والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إبني جئتكم بخير الدنيا والأخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فـأيّكم يؤازرني على هذا الأمر ، على أن يكون أخي ، ووصي ، وخليفي فيكم ؟ » .

قال علي عليه السلام - والرواية عنه - فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت - وأنا لأحدثهم سِنّاً - : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه .

فأخذ برقبتي ، ثم قال : « إن هذا أخي ، ووصي ، وخليفي فيكم ، فاسمعوا له وأطعوه ». .

قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(٢) .

(١) الشعراء : ٢٦٤ .

(٢) تاريخ الطبرى ٢: ٢١٧ ، الكامل في التاريخ ٢: ٦٤ - ٦٢ ، السيرة الحلبية ١: ٤٦١ ، معالم التنزيل للبنوي ٤: ٢٧٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢١٠ ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ١: ١٠٠ / ١٣٧ و ١٣٩ ، شواهد التنزيل ١: ٣٧٢ - ٣٧٣ / ٥١٤ و ٤٢٠ / ٥٨٠ ، كنز العمال ١٣: ٣٦٤٦٩ / ١٣١ ، والمنتخب من كنز العمال بهامش مستند أ Ahmad ٥: ٤١ - ٤٢ . وهو أيضاً في حديث ابن عباس في ذكر الحصول العذر وقد تقدّم ذكر مصادره في الحديث السابق .

وسوف أُنْقَلُ لَكَ هَنَامًا كَتَبَهُ ابْنُ كَثِيرٍ^(١) لِيُصْرِفَ هَذَا النَّصْ الشَّرِيفَ عَنْ مَغْزَاهُ، لَتَرَى كَيْفَ يَفْعَلُونَ، وَكَيْفَ يَتَأَوَّلُونَ !

فَقَدْ ذُكِرَتِ الْقَصْةُ بِتَفَاصِيلِهَا - بِقَدْسِ تَكْذِيبِهَا - إِلَى أَنْ قَالَ :

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّكُمْ يُؤَازِّنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَكَذَا وَكَذَا ؟ ».

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَحْجَمَ الْقَوْمَ جَمِيعاً ، وَقَلْتُ وَإِنِّي لَأَحْدِثُهُمْ سِنَّاً ، وَأَرْمَصُهُمْ عِيْنَاً ، وَأَعْظَمُهُمْ بَطْنَاً ، وَأَحْمَشُهُمْ سَاقَّاً ، : أَنَا يَابْنِي اللَّهُ أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ .

فَأَخْذَ بِرْقَبَتِي ، فَقَالَ : « إِنَّ هَذَا أَخِي ، وَكَذَا وَكَذَا ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا » !

ثُمَّ قَالَ : ذَكَرُوا بِهِ عَبْدُ الْفَقَارَ بْنَ الْفَاسِمِ أَبُو مُرِيمٍ ، وَهُوَ كَذَابٌ شَيْعِيٌّ ، أَتَهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِي بِوْضُعُ الْحَدِيثِ ، وَضَعْفُهُ الْبَاقُونَ .

ثُمَّ يَضِيفُ - فِي الصَّفْحَةِ ذَاتِهَا - قَائِلاً : وَلَكُنْ رَوْيَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الْحَسِينِ بْنِ عِيسَى بْنِ مَيْسِرَةِ الْحَارَثِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْقَدَّوسِ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ الْمَهَالِ بْنِ عُمَرٍو ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارَثِ ، قَالَ : قَالَ عَلَيْهِ : لَمَّا نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٢) قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « اصْنِعْ لِي شَاءَ بَصَاعَ مِنْ طَعَامٍ ، وَإِنَّا لَبْنَ ، وَادِعْ لِي بَنِي هَاشِمٍ ». .

فَدَعَوْتُهُمْ وَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَأَرْبَعُونَ غَيْرَ رَجُلٍ ، أَوْ أَرْبَعُونَ وَرَجُلٍ - فَذَكَرَ الْقَصْةَ إِلَى قَوْلِهِ - فَبَدَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْكَلَامُ ، فَقَالَ :

« أَيُّكُمْ يَقْضِي عَنِّي دِينِي ، وَيَكُونُ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِي ؟ ».

فَسَكَتُوا ، وَسَكَتَ الْعَبَاسُ خَشِيَّةً أَنْ يَحْيِطَ ذَلِكَ بِهِمْ ، وَسَكَتَ أَنَا لِسْنَ

(١) فِي كِتَابِ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَايَةِ ٣٨ : ٣ - ٣٩ .

(٢) الشِّعْرَاءُ : ٢١٤ .

العباس .

ثم قال لها مرةً أخرى ، فسكت العباس فلما رأيت ذلك قلت : أنا ، يارسول الله .

قال : «أنت ؟!».

قال : وإنّي يومئذ لأسوأهم هيئةً ، وإنّي لأعمش العينين ، ضخم البطن ، خمس الساقين .

ثم قال صاحب المصدر : وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عباد ابن عبد الله الأستدي ، وربيعة بن ناجذ عن عليّ نحو ماتقدم ، أو كالشاهد عليه .

ثم قال : ومعنى قوله في هذا الحديث : «من يقضى عنّي ديني ، ويكون خليفي في أهلي » يعني إذا مات ، وكأنه صلى الله عليه وأله وسلم خشي إذا قام بإبلاغ الرسالة إلى مشركي العرب أن يقتلوه ، فاستوثق من يقوم بعده بما يصلح أهله ، ويقضي عنه ، وقد أمنه الله من ذلك في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١). انتهى .

فلنتناول هذا الكلام من جميع وجوهه لنعرف أين محله :

١ - فأمّا عبد الغفار بن القاسم أبو مريم الذي طعن عليه ، فقد وصفه ابن حجر العسقلانيّ ، فقال : كان ذا اهتمام بالعلم وبالرجال - قال - وقال شعبة : لم أر أحفظ منه ، وقال ابن عدي : سمعت ابن عقدة يثني على أبي مريم ويطريه وتجاوز الحدّ في مدحه حتى قال : لو ظهر على أبي مريم ما اجتمع الناس إلى شعبة.

أمّا تضعيفهم له فإنّها جاء من وصفه بالتشييع ، قال ابن حجر - في ترجمته ذاتها - : قال البخاري : عبد الغفار بن القاسم ليس بالقوىّ عندهم . حدّثنا أحمد بن صالح حدّثنا محمد بن مرزوق ، حدّثنا الحسين بن الحسن الفزارى ،

عن عبد الغفار بن القاسم ، عن عَدِيٍّ بْنِ ثَابَتٍ ، عن سعيد بْنِ جُبَيرٍ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ ، قال حَدَّثَنِي بُرَيْدَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْ مَوْلَى مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ » !! ^(١) - فَمَنْ هُنَا جَاءَ طَعْنَاهُمْ عَلَيْهِ ^(٢) .
 ٢ - وَأَمَّا قَوْلُهُ : إِنَّ الْحَدِيثَ فِيهِ عَبْدُ الْغَفَّارَ بْنَ الْقَاسِمِ ، فَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ
 مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى لَيْسَ فِيهَا عَبْدُ الْغَفَّارَ ، كَمَا فِي :

تاریخ ابن عساکر :

قال : أَخْبَرَنَا أَبُو الْبَرَّ كَاتِبُهُ عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الزِّيَديِّ الْعَلَوِيِّ بِالْكُوفَةِ ،
 أَنَّبَانَا أَبُو الْفَرْجِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنُ عَلَّانِ الشَّاهِدِ ، أَنَّبَانَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ
 أَبْنَاءِ الْحُسَينِ ، أَنَّبَانَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ زَكْرِيَا الْمَهْارِيِّ ، أَنَّبَانَا
 عَيَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ ، أَنَّبَانَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْقَدوْسِ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنِ الْمَهَالِ
 أَبْنَاءِ عُمَرٍ وَعُبَادَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - هُوَ الْأَسْدِيُّ الَّذِي احْتَاجَ بِرَوَايَتِهِ - عَنِ
 عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

وَفِيهِ ، قَالَ : « أَيُّكُمْ يَقْضِي دِينِي ، وَيَكُونُ خَلِيفَتِي وَوَصِيًّا مِنْ بَعْدِي ؟ »
 فَسَكَتَ الْعَبَّاسُ - الْحَدِيثُ - فَقَلَّتْ : أَنَا يَارَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ : « أَنْتَ يَاعَلَىٰ ، أَنْتَ
 يَاعَلَىٰ » ^(٣) .

وَكَمَا فِي تاریخ الطبری :

حَدَّثَنَا زَكْرِيَاً بْنَ يَحْيَى الصَّرِيرِ ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَانَ بْنَ مُسْلِمٍ ، قَالَ: حَدَّثَنَا

(١) انظر ترجمته في لسان الميزان ٤ : ٤٢ / ١٢٣ .

(٢) وليس هذا حظه وحده ، بل هو حظ كثيرٌ مِنْ هُمْ مِنْهُ وسوف نتناول هذا الموضوع في فصل لا حق
 معززاً بالشواهد والأدلة .

(٣) ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق ١ : ٩٩ / ١٣٧ .

أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجذ : أنَّ رجلاً قال لعليٍّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، بم ورثت ابن عمك دون عمك ؟ فقال عليٌّ : هاوم - ثلاث مرات ، حتى اشرأب الناس ونشروا آذانهم ، ثمَّ قال - جمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم - أو دعا رسول الله - بني عبد المطلب - الحديث - ثمَّ قال رسول الله : « فَإِيْكُمْ يَبَاعِنِي عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَصَاحِبِي وَوَارِثِي » فَقَمَتْ إِلَيْهِ وَكَنْتُ أَصْغَرُهُمْ فَقَالَ : « اجْلِسْ ». ثمَّ قال ثلاث مرات ، كلَّ ذلك أقْوَمْ إِلَيْهِ فَيَقُولُ لِي : « اجْلِسْ » حتَّى كان في الثالثة ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى يَدِي - قال - فَبِذَلِكَ وَرَثَتْ ابْنُ عَمِّي دُونَ عَمِّي ^(١).

وكما في رواية الحاكم:

حدَّثَنِي ابن فنجويه ، حدَّثَنَا موسى بن محمد بن عليٍّ بن عبد الله ، حدَّثَنَا الحسن بن عليٍّ بن شبيب المعربي ، قال حدَّثَنَا عبَّادُ بن يعقوب ، عن عليٍّ بن هاشم ، عن صباح بن يحيى المزني ، عن ذكريَا بن ميسرة عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ . . . الحديث ^(٢).

فهل خفي هذا كله ، وغيره عنه ؟ كلاً طبعاً ، إلَّا أَنَّه لَمْ يَجِدْ مِنْفَدًا إِلَيْهَا ، إلَّا ماصنعته بعضهم على أبي مريم ، فتناوله وطعن فيه ، وأوهام القارئ أَنَّ هذه الرواية محصورَة في هذا الطريق !

٣ - ثمَّ أَين تأوileه الذي اتَّكَأَ عليه ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

(١) تاريخ الطبرى ٢ : ٢١٩ ، ورواه بهذا الإسناد : النسائي في المخاصص : ١٨ ، وأحمد في المسند ١ : ١٥٩ وغيرهم أيضاً.

(٢) شواهد التنزيل ١ : ٤٢٠ / ٥٨٠ .

الأقربين ﴿؟﴾ ؟

فهل كان أمر الله تعالى له بإنذار عشيرته أن يقضوا عنه دينه ، ويحفظوا له عياله ؟ !

وهل يستدعي أمر كهذا كلّ ما فعله رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلـمـ من دعوة أربعين رجلاً ثلاث مرات ، وإبلاغهم ، أما كان يكفيه أن يستدعي من يشق به منهم ويطمئن إلـيه فـيوصـيه بـعيـالـه ، وـقـضـاء دـينـه ؟

ثم متى نزل قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكُمْ مِنَ النَّاسِ﴾ أليس في سورة المائدة ، في آخر ما نزل من القرآن ، بينما كانت آية الإنذار من أول ما نزل في العهد المكيّ ؟ !

أهكذا يُدرس كلام الله المجيد ، أم هي الأهواء تفعل بأهلها ما تريده !
وإلا فـما إذا ينكرون من هذا ، ليذهبوا إلى الصناعة والتـأـوـيل ؟
أينـكـرـونـ قولـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ لـعلـيـ ﴿أنتـ أخـيـ﴾ ؟
فـهـلـ آخـيـ رسـولـ اللهـ بـيـنـ نـفـسـهـ وـبـيـنـ أحـدـ مـنـ النـاسـ غـيرـ عـلـيـ ؟
وـهـلـ قـاـلـاـ لـأـحـدـ سـوـاـ ﴿أـنـتـ أـخـيـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـهـ﴾ ؟ تلك حـقـيقـةـ لم تـخـفـ عـلـىـ أحـدـ مـنـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ عـصـرـ مـنـ الـعـصـورـ .

أم أنـكـرـواـ قولـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ ﴿أـنـتـ خـلـيـفـتـيـ﴾ ؟
فـمـنـ أـنـكـرـهاـ ، أوـ قـيـدـهاـ هـنـاـ ، فـهـوـ لـاـ يـسـتـطـعـ شـيـئـاـ مـنـ ذـلـكـ فـيـ نـصـوصـ كـثـيرـةـ أـخـرىـ ، تـقـدـمـ بـعـضـهاـ ، وـسـيـأـنـيـ بـعـضـ آخـرـ .

وـمعـ هـذـاـ ، فـإـنـ تـقـيـيـدـهاـ هـنـاـ بـخـلـافـتـهـ فـيـ أـهـلـهـ ، أـمـ غـرـيبـ لـاـ يـرـجـحـ حـتـىـ منـ الـبـسـطـاءـ الـذـيـنـ يـدـرـكـونـ جـمـيعـاـ أـنـ دـعـوـةـ النـبـيـ إـنـاـ اـبـدـأـتـ فـيـ مـكـةـ الـتـيـ تـسـكـنـهاـ بـطـوـنـ قـرـيـشـ ، وـأـنـ الـأـقـرـبـينـ إـلـيـ النـبـيـ مـنـ بـيـنـ بـطـوـنـ قـرـيـشـ ، وـالـنـاسـ أـجـمـيعـينـ هـمـ بـنـوـ هـاشـمـ ، وـقـدـ أـمـرـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ فـيـ هـذـاـ النـصـ الـقـرـآنـيـ أـنـ يـنـذـرـهـمـ جـهـارـاـ ، وـيـبـلـغـهـمـ دـعـوـتـهـ ، فـهـمـ أـوـلـىـ بـنـصـرـتـهـ ، وـهـوـ وـاضـحـ .

أم أنهم استنكروا قوله : « ووصيّ » ؟
 فإنّ هذا الأمر من الشهرة مالا يمكن لأحد إنكاره ، أو تضييف شأنه .
 فلقد كان لقب (الوصيّ) واحداً من أشهر ألقاب الإمام عليّ في صدر
 الإسلام ، ولشهرته فقد ثبت حتى في معاجم اللغة العربية ، في تعريف الكلمة :
 (وصيّ) .

ففي لسان العرب ^(١) : وقيل لعليّ عليه السلام : وصيّ ، ثم استشهد
 بقول كثير :

وصيُّ النبِيِّ الْمُصْطَفَى وابنُ عَمِّهِ
 وفَكَاكُ أغلالٍ وقاضي مغامِرٍ

وفي تاج العروس ^(٢) : والوصيّ كغنيّ : لقب عليّ رضي الله عنه .
 كما انتشر هذا اللقب لعليّ عليه السلام في شعر المسلمين الأوائل من
 جيل الصحابة والتابعين ، وقد أفرد ابن أبي الحديد لذلك فصلاً ، بعنوان : ما ورد
 في وصاية عليّ من الشعر . ^(٣)

قال فيه : ومما رويانا من الشعر المقول في صدر الإسلام ، المتضمن كونه
 عليه السلام وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
 - قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحزث بن عبد المطلب :

ومنًا عَلَيْ ذاك صاحبُ خيرٍ
 وصاحبُ بَدْرٍ يوْمَ سالتْ كتائبُه

(١) للعلامة ابن منظور ، مادة - وصي - ١٥ : ٣٩٤ .

(٢) لمحمد مرتضى الزبيدي ، مادة - وصي - أيضاً : ١٠ : ٣٩٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة ١ : ١٤٣ .

وصيُّ النبِيِّ الصَّطْفِيِّ وابن عَمِّهِ
فَمَنْ ذَا يُدَانِيهِ وَمَنْ ذَا يُقَارِبُهُ!

- وقال عبد الرحمن بن الحنبل^(١) :
لَعْمَرِي لَقِدْ بَأْيَتُمْ ذَا حَفَيْظَةِ
عَلَى الدِّينِ مَعْرُوفَ الْعَفَافِ مُؤْفَقاً
عَلَيَا وصيُّ الْمُصَطْفِيِّ وابن عَمِّهِ
وَأَوْلُ مَنْ صَلَّى ، أَخَا الدِّينِ وَالْتُّقَى

- وقال أبو الهيثم بن التَّيَّهَانَ - وَكَانَ بَدْرِيًّا - وَذَكَرَ أَبْيَاتًا مِّنْهَا :
قُلْ لِلزَّبِيرِ ، وَقُلْ لِطَّلْحَةَ : إِنَّا
نَحْنُ الَّذِينَ شَعَارَنَا الْأَنْصَارُ
إِنَّ الْوَصِيَّ إِمَامُنَا وَوَلِيُّنَا
بَرَحَ الْخَفَاءَ وَبَاحَتِ الْأَسْرَارُ

- وقال رجل من الأزد يوم الجمل :
هَذَا عَلَيِّ وَهُوَ الْوَصِيُّ
آخَاهُ يَوْمَ النَّجْوَةِ النَّبِيُّ

(١) صحابي استشهد بصفتين رضوان الله عليه، وفي المصدر « عبد الرحمن بن جعيل » وال الصحيح ما أثبتناه عن أسد الغابة ٣ : ٢٨٨ ، والإصابة ٤ : ١٥٥ .

وقال هذا بعدي الولي

وعاه واع نسى الشقى

- وخرج يوم الجمل غلام من بنى ضبة ، شاب معلم من عسكر عائشة ، وهو

يقول :

نحن بنو ضبة أعداء علي

ذاك الذي يُعرف قِدْمًا بالوصي

وفارس الخيل على عهد النبي

ما أنا عن فضل علي بالغى

والفضل ما شهدت به الأعداء .

- وقال زياد بن لبيد الأنصاري يوم الجمل ، وكان من أصحاب علي عليه السلام :

كيف ترى الأنصار في يوم الكلب

إنا أناس لا نبالي من عطيب

ولا نبالي بالوصي من غضب

وإنما الأنصار جد لا لعب

هذا علي وابن عبد المطلب

نصره اليوم على من قد كذب

من يكسب البغي فبئسها اكتسب

- وقال حُجر بن عَدَى الكندي ، وهو صحابي جليل :

يَارَنَا سَلَّمَ لَنَا عَلَيْا
سَلَّمَ لَنَا الْمَبَارِكُ الْمُضِيَا
الْمُؤْمِنُ الْمُوَحَّدُ التَّقِيَا
لَا خَطِلَ الرَّأْيُ وَلَا غَوْيَا
بَلْ هَادِيًّا مُوفَّقاً مَهْدِيًّا
وَاحْفَظْهُ رَبِّي وَاحْفَظْ النَّبِيًّا
فِيهِ فَقْدَ كَانَ لَهُ وَلِيًّا
ثُمَّ ارْتَضَاهُ بَعْدَهُ وَصِيًّا

- وقال خُزيمة بن ثابت - ذو الشهادتين - و كان بدرىًّا (في أبيات منها) :

فَادْعُهَا تَسْتَجِبُ ، فَلِيسَ مِنَ الْخَرْ
رَجِّ وَالْأَوْسُ - يَا عَلَيْ - جَبَانُ
يَا وَصِيَ النَّبِيِّ قَدْ أَجْلَتِ الْحَرِّ
بُ الأَعْدَادِيِّ وَسَارَتِ الْأَضْعَانُ

وقال خُزيمة أيضًا في يوم الجمل :

أَعَائِشُ خَلَّيْ عَنْ عَلَيْ وَعَيْبِهِ
بَاهَا فِيهِ إِنَّمَا أَنْتَ وَالَّدُه

وصي رسول الله من دون أهله
وأنت على ما كان من ذاك شاهده
وحسبك منه بعض ما تعلمينه
ويكفيك لو لم تعلمي غير واحد

- وقال زحر بن قيس الجعفري يوم الجمل أيضاً .

أضربكم حتى تقرروا لعلي
خير قريش كلها بعد النبى
من زانه الله وسماه الوصي
إن الولي حافظاً ظهر الولي
كما الغوى تابع أمر الغوى

فهذه عشر وثائق تاريخية في جيل الصحابة ، من بين أربع وعشرين وثيقة ذكرها في هذا الفصل ، ثم قال : والأشعار التي تتضمن هذه اللفظة كثيرة جداً ، ولكننا ذكرنا منها هاهنا بعض ما قليل في هذين الحزبين - أراد : الجمل وصفين - ، فاما ما عدتها ، فإنه يجل عن الحصر ، ويعظم عن الإحصاء والعد ، ولو لا خوف الملالة والإضمار ، لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقاً كثيرة . انتهى .
ولقد أتى بهذه الأشعار في معرض حديثه عن خطبة أمير المؤمنين عليه السلام ، التي فيها :

« لا يُقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد ،

ولا يُسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ،

هم أساس الدين ، وعهاد اليقين ،
إليهم يفيء الغالي ، وفهم يلحق التالي ،
ولهم خصائص حق الولاية ، وفيهم الوصيّة والوراثة .. ».
إذن - بعد هذا كله - هل يرتاب طالب حق منصف !
أم سيغفني التأويل ، وصناعة الرواية من الحق شيئاً ؟
اقرأ معي - أخيراً - حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم الذي
يرويه الإمام أحمد بإسناده عن أنس بن مالك ، قال : قلنا لسلمان : سل النبي
صلّى الله عليه وآله وسلم عن وصيّه ، فقال له سلمان : يا رسول الله ، من وصيّك ؟
قال : « يا سلمان ، من كان وصيّ موسى ؟ ». .

قال : يوشع بن نون .
قال : « فإن وصيي ، ووارثي ، يقضى ديني ، وينجز موعودي على بن أبي طالب »^(١) .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لكلّنبيّوصيّوارث ، وإنّعليّاً
وصيّوارثي »^(٢) .

وقوله مخاطباً ابنته الزهراء : « ووصيّي خير الأوصياء ، وهو بعلك »^(٣) .
فهذه نصوص ثلاثة صريحة ، يشهد بعضها لبعض ، بأنّ علياً عليه السلام هو
وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، غير ماتقدّم .

(١) فضائل الصحابة ٢ : ٦١٥ / ١٠٥٢ ، وأخرجه أيضًا : الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ : ١١٣ ، المحبّ الطبرى في الرياض النضرة ٣ : ١٣٨ ، وذخائر العقبي : ٧٦ .

(٢) ترجمة الامام علي من تاريخ ابن عساكر ٣ : ٥ / ١٠٣٠ و ١٠٣١ ، الرياض الناصرة ٣ : ١٣٨ ، ذخائر العقبى : ٧١ ، المناقب للخوارزمي : ٤٢ ، الفردوس ٣ : ٣٨٢ / ٣٨٢ ، ٥٠٤٧ ، المناقب لابن المغازي : ٢٠١ ، كفاية الطالب : ٢٦٠ ، وسيلة المتعبدين ٥ - ٦ - ٧ : ١٦٢ .

(٣) مجمع الزوائد : ٨ / ٢٥٣ و ٩ / ١٦٥ ، ذخائر العقبي : ١٣٦ ، المناقب للخوارزمي : ٦٣ ، ابن المغازلي : ١٠١ / ١٤٤ ، كفاية الطالب : ٢٩٦ ، منتخب كنز العمال بهامش مستندة : ٥ / ٣١ .

٧ - حديث الغدير

هذا الحديث ، الذي بلغ حد التواتر عند جميع المسلمين - كما سترى - وحفظته أمميات المصادر ، قد لاقى من الكتمان ، أو شبهه ، ما لم يلقه شيء من أخبار الأحاداد أو الضعاف ، حتى صار كالمحظول لدى غالبية منّا ، وأصبح ذكره يستوجب الكثير من التفصيل في إثباته ، ثم رد الأقوال التي نسجت حوله ابتعاد تأويله !

ومهما يكن ، فليس بقادح في جمال الربيع صدود من لا يعشق الجمال . وبينما ترى بعضنا يقف خاسعاً مذعناً أمام النص النبوي الشريف ، تجد آخر يسلك فنون التأويل ، ويحمل الألفاظ ما لا تطيق ، ليصرف النص عن مقاده ومغزاها .

ونبدأ رحلتنا الطويلة مع هذا الحديث بما أثبته العقوبي في تاريخه ، تحت عنوان « حجة الوداع »^(١) .

وهو يروي خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى أن يقول : ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين يملكون بعضكم رقاب بعض ، إنّي قد خلّفت فيكم ما إن تمكّنتم به لن تضلّوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، ألا هل بلّغت » ؟

•

قالوا : نعم ،

قال : « اللهم اشهد » .

ثم قال : « إنّكم مسؤولون ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

(١) ٢ - ١١١ - ١١٢ ، ومثله في السيرة الخلبية ٣ : ٣٣٦ .

ثم يمضي في الحديث إلى أن يبلغ قوله : وخرج ليلاً منصراً إلى المدينة، فصار إلى موضع بالقرب من الجُحْفَة ، يقال له : غدير خمّ ، لثاني عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة ، وقام خطيباً ، وأخذ يد عليّ بن أبي طالب ، فقال : « ألسْتُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ؟ قالوا : بلى ، يا رسول الله .

قال : « فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللَّهُمَّ والِّيْ مَنْ وَالَّاهُ ، وَعَادِيْ مَنْ عاداه ». .

ثم قال : « أَيَّهَا النَّاسُ ، إِنِّي فِرطْكُمْ عَلَى الْمَوْضُعِ ، وَأَنْتُمْ وَارْدِيْ عَلَى الْمَوْضُعِ ، وَإِنِّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَرْدُونَ عَلَيْهِ عَنِ التَّقْلِينَ ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهَا ». .

قالوا : وما الثقلان يا رسول الله ؟
قال : « الثقل الأكبر : كتاب الله ، سبب طرفه يد الله ، وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به ، ولا تضلوا ، ولا تبدلوه ، وعتري أهل بيتي ». .
هكذا جاء ، فأرجو أن نمعن النظر في عبارات التأكيد ، والمبالغة في البيان ،
ثم الوعظ ، والأمر والوعيد !

ثم مع الحافظ النسائي^(١) ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : كنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بطريق مكة ، وهو متوجّه إليها ، فلما بلغ غدير خمّ وقف للناس ، ثم ردّ من سبقه ، ولحقه من تخلّف ، فلما اجتمع الناس إليه ، قال : « أَيَّهَا النَّاسُ ، مَنْ وَلَيْكُمْ » ؟
قالوا : الله ورسوله ، ثلاثاً .

(١) في كتابه (خصائص أمير المؤمنين) وقد ذكر فيه حديث الغدير بأسانيد عديدة وطرق شتى وألفاظ مختلفة بلغت تسع عشرة رواية ، منها ثلاثة طرق عن سعد بن أبي وقاص ، واثنان عن زيد بن أرقم .
ص ٢١ - ٢٧ .

ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب ، ثم قال : « من كان الله ورسوله وليه ، فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، عاد من عاداه ». .

وعن زيد بن أرقم ، قال : لما دفع رسول الله من حجّة الوداع ، ونزل غدير خم ، أمر بدوحات ^(١) فقُمِّمنَ ^(٢) ، ثم قال : « كأني دعيت فأجيب ، وإنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفواني فيها ، فإنّها لن يفترفا حتّى يردا علىّ الموضوع ». .

ثم قال : « إنّ الله مولاي ، وأنا ولی كلّ مؤمن » ثم إنّه أخذ بيد عليّ ، فقال : « من كنت ولیّه فهذا ولیّه ، اللهم وال من والاه ، عاد من عاداه ». .
قال أبو الطفيلي : فقلت لزيد : سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآل
وسلم ؟

فقال : وإنّه ما كان في الدوّحات أحد إلا رآه بعينيه ، وسمعه بأذنيه .
وأمّا المحبّ الطبرّي فيروي ^(٣) عن البراء بن عازب - رضي الله عنها -
قال : كنا عند النبي صلّى الله عليه وآل وسلم في سفر ، فنزلنا بغدير خم ، فنودي
فيينا : الصلاة جامعة ، وكُسح لرسول الله صلّى الله عليه وآل وسلم تحت شجرة ،
فصلّى الظهر ، وأخذ بيد عليّ ، وقال : « ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من
أنفسهم » ؟

قالوا : بلى ، فأخذ بيد عليّ ، وقال : « اللهم من كنت مولاه فعلّي مولاه ،
اللهم وال من والاه ، عاد من عاداه ». .

قال : فلقيه عمر بعد ذلك ، فقال : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت

(١) الدوحة : الشجرة النهاية (دوح) ٢ : ١٣٨ .

(٢) قم الشيء قمًا : كنسه. لسان العرب (قم) ١٢ : ٤٩٣ .

(٣) في ص ٦٧ من الذخائر في فصل أسماء : ذكر أنه من كان النبي صلّى الله عليه وآل وسلم مولاه فعلّي مولاه .

وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة .

وزاد الخوارزمي^(١) : عن أبي سعيد الخدري (رض) قال : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما دعا الناس إلى غدير خم ، أمر بها كان تحت الشجرة من شوك ، فقام ، وذلك يوم الخميس ، ثم دعا الناس إلى علي فأخذ بضبعه^(٢) ، فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيه ، ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَقْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الله أكبر على إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضي الرب برسالي والولاية لعلي ». .

ثم قال : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ». .

فقال حسان بن ثابت : يارسول الله ، أتأذن لي أن أقول أبياتاً ؟

فقال : « قل ببركة الله تعالى ». .

فقال :

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ
بِخَمْ وَأَسِمْعُ بِالرَّسُولِ مُنَادِيَا
بَأَنِي مُوَلَّكُمْ نَعْمَ وَوَلِيُّكُمْ
فَقَالُوا وَلَمْ يُؤْدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا
إِلَهُكَ مُولَانَا وَأَنْتَ وَلِيُّنَا
وَلَا تَجِدُنَّ فِي الْخَلْقِ لِلْأَمْرِ عَاصِيَا

(١) في المناقب : ٨٠.

(٢) الضبع : وسط العضد ، وقيل : ما تحت الإبط . النهاية ٣ : ٧٣ .

فقال له : قم ياعليٰ فإنني
رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاً فهذا وليه
فكونوا له أنصار صدقٍ مواليا
هناك دعا : اللهم وال ولية
وكن للذي عادى علياً معادياً^(١).

وفي البداية والنهاية^(٢) نجد التصريح بما ذكرنا من تواتر هذا الحديث، وإجماع المسلمين عليه، فيقول : وقد اعتبرنا بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد ابن جرير الطبرى صاحب التفسير والتاريخ، فجمع فيه مجلدين ، أورد فيها طرقه وألفاظه ، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر^(٣) أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة .

ثم يشرع صاحب الكتاب بإيراد طرق هذه الخطبة ، فيروها بسبعة طرق، ثم ينتقل إلى حادثة مسجد الرحبة ، حيث الشهادة الكبرى ، وتجدد بيعة الغدير - إذ قام الإمام عليٰ عليه السلام ، في أيام خلافته ، فناشد الناس : أنه من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم يقول : «من كنت مولاً فعلّي

(١) وروى هذه الأبيات : الخوارزمي أيضاً في مقتل الإمام الحسين ١ : ٤٧ ، والحافظ أبو نعيم كما في النور المستعمل : ٥٧ ، والجويني في فرائد السبطين من طريقين ١ : ٧٣ ، ٧٤ ، وابن الجوزي في تذكرة الحواص : ٣٣ ، والكتنجي في كفاية الطالب : ٦٤ . مع اختلاف في بعض الألفاظ .

(٢) ٥ : ١٨٣ - ١٨٩ آخر فصول السنة العاشرة من الهجرة .

(٣) هو علي بن الحسن بن هبة الله ، الإمام العلامة ، محدث الشام أبو القاسم الدمشقي - صاحب تاريخ دمشق - ولادته سنة ٤٩٩ ، ووفاته ٥٧١ هـ . (سير أعلام النبلاء) ٢٠ ت / ٣٥٤ .

مولاه » فليشهد بذلك - فيثبت هذه الحادثة من ستة وثلاثين طریقاً، ثم يشهد بصححة القسم الأعظم منها وقوته.

ثم يختتم هذا الفصل بذكر ما ردد به الشيخ الحافظ أبو عبد الله الذہبی^(١) على حديث أبي هريرة ، الذي فيه : عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة، قال : لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد عليّ ، قال : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » فأنزل الله عزّ وجل : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَقْمَلْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الآية . قال أبو هريرة : وهو يوم غدير خمّ ، من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجّة كتب له صيام ستين شهراً^(٢).

قال - بعد أن استعرض رأيه - وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذہبی بعد إيراده هذا الحديث : هذا حديث منكر جداً ! ورواه حبشون الخلال وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيري ، وهما صدوقان ، عن عليّ بن سعيد الرمليّ عن ضمرة ، قال : يروى هذا الحديث عن عمر بن الخطاب ، ومالك بن الحويرث ، وأنس بن مالك ، وأبي سعيد ، وغيرهم بأسانيد واهية (!) .

قال : وصدر الحديث متواتر ، أتيقن أنّ رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم قاله ، وأمّا « اللهمّ والـمَنْ والـاـه » فزيادة قوية للإسناد.

ولكنـه - عفا الله عنه - بعد أن نقل كلـ هذا ، عاد فانصاع لهواه ، ومال مع نفسه ، وكأنـي به يتقلب بين المسالك بحثاً عـمـا يخرجـه إلى تأويـلـ يـصـرفـ فيـهـ الحديثـ عنـ حـقـيقـتـهـ الظـاهـرـةـ الجـلـيـةـ ، فـبـعـدـ أـنـ دـخـلـ مـدـخـلاًـ وـاهـيـاًـ يـنشـدـ غـرـضـهـ ، فـظـنـ أـنـهـ اـنـتـصـرـ ، قـفـزـ ، وـهـوـ يـظـنـ أـنـهـ اـرـتـقـىـ أـعـلـىـ درـجـاتـ السـلـمـ ، وـلـكـنـهـ أـسـفـاًـ .

(١) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذہبی ، صاحب التراجم والتاريخ ، تلمذ على ابن تيمية وأخذ عنه نهجـهـ السـلـفـيـ ، تـوـقـيـ سـنـةـ ٧٤٨ـ هـ .

(٢) والحديث رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٢٩٠ ، وجميع رواته موثقون ، ورواه الحاكم في شواهد التنزيل في ذكر الآية من سورة المائدة : ١٥٧ / ٢١١ ، وسيأتي ذكر المزيد من مصادرـهـ في محلـهـ إنـ شـاءـ اللهـ عـالـىـ .

كان قفزاً إلى الأسفل !

وسنذكر محاولاته هذه بنصّها :

فهو يقول - في أول كلامه الذي تركه مبهمًا بعنوان - (فصل) ، كتب

تحته :

(في إيراد الحديث الدال على أنه عليه السلام خطب بمكان بين مكة والمدينة ، مرجعه من حجّة الوداع ، قريب من الجحفة ، يقال له : غدير خم ، فيبين فيه فضل علي بن أبي طالب ، وبراءة عرضه مما كان تكلّم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدّلة التي ظنّها بعضهم جوراً وتضييقاً وبخلاً ، والصواب كان معه في ذلك .

هذا لما تفرّغ عليه السلام من بيان المنسك ، ورجع إلى المدينة ، بين ذلك في أثناء الطريق ، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة عامئذ ، وكان يوم الأحد ، بغدير خم ، تحت شجرة هناك ، فيبين فيها أشياء ، وذكر من فضل علي ، وأمانته ، وعدله ، وقربه إليه ، ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه ، ونحن نورد عيون الأحاديث الواردة ...).

نقف معه هنا لنرى كيف أراد أن يجعل هذه الخطبة العظيمة - كما وصفها هو - إنما جاءت لغرض بيان براءة علي مما شكاه منه نفر من الصحابة ، لا غير ! وهذا لعمري حمل واهٍ لا يمرّ على عاقل قرأ رواية واحدة لهذه الخطبة العظيمة ، فكيف إذا علم القارئ أن النبي الأعظم صلّى الله عليه وآلـه وسلم قد ردّ على تلك الشكاوى في محلّها وفي وقتها ، وعلى مرأى ومسمع من المسلمين ؟ وقد وردت تلك الردود في كافة الروايات التي تعرضت إلى تلك الشكاوى ، ومنها عدّة روايات يذكرها صاحب البداية والنهاية نفسه !

وإليك قصص الشكاوى ، نبدأها بما رواه في هذا الفصل ، فقال :

لما أقبل علي من اليمن ليلقى رسول الله (ص) بمكة تعجل إلى رسول

الله (ص) واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كلّ رجل من القوم حلة من البرّ الذي كان مع عليٍّ ، فلما دنا جيشه خرج ليلاقهم ، فإذا عليهم الحلل ، فقال : ويلك ، ما هذا ؟
قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس .

قال : ويلك ، انزع قبل أن ينتهي به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فانزع الحلل من الناس ، فردها في البرّ - قال - وأظهر الجيش شکواه لما صنع بهم - ثم ذكر سندًا ينتهي إلى أبي سعيد الخدري - قال : اشتكي الناس عليّاً ، فقام رسول الله (ص) فيما خطيباً فسمعه يقول : « أئها الناس ، لا تشکوا عليّاً ، فوالله إنه لأخشن في ذات الله - أو في سبيل الله ». - ثم أضاف : وقال الإمام أحمد : حدثنا الفضل بن دكين عن بُريدة - فروى قصة بريدة حتى قال : فقال (ص) « يا بريدة ، ألسْت أولى بالمؤمنين من أنفسهم » ؟
قال : بلى .

قال : « من كنت مولاه فعليّ مولاه ». .

ثم قال : وكذا رواه النسائي عن أبي داود الحراني ، عن أبي نعيم الفضل بن دكين ، عن عبد الملك بن أبي غنيمة بإسناد نحوه ، وهذا إسناد جيد قويّ رجاله كلّهم ثقات .

القصة الثانية :

أن أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزموا أن يشکوا عليّاً إذا لقوا رسول الله ، فلما قدموا عليه ، قال أحدهم : يارسول الله ، ألم تر إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و فعل الشّانى منهم والثالث والرابع مثل أواهُم ، وفي كلّ مرّة يعرض الرسول عن الشاكى - قال - فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم والغضب يُعرف في وجهه ، فقال : « وما تريدون من عليّ ؟ وما تريدون من عليّ ؟ إنّ عليّاً مني ، وأنا منه ، إنّ عليّاً مني ، وأنا منه ، وهو ولّي كل مؤمن بعدى »^(١) .

القصّة الثالثة :

في شكوى بُرَيْدَة ؛ فعنْه ، آنَّه قال : بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بعثين إلى اليمين : على أحدِهَا علَيَّ بن أبي طالب ، وعلى الآخر خالد بن الوليد ، فقال : « إِذَا التَّقِيتُمْ فَعِلُّيْ عَلَى النَّاسِ ، وَإِذَا افْتَرَقْتُمْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا عَلَى جَنْدِهِ » .

فلقينا بني زيد من أهل اليمين ، فاقتتلنا ، فظهر المسلمون على المشركين ، فقتلنا المقاتلة ، وسبينا الذرّية ، فاصطفي على لنفسه امرأة من السبي - قال بُرَيْدَة - فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول الله يخبره بذلك . فلما أتت النبي صلّى الله عليه وآله وسلم رفعت الكتاب ، فقرئ عليه ، فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، فقلت : يارسول الله ، هذا مكان العائد ، بعثتني مع رجل ، وأمرتني أن أطيعه ، ففعلت ما أرسلت به .

(١) سنن الترمذى - كتاب المناقب - ٥ / ٣٧١٢ ، المصنّص للنسائي : ٢٣ ، مسند أحمد ٤ : ٤٣٨ ، وفضائل الصحابة - له أيضاً ٢ : ٦٠٥ / ٦٢٠ و ١٠٣٥ / ١٠٦٠ ، المستدرك ٣ : ١١١ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ : ٤١ / ٦٨٩٠ ، الجامع للاصول ٩ : ٤٧٠ / ٦٤٨٠ ، أسد الغابة ٤ : ٢٧ ، ابن أبي الحديد ٩ : ١٧٠ ، الرياض النصرة ٣ : ١٢٩ ، كنز العمال ١١ ج ٣٢٨٨٣ مختصرًا ، وأصحاب المناقب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تقع في عليّ ، فإنه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي »^(١) . وهكذا ظهر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد رد على جميع تلك الشكاوى التي حصلت جميعها أيام حجّة الوداع ، وعند عودة عليّ عليه السلام من اليمن . وأنه كان الرد في كلّ مرّة على ملأ من الناس ، ولم يكن خفيّاً . وأنه في كلّ مرّة كان يؤكد عظيم منزلة عليّ عليه السلام ، ثمّ يؤكد الولاية له :

« فإنه مني ، وأنا منه ، وهو وليكم بعدي » .
وهذا يتبيّن بطلان ما أدعاه ، والحمد لله .

وبعد ، فإذا نظرنا فيما تميّزت به هذه الخطبة من خصوصيات ، نجد بما لا يدع أدنى مجالاً للشك ، أن ذلك التأويل ليس له محلّ على الإطلاق . فقد تمتّعت هذه الخطبة ، بمعيّنات لم تحظ بها أيّة خطبة أخرى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

- فبعد عودة الناس من حجّهم الأكبر .
- وعند بلوغهم مفترق الطرق ، حيث يتوجه كُلُّ إلَى أهله وموطنه .
- وفي منتصف النهار ، ولهيب الهاجرة .
- ونادي منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
- فرد المتقدّم .
- وانتظر المتأخر حتى لحق به .

(١) مسند أحمد ٥ : ٣٥٦ ، المستدرك ٣ : ١١٠ ، الحصانص للنسائي : ٢٤ ، ابن عساكر كما في الترجمة : ٤٠٠ / ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٧ ، فضائل الصحابة - لأحمد بن حنبل ٢ : ٥٨٤ / ٩٨٩ ، جمع الزوائد ٩ : ١٠٨ ، الرياض النبرة ٣ : ١٣٠ ، وأصحاب المناقب .

- ثم قام ذلك المقام المشهود ، أمّا مائة ألف أو يزيدون !
ألا يدلّ ذلك ، بل بعض منه ، على أنّه صلّى الله عليه وآلـه وسلّم أراد هذا
الأمر أن ينال الحظ الأوفر من اهتمام الناس ، والثبات في الأذهان ، والانتشار
في الأقطار والأمصار ، إلى درجة تبلغ فيها الحجّة كلّ المسلمين ، وفي كافة
أقطارهم ؟

بلى ، إنّها كانت بيعة على الأشهاد ، تولّ إبلاغها خير الخلق وسيّد العباد ،
ثم لم يصرفهم من تجمّعهم الكبير ، ولا اختتم كلامه حتّى أشهد الله عليهم ،
وأشهدهم على أنفسهم ، وفرض عليهم تبليغها في بلدانهم بشكل لم يفرضه على
أمرٍ آخر ، أو خطبة أخرى ، فكرر القول :
«ألا هل بلّغت » ، «اللهـم اشهد» .

و «إنّكم مسؤولون ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب» .
وبعد هذا البيان ، نعود إلى كلامه الذي اقتطعناه عند قوله : (ونحن
نورد عيون ما روي في ذلك ، مع إعلامنا أنه لا حظّ للشيعة ولا متنسّك لهم ولا
دليل ، لما سبّبناه ونبّهنا عليه ، فنقول ، وبالله المستعان : قال محمد بن
إسحاق . . .) .

ثم بدأ بسرد روایات خطبة الغدير ، حتّى أتى على إحدى وأربعين روایة
- بالتفصيل الذي وصفناه - وجعل آخرها ردّ الحافظ الذهبي على روایة أبي
هريرة ، ثم وصلها مباشرة بما أراده أن يكون دليلاً على عدم صحة الاستدلال
بهذه الروایات على خلافة عليّ بن أبي طالب ، ولأجل المزيد من الاطمئنان من
عدم قطعنا كلامه ، نعود إلى حيث انتهينا عنده من ردّ الحافظ الذهبي ، لتأتي
بالحديث إلى آخره :

قال - الحافظ الذهبي - وصدر الحديث متواتر ، أتیقّن أنّ رسول الله صلّى
الله عليه وآلـه وسلّم قاله ، وأما «اللهـم والـمـ والـمـ» فزيادة قوية لإسناد ، وأما

هذا الصوم فليس بصحيح ، ولا والله مانزلت هذه الآية إلا يوم عرفة ، قبل غدير خم ب أيام والله تعالى أعلم^(١) .

وقال الطبراني : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ الْوَزِيرَ الْأَصْبَهَانِيُّ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدَ الْمَقْدَمِيُّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَقْدَمِيُّ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدَ ابْنِ يُوسُفَ بْنِ شَبَابَةِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ مُسْمَعٍ ، حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ حَنْيَفَ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ مَالِكٍ أخِي كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ ، صَدَّ الْمَنْبُرَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَتَّسَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَبَا بَكْرَ لَمْ يَسْؤُنِي قَطُّ ، فَاعْرُفُوا ذَلِكَ لَهُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفَ وَالْمَهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ راضِيٌّ ، فَاعْرُفُوا ذَلِكَ لَهُ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، احْفَظُونِي فِي أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي وَأَحْبَابِي لَا يَطْلُبُنِّكُمُ اللَّهُ بِمُظْلَمَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، أَيُّهَا النَّاسُ ، ارْفُعُوا أَسْتِكْمَ عنِ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِذَا ماتَ أَحَدُهُمْ فَقُولُوا فِيهِ خَيْرًا ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ». انتهى .

فلعمري ، ما الذي أراد إثباته من هذا النص مقابلة نصوص الغدير التي شهد لها بالتواتر وصحّة الإسناد ؟

هل أراد أن يقول : إن فيه دلالة على استخلاف أبي بكر ؟
فأي شيء فيه يدل على الاستخلاف ؟

ثم إنه ليس له أن يستدل بهذا ، ولا بغيره ، لأن ذلك يخالف مذهبه الذي يقول إن النبي لم يستخلف أحداً !

وبعد ، فهذا هو كل ما عثر عليه ليرد به على من استدل على ولادة علي

(١) سيبأني بيان ذلك لاحقاً .

ابن أبي طالب عليه السلام من حديث الغدير ، ونظائره ، كما يدلّ على هذا كلامه المتقدم : (مع إعلامنا أنه لا حظّ.... ولا متمسّك لهم ، ولا دليل) !
 فلم يبق إلّا أنه أراد أن يقول بوجوب حفظ كرامة الصحابة ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « احفظوني في أصحابي وأصحابي وأحبابي ، لا يطلبنّكم الله بمظلمة أحد منهم » .

ونحن معه في هذا كله ، فهل إن الاستدلال على ولية علي عليه السلام من النصوص المتوترة فيه مظلمة لأحد ؟

بل نحن ندعو كلّ من يعتقد بحفظ كرامة الصحابة أن يثبت معنا على اعتقاده هذا حين يقف على ما حصل من مظالم بحقّهم ، ويرى من الذين سيطّلّبهم الله بمظلمة أخلص أصحاب رسول الله ، وأصحابه ، وأحبابه ؟
 ونعود فنقول : بل إنّ أول من استدلّ بخطبة الغدير على ولية علي عليه السلام هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقد مرّ في حديث البراء بن عازب : فلقيه عمر بعد ذلك ، فقال : هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة .
 وأورد أحمد وغيره أنّ أبا بكر وعمر لما سمعاه ، قالا له : أمسيت يا بن أبي طالب مولى كلّ مؤمن ومؤمنة^(١) . لقد كانت بيعة صريحة منهم له عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم !

(١) مسند أحمد ٤ : ٢٨١ ، فضائل الصحابة - له أيضاً - ٢ : ٥٩٦ و ١٠١٦ و ٦١٠ و ١٠٤٢ ، أسد الغابة ٤ : ٢٨ ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ٢ : ٧٦ / ٥٧٩ ، ٥٨٠ و ٥٨٤ و ٨٢ / ٥٨٤ وموضع أخرى ، تفسير الرازى ١٢ : ٤٩ - ٥٠ ، روح المعانى ٦ : ١٩٤ ، الصواعق المحرقة : ٤٤ ، الرياض النبرة ٣ : ١٢٧ ، المناقب لا بن المغازى : ١٩ ، تذكرة الخواص : ٢٩ ، هذا غير ما تقدم من مصادره .

الشهادة الكبرى

أو

«البيعة الثانية»

نعم ، لقد كان بлагاغاً مشهوداً بлаг رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم في غدير خم ، فقد تهيأ له من أسباب الحفظ والثبات والشروع ما يناسب جلالته، فلا يقوى على طمسه من يشاء . ولقد كاد أن يحدث ذلك لو لا تلك العناية الكبرى التي أحاط بها النبي الأعظم صلى الله عليه وآلله وسلم .

فقد أمسى هذا الحديث مهجوراً بعد رسول الله ، أو كالمهجور ، والأمة تضي على غير سبيله ، حتى شاء الله أن يعد له من يحييه من جديد ، وعلى ملأ من المسلمين أيضاً ، فكان ذلك في الكوفة ، وفي مسجد الرحبة منها ، وبعد خمس وعشرين سنةً من غياب رسول الله ، إذ قام علي بن أبي طالب - أيام خلافته - خطيباً ، فقال :

«أنشد الله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم يقول يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، لما قام فشهد» . قال عبد الرحمن : فقام اثنا عشر بدريّاً كأني أنظر إلى أحدهم ، فقالوا : نشهد أنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم يقول يوم غدير خم : «الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجي أمها لهم ؟» .

فقلنا : بل ، يارسول الله .

قال : « فمن كنت مولاه فعلّي مولاه ، اللّهم والِّي من والاه ، وعادِ من عاداه »^(١).

وفي حديث آخر : أنه عليه السلام قال في مناشدته : « ولا يقوم إلا من رآه ».

فقام - أي الصحابة - إلا ثلاثة لم يقوموا ، فدعوا عليهم ، فأصابتهم دعوته^(٢) .

وقد نال هذا الحديث من الشهرة ما ناله حديث الغدير ، فلا يكاد يذكر حديث الغدير إلا وذكر خبر الرحبة إلى جانبه .

وحين أقف أمام كل هذه النصوص ، فلا أرى أمامي سوى الاطمئنان والرضى والتسليم لأمر الله ورسوله ، غير أنّ النفس تنزع دوماً لما يلائم طبعها ، وما نشأت عليه ، وترى الإذعان إلى ما يخالفه أمراً ثقيلاً ، مرأً ، قد لا تستسيغه منها بلغت درجته من القوّة !

وتلك النفس هي التي تختفي وراء محاولات التأويل ، وصرف النص النبوّي الشريف عن معناه ومؤدّاه ، ولتلك المحاولات سبل شتى ، ومسالك

(١) مسند أحمد ١: ١١٨ ، ٨٨ ، ١١٩ (بطريقين) ، فضائل الصحابة (الأحمد بن حنبل) ٢: ٥٨٥ / ٩٩١ و ٦٨٢ / ١١٦٧ - وفيه : فقام ثلاثة فشهادوا - ، أسد الغابة ٢: ٢٣٣ و ٣: ٩٣ ، خصائص النسائي ٢٢: ٢٥ من عدة طرق ، الإصابة ٤: ١٨٢ / ٥١٩٩ - ترجمة عبد الرحمن بن مدلنج - ومواضع أخرى ، مجمع الزوائد ٩: ١٠٤ - ١٠٥ بعدة طرق ، السيرة الخلبية ٣: ٣٣٧ ، ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر ٢: ٥ - ٥٠٣ / ٢٥ - ٥٢٤ - ومواضع أخرى ، تاريخ بغداد ١٤: ٢٣٦ ، صفة الصفة ١: ٣١٣ ، تاريخ الحلفاء ١: ١٣٤ ، الرياض النصرة ٣: ١٢٧ ، حلية الأولياء ٥: ٢٦ ، وكتب المناقب قاطبة ، وقد تقدم أن ابن كثير أخرجه في البداية والنهاية من ستة وتلابين طريقاً .

(٢) مسند أحمد ١: ١١٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٤ .

منهج في الانتهاء المذهبى متشعبَة ، تناولنا منها شيئاً ، وسنمرّ هنا على أهمّها في هذا المقام عرضاً ونقداً

موجَزَين .

فللشيخ الألوسي في (روح المعاني) ^(١) عند تفسيره قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ الآية ^(٢)

بحث مسهب ، يلمس فيه المتتبّع محاولات الفرار من المسؤولية أمام النصّ القطعي ، معتمداً تأويلات لغوية ، وتتكلّفاً شديداً ، لا أظنّ أنه - مع طول باعه ، وسعة تبحّره - كان مقتنعاً بها حقّاً ، ولكنّها السبيل الوحيد إلى ما ترضاه النفس ، ويميل إلى الهوى !

فيقول : والشیخان لم يرويا خبر الغدیر في صحیحیهیما ، لعدم وجdanها له على شرطهما ..

وهذا الكلام ليس له قيمة علمية لسببين :

أوّلها : في قوله : لعدم وجدانها له على شرطهما .

فهذا ادعاء باطل ، لما أثبته الحاكم في المستدرک وقد روی حديث الغدیر من طريقين ، وأثبتت صحتهما جيئاً على شرط الشیخین ، وهذا نصّ الحاكم : عن زید بن أرقم رضي الله عنه ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من حجّة الوداع ونزل غدیر خمّ أمر بدوحات فقمن ، فقال : « كأني قد دعّيت فأجّيب ، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله تعالى ، وعترتي ، فانظروا كيف تختلفون فيهما ، فإنّهما لن يفترقا حتى يردا علىَ الحوض » .

ثم قال : « إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مولاً : وَأَنَا مولى كُلِّ مُؤْمِنٍ - ثُمَّ أَخْذُ بِيَدِ

عليّ رضي الله عنه فقال - من كنت مولاه فهذا ولّيه ، اللهمّ واللّه ، وعاد من عاداه » وذكر الحديث بطوله وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيixinين ولم يخرجاه بطوله .

ثم قال : شاهده حديث سلامة بن كهيل عن أبي الطفيلي أيضاً صحيح على شرطهما ، حدثنا أبو بكر بن إسحاق ، ودعلج بن أحمد السجزي ، قالا : أبا محمد بن أيوب ، ثنا الأزرق بن عليّ ، ثنا حسان بن إبراهيم الكرماني ، ثنا محمد بن سلامة بن كهيل ، عن أبيه ، عن أبي الطفيلي عامر^(١) بن وائلة أنه سمع زيد بن أرقم رضي الله عنه يقول :

نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين مكة والمدينة عند شجرات خمس دوحة عظام ، فكنس الناس ما تحت الشجرات ، ثم راح رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم عشيةً فصلـي ثم قام خطبياً ، فحمد الله وأشنى عليه ، وذكر وعظ ، فقال ما شاء الله أن يقول ، ثم قال :

« أئها الناس ، إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتـهما ، وهما : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي - ثم قال - أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسـهم » ثلاث مرات . قالوا : نعم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم : « من كنت مولاـه فعليـه مولاـه »^(٢) .

ومن المناسب القول : إنّ وفاة الحاكم كانت في سنة ٤٠٥ هـ ، في حين توفيّ الـألوسي سنة ١٢٧٠ هـ ، فهل خفي عليه ما أورده الحاكم ؟

(١) في المصدر « عن ابن وائلة » وال الصحيح ما أثبـتهـا ، لأنـ أباـ الطـفـيلـ هوـ عامـرـ بنـ وـائـلـةـ .

(٢) المستدرك على الصـحيـينـ ٣ : ١٠٩ - ١١٠ .

وهل خفي عليه أنّ الترمذى قد أخرجه في سنته وصحّه^(١) ، وأخرجه ابن ماجة في سنته من طريقين^(٢) ، وأحمد في مسنده من ستة عشر طريقة^{(٣)؟!}

كيف إذن جزم جزمه القاطع دوننا استقصاء ؟ !
إنّ هذا يُعدّ عيباً كبيراً مع المسائل البسيطة ، فكيف به مع أمر يعتمد في
العقيدة ، وتفسير القرآن ؟ !

أم يقال : إنّه وجد كلام الحاكم باطلًا ، فقطع بحكمه ذاك ؟
فجوابه : إنّه لو كان كذلك لما اكتفى بمجرد الإشارة إليه ، بل لبسط
القول في إثبات بطلانه ، لأنّه مهمّ جدًا لمعارضته دعواه التي اعتمدها في حجّته ،
فكيف ولم يُشر إليه بأدنى إشارة !

وغير هذا ، ف الحديث الغدير مما ثبت تواتره بشكل لا يخالفه شك^(٤) .
بل قد لا يجد المتبع لأحاديث الشريعة كلّها حديثاً متواتراً أكثر طرقاً
من حديث الغدير^(٥) ، فإن لم يصحّ حديث كهذا فليس في الشريعة حديث
صحيح .

وقد كتم هذا الحديث قوم فما فنوا من الدنيا إلا عموا وبرعوا^(٦) .

(١) سنن الترمذى ٥ : ٦٣٣ / ٣٧١٣ .

(٢) سنن ابن ماجة ١ : ٤٣ / ٤٥ ، ١١٦ / ٤٥ .

(٣) مسنّد أحمد ١ : ٨٤ ، ٨٨ ، ١١٩ ، ٢٨١ ، ٣٢١ ، ١٥٢ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٤٧ : ٥ .

(٤) ومن صرّح بتواتره : الذهبي - كما تقدم - وقد صرّح بأنه أفرد جزءاً في طرق هذا الحديث فانظر : تذكرة الخطاط : ١٠٤٣ ، وسير أعلام النبلاء : ١٧ (١٦٩ : ١٦٩) (عند ترجمة الحاكم) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق من (٩١) طریقاً انظر ترجمة الإمام علي منه ح ٥٠٣ - ح ٥٩٣ ، وتقديم قول ابن كثير أن الطبرى ألف كتاباً في طرقه .

(٦) كنز العمال ١٣ : ١٣١ / ٣٦٤١٧ ، مسنّد أحمد ١ : ١١٩ شرح نهج البلاغة لا بن أبي الحديد ٤ : ٧٤ .

فـهـاـذاـ بـقـيـ لـهـ مـنـ عـذـرـ سـوـىـ حـسـنـ ظـهـهـ بالـشـيـخـيـنـ ،ـ فـلـمـ لـمـ يـجـدـهـ عـنـهـماـ
ظـنـ عـدـمـ وـجـانـهـاـ لـهـ عـلـىـ شـرـطـهـاـ ،ـ فـهـلـ يـصـحـ هـذـاـ ؟ـ اـنـظـرـ النـقـطـةـ التـالـيـةـ :ـ
وـثـانـيـهـاـ :ـ إـنـ عـدـمـ ذـكـرـ الشـيـخـيـنـ لـهـ لـيـسـ بـقـادـحـ فـيـهـ بـعـدـمـ تـبـيـنـ مـنـ شـهـرـتـهـ
وـشـهـادـةـ الـأـعـلـامـ بـتـواتـرـهـ .ـ

ثـمـ هـلـ روـيـ الشـيـخـانـ كـلـ مـاـ يـطـابـقـ شـرـوطـهـاـ مـنـ مـنـاقـبـ عـلـيـهـ
الـسـلـامـ لـنـجـعـلـ ذـلـكـ حـجـةـ ؟ـ

هـذـاـ مـاـ لـاـ يـدـعـيهـ أـحـدـ عـلـىـ الإـطـلاقـ ،ـ وـلاـ يـقـولـ بـهـ أـحـدـ رـأـيـ الـكـاتـبـيـنـ ،ـ
وـاطـلـعـ عـلـىـ مـاـ ذـكـرـاهـ مـنـ مـنـاقـبـ عـلـيـهـ السـلـامـ ،ـ فـكـيـفـ يـقـولـ ذـلـكـ وـهـوـ لـاـ يـجـدـ
لـهـ فـيـهـاـ سـوـىـ أـرـبـعـ مـنـاقـبـ ،ـ مـعـ ثـلـاثـ قـصـصـ أـخـرـىـ ذـكـرـاـهـاـ فـيـ الـبـابـ (١)ـ ؟ـ
وـإـنـهـ لـمـ دـوـاعـيـ الـاسـتـغـارـابـ أـنـ نـفـتـشـ عـمـنـ نـلـوـذـ بـهـ هـرـبـاـ مـنـ النـصـ
الـشـرـيفـ الـمـتوـاتـرـ !ـ

(١) انظر صحيح البخاري ٥ : ٨٧ - مناقب علي بن أبي طالب فقد أدخل حديث «أنت مني وأنا منك» في عنوان الباب ، ثم خصص الحديثين ١٩٧ و ١٩٨ في رأية خبر ، ثم حديث المزلة برقم (٢٠٢) ، أما الحديث (١٩٩) فهو في قصة تسميتها بأبي تراب ، والمحدث (٢٠٠) ذكر فيه خبر رجل يسأل عبد الله بن عمر عن عثمان وعلي ، قال : فذكر محسان عمله وقال : هذا بيته في أوسط بيت النبي ، والمحدث (٢٠١) عن علي عليه السلام في طلب الزهراء عليها السلام خادمة من أيها صل الله عليه وأله وسلم فأمرها بالتسبيح المعروف بعد كل صلاة ، واختتم بالحديث (٢٠٣) في رواية نسبها اليه ايضا لم يرد بها سوى تزكية الخلفاء الثلاثة ، لا غير .

وأما في صحيح مسلم فقد جاءت مناقبه عليه السلام بين الرقمين ٢٤٠٤ و ٢٤٠٩ ، أو لها حديث المزلة ، ثم رأية خبر وقد شغلت الارقام ٢٤٠٥ - ٢٤٠٧ ، ثم حديث التقلين عن زيد بن أرقم من خطبة الغدير وقد بترها ، ثم اختتم بالرقم ٢٤٠٩ في قصة تسميتها بأبي تراب ، وانتهى الباب .

فهذه هي مناقب علي عليه السلام عند الشيختين ، تلك المناقب والفضائل التي قال عنها أحمد بن حنبل : ماجاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي ، وقال إسحاعيل القاضي ، والنمسائي ، وأبو علي النيسابوري : لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي ! ذكر أقوالهم هذه : الحكم في المستدرك ٣ : ١٠٧ ، وابن عبد البر في الاستيعاب ٣ : ٥١ ، وابن حجر في الصواعق باب ٩ : ١٢٠ ، والسيوطى في تاريخ الخلفاء : ١٣٣ .

فهل جعلت الحجّة علينا فيما ثبت صدوره عن رسول الله بالطرق
الصحيحة ، أم الحجّة فيما ينتخبه رجل أو اثنان من نصوص الشريعة ؟
فيبدأً من أن نتساءل عن دواعي إهاهاما ذكره بعد تواتره ، نحتاج عليه
بها ؟

- ثم قال : ووجه استدلاهم بخبر « من كنت مولاه فعليّ مولاه » : أنَّ
المولى بمعنى الأولى بالتصريف ، وأولوية التصرف عين الإمامة .
ولا يخفى - والكلام له - أنَّ أول الغلط في هذا الاستدلال : جعلهم المولى
بمعنى الأولى ، وقد أنكر ذلك أهل العربية قاطبة ، ولم يجوز ذلك إلا أبو زيد
اللغوي^(١) ، متمسّكاً بقول أبي عبيدة^(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿هُنَّ مَوْلَاكُم﴾
أي الأولى بكم .

انظر كيف ذكر اثنين من النحوين ثم عدّهم واحداً .
ثم إنَّ الذين فسروا المولى بالأولى - غير من ذكر - هم جمع غفير ، منهم :

١- من أئمة اللغة :

المبرد^(٤) : عند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٤) قال:

(١) هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري : أحد أئمة الأدب واللغة ، قال ابن الأباري : كان سيبويه إذا قال : « سمعت الثقة » عن أبي زيد ، ولد سنة ١١٩ وتوفي بالبصرة سنة ٢١٥ هـ . الأعلام ٣: ٩٣ .

(٢) هو معمر بن المثنى التميمي : الإمام العلامة البحر ، قال عنه بن الدبيسي : كان لا يجيء عن العرب إلا الشيء الصحيح ، وقيل : لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة .. سير أعلام النبلاء ٩: ٤٤٥ .

(٣) هو أبو العباس محمد بن يزيد البصري : صاحب (الكامل) إمام النحو ، متقدّم في جميع العلوم ، وكان آيةً في النحو ، وكان إمام العربية في بغداد ، وأحد أئمة الأدب والأخبار ، توفي في بغداد سنة ٢٨٦ هـ .

سير أعلام النبلاء ١٣: ٥٧٦ / ٢٩٩ ، الأعلام ٧: ١٤٤ .

(٤) سورة محمد (ص) : ١١ .

إن أصل تأويل (الولي) الذي هو أولى أي أحقر، ومثله المولى، والولي والمولى معناهما سواء، وهو الحقيق بخلقه المتأول لأمورهم^(١).

والزجاج^(٢) : عند قوله تعالى : ﴿ هِيَ مَوْلَأُكُم ﴾ قال : يعني أولى بكم^(٣).
وابن الأنباري^(٤) : قال : والمولى في اللغة ينقسم على ثمانية أقسام . . .
المولى : الولي، والمولى : الأولى. واستدلّ على هذا المعنى بالآية المتقدمة، وبيت
لبيد^(٥) :

فَقَدْتُ كِلا الْفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا

والفراء^(٦) : في قوله عز وجل : ﴿ مَأْوَأُكُمُ النَّارِ هِيَ مَوْلَأُكُم ﴾ قال : أي

(١) عن كتاب : الشافي في الإمامة ٢ : ٢٧١ ، وجمع البيان في تفسير القرآن ٣ : ٣٢٣ ، والتبيان ٣ : ٥٦٠ جبيعاً عن كتاب (العبارة عن صفات الله) للمرد.

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السري الزجاج : الإمام ، نحوبي زمانه ، مصنف كتاب (معاني القرآن) أخذ عن المرد ، وأخذ عنه أبو علي الفارسي وكان إذا استأذن أصحاب المرد في الدخول عليه يبعث إليهم آذنه فيقول لهم : إن كان فيكم الزجاج فادخلوا وإلا انصرفوا . توفي سنة ٣١٠ وقيل ٣١٦ هـ .

سير أعلام النبلاء ١٤ : ٣٩٠ / ٢٠٩ ، وفيات الأعيان ١ : ٤٩ .
(٣) كما في تفسير الرازبي ٢٩ : ٢٢٧ .

(٤) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري : المقرئ النحوي الحافظ اللغوي ، قيل فيه : ما رأينا أحداً أحفظ منه ولا أغزر علماً ، أخذ عن ثعلب ، وأخذ الناس عنه ، توفي سنة ٣٢٨ هـ . وفيات الأعيان ٤ : ٣٤١ .

(٥) الأضداد ٢ : ٤٦ .

(٦) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن منظور الأستدي : مولاهم الكوفي النحوي ، قال ثعلب : لو لا الفراء لما كانت عربية . وقد أمل الفراء كتابه (معاني القرآن) على أكثر من ثمانين قاضياً . توفي سنة (٢٠٧) هـ . . . سير أعلام النبلاء ١٠ : ١١٨ / ١٢ .

أولى بكم^(١).

. وتعلب^(٢) : عند بيت لبيد المتقدم ، قال : إنَّ المولى في هذا البيت بمعنى الأولى بالشيء ، كقوله تعالى : ﴿مَا وَأَكُمُ النَّارُ هِيَ مُوْلَاكُم﴾ أي أولى بكم^(٣).

وابن المبارك^(٤) ، في كتابه : غريب القرآن وتفسيره^(٥).

وابن المُلْقَن^(٦) ، في كتابه : تفسير غريب القرآن^(٧).

والجوهري^(٨) ، في (الصحاح) وذكر قول لبيد : مولى المخافة . وقال : بريد أَنَّهُ أَوْلَى مَوْضِعَ أَنْ تَكُونَ فِيهِ الْحَرْب^(٩).

(١) معاني القرآن ٣ : ١٣٤ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني : إمام النحو ، العلامة المحدث ، وكان أعلم الكوفيين وله كتاب (اختلاف التحويين) و (معاني القرآن) وغيرها ، توفي سنة ٢٩١ هـ . سير أعلام النبلاء ١ / ٥ : ١٤ .

(٣) شرح العلاقات السبع ، للروزني : ١٤٨ ، وهامش (المقتضب) ٣ : ١٠٢ .

(٤) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك البزيدي : كان أديباً عالماً عارفاً بال نحو واللغة ، أخذ عن الفراء وغيره ، قال ثعلب : ما رأيت في أصحاب الفراء أعلم منه ، توفي سنة ٢٠٢ هـ . وفيات الأعيان ٦ : ١٨٢ .

(٥) ص : ٣٧١ - ١٥ / ٣٧١ - ﴿هِيَ مُوْلَاكُم﴾ هي أولى بكم.

(٦) هو عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعى ، سراج الدين ، من اكبر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال ، له نحو من ثلاثة مصنفات . توفي بالقاهرة سنة ٨٠٤ هـ . الأعلام ٥ : ٥٧ .

(٧) ص : ٤٤٩ - ١٦ / ﴿النَّارُ هِيَ مُوْلَاكُم﴾ أي أولى بكم.

(٨) هو إساعيل بن حماد الجوهرى : إمام اللغة ، مصنف (الصحاح) وأحد من يضرب به المثل في اللغة وفي الخطأ ، وقيل هو أول من حاول الطيران ، فصنع جناحين من خشب وربطهما بحبيل ، وصعد سطح داره ، ونادى في الناس : لقد صنعت مالم أسبق إليه وسأطير الساعة ، فازدحمر أهل نيسابور ينظرون إليه ، فنأطى الجناحين ونهض بها ، فخانه اختراعه ، فسقط قبلاً في سنة ٣٩٣ هـ ..

الاعلام ١ : ٣١٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ : ٨٠ .

(٩) الصحاح : مادة (ول) ٦ : ٢٥٢٩ .

ووافقه ابن منظور في لسان العرب : مادة (ولي) ١٥ : ٤١٠ .

وغيرهم أيضاً، بل لم يُرَوْ عن أحد من أئمة النحو خلاف في ذلك!

٢ - ومن أئمة التفسير:

الطبرى ، والبغوى ، والنسفى ، وأبو حيّان الأندلسى ، والبيضاوى ،
والمهaimi^(١) ، وأبو السعود ، والطالبى^(٢) .

والشوكاني ، أيضاً وقال : والمولى في الأصل: من يتولى مصالح الإنسان ،
ثم استعمل فيما يلزمه^(٣) .

والرازى أيضاً ، وقال : المولى بمعنى الرئيس أليق^(٤) .

٣ - ومن غيرهم:

البخارى^(٥) ، والفقىه المالكى على بن محمد بن الصباغ ، وقال :

قال العلماء : لفظة (المولى) مستعملة بإزاء معانٍ كثيرة متعددة ، وقد ورد
القرآن الكريم بها :

فتارةً يكون بمعنى : أولى . قال الله تعالى في حق المنافقين ﴿مَأْوَا كُمُّ
النَّارِ هِيَ مَوْلَأُكُم﴾ معناه : أولى بكم^(٦) .

ومنهم سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ هـ^(٧) .

(١) هو علي بن أحد بن إبراهيم المهايمى (٨٣٥) هـ صاحب التفسير المسماى (تبصير الرحمن وتيسير
الننان) .

(٢) ذكر ذلك كل فى تفسيره - عند الآية ١٥ ، من سورة الحديد .

(٣) في تفسيره (فتح القدير) ٥ : ١٧١ - سورة الحديد : ١٥ .

(٤) تفسير الرازى ٢٣ : ١٥ - عند قوله تعالى : ﴿لِبَسْ الْمَوْلَى وَلِبَسِ الْعَشِير﴾ في سورة الحج : ١٣ .

(٥) في صحيحه - كتاب التفسير (سورة الحديد) - ٦ : ٢٥٩ .

(٦) في كتابه : الفصول المهمة : ٤٣ .

(٧) تذكرة الخواص : ٣٢ .

ومنهم من استشهد لقوله ببيت لبيد المتقدّم ، أو بقول الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان :

فَأَصْبَحَتْ مَوْلَاهَا مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ

وأحرى قريش أن تهاب وتحمدا

أي أولى الناس بها.

وقول الكلمة:

وَنَعْمَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بَعْدَ وَلَيْهِ

وَمُنْتَجِعٌ التَّقْوَىٰ وَنَعِمَ الْمُؤْدِبُ

٤ - وفي الحديث النبوي الشريف ما هو أظہر من ذلك كله :

فقد جاء عنه صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « ما من مؤمن إلا وأنا أولي به في الدنيا والآخرة ، اقرأوا إن شئتم : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فَإِنَّمَا مات وترك مالاً فليرثه عصبه من كانوا ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتنا فأنا مولاه »^(١).

وفي حديث آخر عنه صلّى الله عليه وآله وسلّمَ أَنَّه قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ ، فَإِنْ كُمْ تَرَكْ دِينَّا ، أَوْ ضَيَاعًاً فَأَنَا مُولَاهٌ »^(٢) .

^٧ (١) صحيح البخاري - الاستفراض - ٣ : ٢٣٨ / ١٥ و - التفسير - ٦ : ٢١٠ / ٢٧٥، فتح الباري ١٢:

(٢) صحيح مسلم - كتاب الفرائض - ٣ : ١٥ / ١٢٣٨ ، سنن الدارمي - البيوع - ٢٦٣ ، كنز العمال . ٣٠٤١٣ / ١٢ : ١١

وفي حديث ثالث : قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أَيّا امرأة نُكَحْتُ بغير إذن مَوْلَاهَا فنَكَاحُهَا باطل ، فنَكَاحُهَا باطل ، فنَكَاحُهَا باطل ، فإنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيٌّ مِنْ لَا وَلِيٌّ لَهُ » ^(١).

قال في لسان العرب : بغير إذن مَوْلَاهَا - وفي رواية ولِيَهَا - أي متولي أمرها ^(٢). وفي كلّ ما تقدّم من أمثلة جاء (المولى) بمعنى : الأولى بالأمر ، والأولى بالتصريح ، بلا خلاف . فهل غَاب ذلك كله عن شيخنا المفسّر ، أم تغافل عنه لأمر يبتغيه ؟

ولقد كان أقلّ ما ينبغي عليه ملاحظته ما أثبته الرازي في تفسيره، إذ قال: قال الكلبي ^(٣) : « هِيَ مَوْلَأُكُمْ » يعني أولى بكم ، وهو قول : الزجاج ، والفراء ، وأبي عبيدة ^(٤) . فذكر الرازي أربعة لم يذكر منهم شيخنا سوى أبي عبيدة ، فهل يمكننا أن نقول هنا أيضاً إنّه لم يطلع على تفسير الرازي ؟ !

- قال : والثاني : أنا لو سلّمنا بأنّ المولى بمعنى الأولى ، لا يلزم أن يكون صلته بالتصريح ، بل يحتمل أن يكون المراد : أولى بالمحبّة ، وأولى بالتعظيم ، ونحو ذلك .

على أنّ لنا قرينتين على أنّ المراد من الولاية من لفظ (المولى) أو (الأولى) المحبّة :

(١) مستند أحمد ٦ : ٤٧ ، سنن أبي داود ٢ : ٢٢٩ / ٢٠٨٣ ، سنن الترمذى - النكاح - ٣ : ٤٠٧ / ١١٠٢ .
سنن الدارمى ٢ : ١٣٧ .

(٢) لسان العرب (ولی) ١٥ : ٤٠٧ .

(٣) هو محمد بن السائب الكلبي ، أبو النضر : نسّابة ، راوية ، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب ، قال السائى : حدّث عنه ثقافت من الناس ورضوه في التفسير ، توفي بالكوفة (١٤٦ هـ) .. الأعلام ٦ : ١٣٣ .

(٤) تفسير الرازي ٢٩ : ٢٢٧ .

إحداهما : ما رويَناه عن محمد بن إسحاق في شكوى الذين كانوا مع الأمير كرم الله وجهه في اليمن ، كبريدة المسلمي ، وخالف بن الوليد ، وغيرهما ، ولم يمنع صلى الله عليه والله وسلم الشاكين بخصوصهم ، مبالغة في طلب موالاته ، وتلطّفاً في الدعوة إليها ، كما هو الغالب في شأنه صلى الله عليه والله وسلم في مثل ذلك .

وللتلطف المذكور افتتح الخطبة بقوله : « ألمست أولى بالمؤمنين من أنفسهم » .

وثانيهما : قوله صلى الله عليه والله وسلم على ما في بعض الروايات : « اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » .

فإنه لو كان المراد من المولى المتصرف في الأمور ، أو الأولى بالتصرف ، لقال صلى الله عليه والله وسلم : اللهم وال من كان في تصرفه ، وعاد من لم يكن كذلك ، فحيث ذكر النبي المحبة والعداوة فقد نبه على أن المراد إيجاب محبته كرم الله وجهه ، والتحذير من عداوته وبغضه ، لا التصرف وعدمه .

ولو كان المراد الخلافة لصرح صلى الله عليه وسلم بها ، ويدل على ذلك ما رواه أبو نعيم عن الحسن الثاني بن الحسن السبط (رض) أنهم سأله عن هذا الخبر : هل هو نص على خلافة الأمير كرم الله وجهه ؟

فقال : لو كان النبي صلى الله عليه والله وسلم أراد خلافته ، لقال : أيها الناس ، هذاولي أمرني ، والقائم عليكم بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا .

قال : وأيضاً ربما يُستدل على أن المراد بالولاية المحبة ، بأنه لم يقع التقيد بلفظ (بعدي) والظاهر حينئذ اجتئاع الولaitين في زمان واحد ، ولا يتصور الاجتئاع على تقدير أن يكون المراد أولوية التصرف ، بخلاف ما إذا كان المراد المحبة .

وقال : ونقسّك [آخرون] في إثبات أن المراد بالمولى الأولى بالصرف ،

باللفظ الواقع في صدر الخبر ، على إحدى الروايات ، وهي قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أَسْتَ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ » ونحن نقول : المراد من هذا أيضاً الأولى بالمحبة ، يعني : أَسْتَ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ بِالمحبة ؟ بل قد يقال : الأولى هنا مشتقّ من الولاية بمعنى المحبة ، والمعنى : أَسْتَ أَحَبَّ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ؟ ليحصل تلاؤم أجزاء الكلام ، ويحسن الانتظام، ويكون حاصل المعنى هكذا :

يا معاشر المؤمنين ، إنكم تحبوني أكثر من أنفسكم ، فمن يحبّني يحبّ علياً ، اللهم أحبّ من أحبّه ، وعاد من عاده . انتهى .

- ومع يقيننا بأنّ كلّ ذي حصافة ونظر قد شخصت بعينيه مواضع الضعف والاضطراب في هذا الكلام ، سنورد في الجواب عليه ما يلي :

١ - إن التكليف والإعفاء الظاهرين في الفقرة الأخيرة يكفيانا عناء التفصيل في الرد على إشكالاته حول كلمة (ولي) بأكثر مما قدمناه ، فهو - كما لا يخفى ظاهر في إرادته قلب المعنى ، فتراه يشتقّ « الأولى » من « مولى » ويقول : بهذا يحصل تلاؤم أجزاء الكلام ، ويحسن الانتظام !

فهو عندما أراد أن يصوغ المعنى بما يطابق مذهبه اشتقّ « الأولى » من « مولى » على عكس ترتيبهما في النصّ ، ولكنه لم يفكّر في اشتلاق « مولى » من « أولى » لاستقيمه المعنى كما أراده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ! حيث قدم في النصّ الشريف كلمة « أولى » ثم عطف بكلمة « مولى » ليتضح أنّ المراد هو أن تكون الأولى دليلاً على الثانية ، وأن تُشتق الثانية من الأولى وتأتي على ما يوافقها من معنى ، وعندها فقط يستقيم المعنى وينتظم الكلام ، وينسجم مع القرائن العديدة التي تقدم ذكرها ، ومع المعنى الظاهر الذي يتبادر إلى الأذهان لكلّ من يقرأ هذا النصّ الشريف ويعلم أنه من كلام سيد الفصحاء الذي يحبّ أمته أبداً الوقوع في المتشابه من الكلام - وخصوصاً

في أمر حساس وخطير كهذا - فينتخب أقرب الألفاظ إلى المعنى الذي يريده وفهمه العرب .

ومع هذا فقد زاده ظهوراً هنا عندما صدره بقوله : « ألسْتُ أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ » .

٢ - قول الشيخ : على ما في بعض الروايات أنّه صلّى الله عليه وآله وسلم قال : « اللهمّ والِّيْ مَنْ وَالَّهُ وَعَادَ مَنْ عَادَهُ » فلو كان المراد أولوية التصرف والخلافة لقال . . .

فقد اعتمد إذن فيما ذهب إليه على تلك الفقرة الموجودة في بعض الروايات على حد تعبيره ، وكما صرّح الذهبي بقوله : أمّا صدر الحديث فمتواتر أتيقّن أنّ رسول الله قد قاله ، وأمّا « اللهمّ والِّيْ مَنْ وَالَّهُ وَعَادَهُ . . . » فزيادة قوية للإسناد .

فكيف بالروايات الأخرى التي لم تتضمن هذه الزيادة ، فهل سيوافق الشيخ الآلوسي على دلالتها على الأولوية في التصرف والخلافة ؟

٣ - ويمكن أن يقال إنّ هذه الزيادة لا تستلزم أن تكون قرينة على ما ذكر هو ، لأن الحبّ والبغض هما أساسان للإطاعة والعصيان ، فمن أطاعه فقد أحبّه ، ولا يعصيه إلّا من أبغضه ، فيكون دعاؤه صلّى الله عليه وآله وسلم بتأييد الله تعالى لمن امتلك مقدمة الطاعة وأسسها ، وبالعداء لمن جمع في صدره أساس العداء ، وهو البغض .

وفي هذا من البلاغة ما لا يخفى على الآلوسي الأديب !

٤ - ولعلّ من أعجب ما في كلامه تلك العبارة التي انتخبها - بعد الجهد - لتكون بدليلاً عن هذا النصّ النبوّي المحكم الشريف ، فقال : فيكون حاصل المعنى : يا معاشر المؤمنين ، إنّكم تحبّوني أكثر من أنفسكم ، فمن يُحِبِّنِي يَحْبِبُ عَلَيَا . . . !

فهل يوافقه أحد على أنّ ولاية النبيّ على المسلمين هي محبتهم له ،
وحسب ؟ !

وهل يستدعي هذا المعنى الذي توصل إليه الشيخ كلّ هذا من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، فيوقف مائة ألف مسلم ، بعد ما تحملوه من مشاقّ الحجّ وعناء الطريق ، يوقفهم في صحراء الجزيرة ، وقت الظهيرة ، فيأمر بردّ المتقدّم ، وانتظار المتأخر ، كلّ ذلك لأجل أن يقول لهم : إنكم تحبّونني ، ومن يحبّني يحبّ عليّاً ؟ !

أو ليقول - كما في تأويل آخر - : من كنت نصيره فعلّي نصيره ؟ !
اللهم إلّا أن يكون كما وصفه الشيخ الألوسي : مبالغة كما هو شأنه صلّى الله عليه وآله وسلم !

أمّا نحن فنقول : حاش له صلّى الله عليه وآله وسلم أن يكون شأنه المبالغة ، ليوقع الأمة في هذا الاختلاط والاضطراب ، وإنّما كان حكيمًا في قوله هذا كما هو شأنه صلّى الله عليه وآله وسلم في سائر أقواله وأفعاله .

فعندما يكون البلاغ لأمر عظيم ، فليس هناك وقت ، ولا مكان أنساب من هذا الذي انتخبه ليجمع فيه أكبر عدد من المسلمين ، وعند مفترق طرقهم ، ولحظة داعتهم الأخير له صلّى الله عليه وآله وسلم فيبدأ بقوله : « إنّما أنا بشر يُوشك أن أدعى فأجيب » .

ثم يختتم بقوله : « هل بلّغت ، اللهم أشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب » .
فكيف لا نعجب لمن يذهب إلى ذلك التأويل !

٥ - ويوم قام الإمام عليّ عليه السلام في مسجده بالكوفة مناشداً أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : من سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بغير خمّ يقول : « مَنْ كنْتُ مولاه فعليّ مولاه » إلّا قام فشهد ، ولا يقوم إلّا من رأه بعينه ، وسمعه بأذنه ، فهل أراد بذلك أن يشهدوا له بأنّ

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَحْبِبُهُ ؟

فهذا أمر هو من أوضح الواضحات ، ولم يجحده حتى أشدّهم عداءً لعليّ
عليه السلام وهم يرثون السيف بوجهه ! ولن يستمالقونه في إيضاح الواضحات
من شأن العقلاء ، فكيف يمكن أن تتصورها من أعظم الناس عقلاً وحكمةً :

رسول الله ، وعليّ ابن أبي طالب عليهما الصلاة والسلام ؟ !

٦ - وأعجب من ذلك البديل الآخر الذي انتخبه ، فقال : لو كان المراد
الأولى بالتصريح ، لقال : اللهم والِّيَّ مَنْ كَانَ فِي تَصْرِفِهِ ، وَعَادَ مَنْ لَمْ يَكُنْ
كَذَلِكَ !

وهل يطمئن شيخنا نفسه هذا الكلام ؟

وهل ينسجم هذا مع بيان العرب ، فضلاً عن فصاحة النبي الأكرم صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؟

ومثله ، ذكره الرواية المنسوبة إلى الحسن المشتني ، حيث اشترط أن يقول
النبي : هو ولِيَّكم بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا .

فهل كان النبي يلقن جهالاً ، لا يفهمون العربية !

فمن ناحية : أنَّ المعنى ظاهر لا يستدعي هذا التكلف .

ومن ناحية أخرى : أنَّ معنى الطاعة داخل في الولاية ، فلا معنى للولاية
من غير طاعة .

ومن ناحية ثالثة : أنَّ مثل هذه الرواية الواحدة ، المرسلة ، المُبَهَّمة ،
المجهولة ، لو كانت في فضائل أهل البيت عليهم السلام لضرب بها وببراتها
الأرض ، ألا تراه كيف يتعامل مع نص ثبت تواتره في حقهم ؟ ولكنها لما كانت
بخلاف ذلك احتاج إليها ، وهذا دليل على أنه لم يجد ما يشفع به قوله سواها ! وهو
كافٍ في رد حججته .

ومن ناحية رابعة : بفرض أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد قال : هو

وليكم بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فهل سيسمعون ويطieten ؟
فمن قال : لا ، لاحتمال تأويل آخر ، فهذا ليس لنا معه كلام ، حتى
يجدد إيمانه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وأماماً من قال نعم ، فنقول له : إنما أعلم إذن أنه قالها مرّةً بعد مرّةً .
فقد مرّ عليك في قصص الشكوى كلّها قوله صلى الله عليه وآله وسلم :
« إنّ عليّاً مني وأنا منه ، وهو ولی كلّ مؤمن بعدي » .
وقوله : « فإنه مني وأنا منه ، وهووليكم بعدي » .

وقد صحّ الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعليّ عليه
السلام : « أنت ولی كلّ مؤمن بعدي ومؤمنة » وفي رواية « أنت ولیي في كلّ
مؤمن بعدي » ^(١) .

وأماماً الطاعة ، فقد ثبت عن أبي ذر رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم قال : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد
عصى الله ، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني ، ومن عصى عليّاً فقد عصاني » ^(٢) .
وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيه أيضاً : « إنّ هذا أخي ، ووصيّي ،
وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا » ^(٣) .

٧ - وأماماً قوله بأنّ هذه الخطبة إنما جاءت ردّاً على الشكوى التي تقدم بها
بعض الأصحاب ، فهو :

(١) مسند أحمد ١ : ٣٣١ ، المستدرك ٣ : ١٣٤ ، الاستيعاب ٣ : ٢٨ ، الإصابة ٤ : ٢٧٠ ، الحصائر
للسنائي : ٩ ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ١ : ٢٠٥ / ٢٥٠ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٥١ .

(٢) المستدرك ٣ : ١٢١ و ١٢٨ وقال مع كل منها : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصححه
الذهبي في التلخيص ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٦٦ / ٧٩٣ - ٧٩٥ ، الرياض النبرة ٣ :
١٢٢ ، ذخائر العقى ٦٥ - ٦٦ ، فرائد السبطين ١ : ١٧٩ / ١٤٢ ، كنز العمال ١١ ح / ٢٢٩٧٣ .

(٣) في حديث الدار ، وقد تقدم مع ذكر أهم مصادره .

أولاً : دعوى تهار أمام الحجج المتقدمة ، وقد تقدم ردّه أيضاً .
 ثانياً : قد أضاف فيه غلطاً عجياً ، بقوله : ولم يمنع صلى الله عليه وآله وسلم الشاكين بخصوصهم - أثناء الشكوى - وال الصحيح أنه منعهم بخصوصهم في كل مرّة كما هو ظاهر في نصوصها .

وثالثاً : فإن هذا الاحتجاج هو دليل ساطع على توفر القناعة لديه بأن النص في الغدير يدل دلالة واضحة على ولادة الأمر والتصرف ، لذا فهو يحاول أن يجعله مضافاً إلى سبب واحد ، ليقيّد المعنى به ، ويجعله قرينة لصرف المعنى عن ظاهره ، وهو واضح .

بقي قوله : والظاهر حينئذ اجتماع الولaitين في وقت واحد ، ولا يتصور اجتماع على تقدير أن يكون المراد أولوية التصرف ، بخلاف ما إذا كان المراد المحجة .

وجوابه : أن ولاية علي عليه السلام إنما هي فرع لولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي هي الأصل ، كما في الأصيل والوكيل ، والوالى والنائب عنه ، والمراد أنه الأولى بالإمامية بعده بقرينة الإخبار عن قرب موته صلى الله عليه وآله وسلم .

وكما في النص المتقدّم « أنت ولی كل مؤمن بعدي » و« هو ولیكم بعدي » .

وهناك قول آخر تمسّك به بعضهم ، ونذكره هنا على قناعتنا بكونه (طريقة) أكثر من كونه رأياً وعقيدة .

وخلالصته : إننا لو سلمنا بأن المراد من النص أنه عليه السلام أولى بالإمامية ، فالمراد : المال ، وليس الحال . فكأن المراد أنه أولى بالإمامية حين يوجد عقد البيعة له ، فلا ينافي حينئذ تقديم الأئمة الثلاثة عليه ، وهذا تحفظ كرامة السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين .

وجوابه ، باختصار شديد :

أولاً : ما الفرق إذن بين أن يقول صلى الله عليه وآلـه وسلم : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » أو أن يذكر أي شخص آخر ، عندما يكون المعنى - كما يزعم - أنكم إذا عقدتم له البيعة فهو ولتكم ، وإلا فلا ولية له عليكم ! هراء ، ورب الكعبة .

ثانياً : إن هذا التأويل يأبه النص تماماً ، حيث يقول : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » وعليه فكل من كان داخلاً في ولاية رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم فهو داخل في ولاية علي عليه السلام ، بما فيهم الخلفاء الثلاثة .

ثالثاً : بناءً على تأويلهم هذا فإن كل من مات من الصحابة قبل خلافة علي عليه السلام لم يكن داخلاً في ولاية رسول الله ، بما في ذلك الخلفاء الثلاثة ! وهذا أشد عليهم وأدھى ، ألم ينظروا إلى النص الذي يجتهدون في تأويله ، والذي يقول : من كان رسول الله مولاه فعليّ مولاه ؟

رابعاً : إن القول بولاية علي عليه السلام بعد وفاة النبي مباشرةً ، أمر لا يحتاج إلى كثير إيضاح ، اعتماداً على النص ، وعلى العهد المعلوم لكافة الأنبياء مع أوصيائهم .

خامساً : ثم ماذا أبقو - بهذا التأويل - من الفضائل التي زعموا أن هذه الخطبة إنما جاءت لأجل بيانها ، وحسب ؟

ولا عجب ، عندما يكون الإيمان بأشخاص بأعيانهم أكبر وأعلى من الإيمان بالحق الذي يقره الله ورسوله ! وهذا هو السر وراء كل تلك التأويلات ، ألا تراهم يصرّحون به ، بقولهم : وهذا تحفظ كرامة السلف الصالح ؟

وذهب أنه يمكن موافقتهم على هذا المستوى لحفظه من يمكن حفظه فيه ، فلنأت إذن إلى المعنى الذي انتخبوه ، بقولهم : فالمعنى (من يحبني يحب علياً ، اللهم أحب من أحبه ، وعاد من عاده) فهل ترى أن من حفظوه في الأولى قد

رعا الثانية ، ليتّم حفظه ؟

هل رعوها يوم الجمل ؟

أم يوم صفين ؟

إذا كان هذا المعنى أيضاً لم يُحفظ ، فإلى أين سنذهب بالحديث ؟

وإلى أين سنذهب ب عشرات النصوص الأخرى ؟

ومنها :

هذا النصّ :

الذي يستشهد به ابن حجر^(١) ، فيقول : أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري : أنَّ النبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ »^(٢) عن ولاية عليٍّ بن أبي طالب « ؟

قال : وكأنَّ هذا هو مراد الواحدِي بقوله : روي في قوله تعالى : « وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ » أي عن ولاية عليٍّ وأهل البيت ، لأنَّ الله أمر نبِيَّه أن يُعرفُ الخلقُ أَنَّه لا يسألُهم على تبليغ الرسالة أَجراً إِلَّا المودة في القربي .

والمعنى : أَنَّهُمْ يُسَأَّلُونَ هَلْ وَالوَهْمُ حَقُّ الْمَوَالَةِ كَمَا أَوْصَاهُمُ النبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، أَمْ أَخْنَاعُوهَا وَأَهْمَلُوهَا ، فَتَكُونُ عَلَيْهِمُ الْمَطَالِبُ وَالتَّبَعَةُ^(٣) ؟

(١) في الصواعق باب ١١ فصل ١ : ١٤٩ - الآية الرابعة - .

(٢) الصافات : ٢٤ .

(٣) رواه عن الواحدِي غير ابن حجر :

٢ - الجوبني ، المتوفى ٧٣٠ هـ في فرائد السمعتين ١ : ٧٩ / ٤٧ .

٣ - أبو بكر الحضرمي ٩٢٢ هـ في رشفة الصادي : ٢٤ .

ورواه آخرون بالواسطة ، تركت ذكرهم لعدم ثورتي على المصادر التي اعتمدوها ، والتي نقلت عن الواحدِي مباشرة ، لأنَّي قد أخذت على نفسي الاَّ اعتمد التقليل بالواسطة ما تيسر لي ذلك .

تنبيه : إنَّ الذين نقلوا عن الواحدِي لم يذكروا من أي كتاب نقلوا ، والذي يتوفَّر بين أيدينا من

كتبه كتابه المشهور : أسباب النزول ، والذي أثار استغرابي أن سورة الصافات - التي منها الآية موضوع البحث - قد اختفت كلها من هذا الكتاب في جمع طبعاته !

بقي أن يكونوا قد نقلوا عن أحد كتبه الأخرى ، ولقد ذكر أصحاب الترجم三 ثلاثة كتب في التفسير للواحدى هي : البسيط ، والبسيط ، والوجيز .

وذكر أن (الوجيز) قد طبع بمصر سنة ١٣٠٥ بهامش (التفسير المير لمعالم التنزيل) المسمى . مراح لبيد بكشف معنى قرآن مجید . تأليف الشيخ محمد نوري الجادى . انظر : سير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٣٩ ، ١٦٠ / ٢٤٥ ، كشف الظنون ١ ، ٧٦ ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين : المجلد الاول : ٦٩٣ ، معجم المؤلفين ٧ : ٢٦ .

نعود الآن لذكر مصادر أخرى للحديث : فقد رواه بهذا النص - عن طرق أخرى - أيضاً :

٤ - الحاكم في شواهد التنزيل ٢ : ١٠٦ - ٧٨٥ - ٧٩٠ عن أبي سعيد الخدري ، وابن عباس .

٥ - الخوارزمي في المناقب : ١٩٥ عن أبي إسحاق .

٦ - الحافظ الكنجي في كفاية الطالب : ٢٤٧ .

٧ - النور المشتعل المقopies من كتاب (ما نزل من القرآن في علي عليه السلام) للحافظ أبي نعيم الأصبهاني : ١٩٦ / ٥٣ .

٨ - البري في تفسيره : ٣١٢ / ٦٠ .

٩ - تذكرة الحواص : ١٧ .

١٠ - ينابيع المودة ١ : ٢٣٨ ، ٢٥٧ ، ٢٩٥ .

١١ - الآلوسي في روح المعانى ، عند تفسيره الآية ، إلا أنه قال : روى الإمامية... وذكر الحديث ، ثم عاد فأقره ، وأما نسبة إلى الإمامية ودهم فهو كما ترى ! فالمصادر العشرة التي تقدم ذكرها عليه ليس فيها واحد من مصادر الإمامية !!

أما رواية الديلمي ، التي افتح بها ابن حجر الكلام ، فقال : أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري... فقد أخرجها عن الديلمي أيضاً بإسنادها : ابن البطريق (٥٣٣ - ٦٠٠ هـ) في كتابه :

١ - خصائص الوحي المبين : ١٢١ .

٢ - عمدة عيون صالح الأخبار : ٣٠١ .

قال : من كتاب الفردوس - فردوس الأخبار - لابن شير ويه الديلمي ، في الجزء الثاني ، من قافية (الواو) .

ولكن من يدرى كم يد - أمينة - مرّت على (الفردوس) فأثبتت منه ما تشاء ، وحسب !

ويؤيد النص المتقدم ، النص الآخر الذي أخرجه ابن حجر^(١) ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم : « استوصوا بأهل بيتي خيراً ، فإني أخصمكم عنهم غداً ، ومن أكن خصمه أخصمه ، ومن أخصمه دخل النار ». ومثله ما تقدم في حديث الثقلين : « وإني سائلكم غداً عن الثقلين » .

وهذا النص :

في قوله صلى الله عليه وآلـه وسلم : « ياعليّ ، أنت تبین لامتي ما اختلفوا فيه بعدي »^(٢) .

وهذا النص :

عن عمّار بن ياسر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم : « أوصي من آمن بي وصدقني بولالية عليّ بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد تولاّني ، ومن أحبه فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد أحبّ الله ، ومن أبغضه فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجلّ »^(٣) .

فهو يفصل هنا بين الولاية والمحبة ، فالولاية شيء ، وب مجرد المحبة شيء آخر .

ألا ترى أنه صلى الله عليه وآلـه وسلم قدم الولاية ، فأمر بها ، ثم عقب

(١) في الصواعق المحرقة : باب ١١ فصل ١ : ١٥٠ ، وأخرجه المحب الطبراني في الذخائر : ١٨ .

(٢) المستدرك ٣ : ١٢٢ وقال : صحيح على شرط الشيفين ولم يخرجاه ، حلية الأولياء ١ : ٦٤ ، ترجمة الإمام عليّ من تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٨٦ - ١٠١٤ - ١٠١٨ ، المناقب للخوارزمي : ٢٣٦ ، كنز العمال ١١ / ٣٢٩٨٣ .

(٣) الترجمة من تاريخ ابن عساكر ٢ / ٥٩٧ و ٥٩٨ بهذا النص ، ونصوص أخرى بين صفحة ٩١ - ٩٧ منه ، مجمع الزوائد ٩ : ١٠٩ ، المناقب لابن المغازلي : ٢٢٠ ، فرائد السبطين ١ : ٣٩١ / ٢٢٩ ، كنز العمال ١١ / ٣٢٩٥٣ ، والمنتخب من كنز العمال بهامش مستند أحمد ٥ : ٣٢ .

بذكر الحبّ، وأمر به؟

وهو كافٍ في الرد على أصحاب تلك الشبهة - الذين فسروا المولى بالحبيب - غير أنّا لم نذكره هناك لثلاً يتوهّم أحد أنّه هو دليلنا الوحيد في الرد عليهم ، فاثرنا الرد من بطون حججه ، ومن نصّ الغدير أيضاً ، ثم أتينا بهذا الحديث الصحيح هنا كالشاهد على ما نقول .

وهذا النصّ :

قال صلّى الله عليه وآلـه وسلـم : « من أحبّ أن يحيا حيـاً ، ويـمـوت مـمـاتـيـاـً ، ويسـكـن جـتـة عـدـنـ غـرسـها رـبـيـ فـلـيـتـوـلـ عـلـيـ بنـ أـبـي طـالـبـ ، فإـنـه لـنـ يـخـرـجـكـمـ منـ هـدـىـ ، وـلـنـ يـدـخـلـكـمـ فـي ضـلـالـةـ »^(١) .

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٢٨ وقال : هذا حديث صحيح الاستناد ولم يخرجه ، لسان الميزان ٢ : ٣٤ ، بجمع الزوائد ٩ : ١٠٨ ، ترجمة الامام من تاريخ ابن عساكر ٢ : ٩٨ / ٦٠٣ - ٦٠٥ ، المناقب للخوارزمي : ٣٤ ، كنز العمال ١١ : ٦١١ / ٣٢٩٦٠ ، ومنتخب الكنز بهامش مسنـد أـحـد ٥ : ٣٢ . وأخرجه العسقلاني في الإصابة عند ترجمة زياد بن مطرف ، وقال : في إسناده يحيى بن يعلى المحاري وهو واء . انتهى .

وهذا خطأ ولعله من خطأ النساخ ، إذ إن يحيى بن يعلى المحاري هو من رجال الصاحب إلـا الترمذـيـ وأما المعنى هنا فهو يحيى بن يعلى الأسلمي الذي ورد في أحد طرق الحديث ، وقد أثـمـ بالتشـيـعـ ، فـضـعـفـ لـذـلـكـ . والغـرـيـبـ أـنـ الـذـيـ طـعـنـهـ قـالـواـ: ضـعـفـهـ الـبـخـارـيـ ، وـالـصـحـيـحـ أـنـ الـبـخـارـيـ لـمـ يـذـكـرـهـ فـيـ كـتـابـ الـضـعـفـ فـيـمـ ذـكـرـ ، وـعـنـدـمـاـ تـرـجـمـ لـهـ فـيـ التـارـيـخـ الـكـبـيرـ لـمـ يـشـرـ مـنـ قـرـيبـ أـوـ بـعـيدـ إـلـيـ مـاـ يـفـيـدـ ذـلـكـ ، بلـ اـكـتـفـ بـقـوـلـهـ يـحـيـىـ بـنـ يـعـلـىـ الـأـسـلـمـيـ الـقـطـوـانـيـ كـوـفـيـ ، سـمـعـ حـيـوـةـ (بـنـ شـرـيـحـ) وـقطـوانـ مـوـضـعـ . اـنـتـهـىـ رـالتـارـيـخـ الـكـبـيرـ ٨ : ٣١١ تـرـجـمـةـ ٣١٣٨) . وأـمـاـ الـحاـكـمـ فـقـدـ وـثـقـهـ .

ثـمـ إـنـ الـحـدـيـثـ قـدـ وـرـدـ مـنـ عـدـهـ طـرـقـ أـخـرـيـ لـيـسـ فـيـهـ يـحـيـىـ بـنـ يـعـلـىـ الـأـسـلـمـيـ ، وـمـنـهـ:

١ - في تاريخ دمشق - ترجمة الإمام علي - ح / ٦٠٤ .

٢ - في مناقب الخوارزمي - من طريق ثالث - ص : ٣٤ .

٣ - في تاريخ دمشق أيضاً - ح / ٦٠٣ وفي أوله : « من سـرـهـ أـنـ يـحـيـاـ حـيـاـيـيـ » .

٤ - في لسان الميزان - من طريق خامس - ٢ : ٣٤ وأـوـلـهـ : « من سـرـهـ » الـحـدـيـثـ .

وفي رواية أخرى : « من سرّه أن يحيا حيّاتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدنٍ غرسها ربّي فليوال عليه من بعدي ، ولليوال ولّيه ، وليقندي بأهل بيتي من بعدي ، فإنّهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي . فويلٌ للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي ، القاطعين بهم صلتي ، لا أنا لهم الله شفاعتي »^(١) .

ومن هذه النصوص الشريفة ونظائرها نفهم بوضوح قول حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو على فراش الموت ، يودع الدنيا ، ويستقبل الآخرة ، إذ قال :

(اللهم ، إني أتقرّب إليك بولايتك على بن أبي طالب)^(٢) .

٨ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوْنَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(٣) .

وإجماع المفسرين وأهل الحديث ، على أنها نزلت في عليّ بن أبي طالب ، حين تصدق بخاتمه وهو راكع .

قال الآلوسي^(٤) : وغالب الأخبارين على أنها نزلت في عليّ كرم الله وجهه .

ثم ذكر فيها عدة روايات ، إلى أن قال ، فيها رواه عن ابن عباس : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - للسائل - : « فهل أعطاك أحد شيئاً ؟

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٩ : ١٧٠ - الحبر الثاني عشر ، حلية الأولياء ١ : ٨٦ ، كنز العمال ١٢ : ٢٤١٩٨ / ١٠٣ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ٢ : ٦٦٢ / ١١٣٩ ، والمحبّ الطبرى في الرياض النضرة ٣ : ١٣٠ .

(٣) المائدة : ٥٥ .

(٤) في روح المعاني عند هذه الآية .

قال نعم ، وأشار إلى عليّ بن أبي طالب.

فقال له : « على أي حال أعطاك ؟ ».

قال : وهو راكع.

فكبّر النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـم ، ثم تلا هذه الآية ، فأنشأ حسان

(رض) يقول :

أبا حسـنِ تَفْدِيـكَ نـفـسي وـمـهـجـتي
وـكـلـ بـطـيءـ في الـهـدـى وـمـسـارـعـ
أـيـذـهـبـ مـدـحـيـكـ الـحـبـرـ ضـائـعـاـ
وـمـاـ الـدـحـ في جـنـبـ إـلـهـ بـضـائـعـ
فـأـنـتـ الـذـي أـعـطـيـتـ إـذـ كـنـتـ رـاكـعـاـ
زـكـاـةـ ، فـدـتـكـ النـفـسـ يـاـ خـيـرـ رـاكـعـ
فـأـنـزـلـ فـيـكـ اللـهـ خـيـرـ وـلـاـيـةـ
وـأـثـبـتـهـاـ أـثـنـاـ كـتـابـ الشـرـايـعـ^(١)

ثم روى لابن الجوزي ، وقد سأله : كيف تصدق عليّ بالخاتم ، والظن
فيه أنّ له شغلاً شاغلاً فيها - أي الصلاة - ؟

(١) هكذا وردت الآيات في هذا المصدر ، وهناك اختلافات يسيرة في مصادر أخرى ، انظر : فرائد السقطين ١ : ١٨٩ - ١٩٠ / ١٥٠ ، المناقب للخوارزمي ١٨٦ ، تذكرة المخواص : ١٥ - ١٦ ، كفاية الطالب ٢٢٨ - ٢٢٩ .

فقال :

يَسْقِي وَيَشْرُبُ لَا تُلْهِيهِ سَكْرُتُهُ
عَنِ النَّدِيمِ ، وَلَا يَلْهُو عَنِ النَّاسِ
أَطْاعَهُ سُكْرُهُ حَتَّى تَكُنَ مِنْ
فَعَلِ الصَّحَّاَةِ ، فَهَذَا وَاحِدُ النَّاسِ

وَأَمَّا الشَّعْلَبِيُّ فِي رَوْيِي^(١) حَدِيثُ أَبِي ذِرَّ الغَفَارِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِهَاتِينِ وَإِلَّا صُمِّتَاهُ ، وَرَأَيْتُهُ بِهَاتِينِ وَإِلَّا
عَمِيَّتَا ، يَقُولُ : « عَلَيْيَ قَائِدُ الْبَرَّةِ ، وَقَاتِلُ الْكُفَّارِ ، مُنْصُورٌ مِنْ نَصْرِهِ ، مُخْذُولٌ
مِنْ خَذْلِهِ » أَمَّا إِنِّي صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ ،
فَسَأَلَ سَائِلٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ شَيْئًا ، وَكَانَ عَلَيْهِ رَاكِعًا ، فَأَوْمَأَ بِخَنْصُرِهِ
إِلَيْهِ - وَكَانَ يَتَخَمِّ بِهَا - فَأَقْبَلَ السَّائِلُ حَتَّى أَخْذَ الْخَاتِمَ مِنْ خَنْصُرِهِ .
فَتَضَرَّعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَدْعُوهُ ، فَقَالَ :
« اللَّهُمَّ إِنَّ أَخِي مُوسَى سَأَلَكَ ، قَالَ : ﴿رَبَّ أَشْرَحَ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي
أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لَسَانِي * يَفْهَمُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي *
هُرُونَ أَخِي * أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرُكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا *
وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾^(٢) .
فَأَوْحَيَتِ إِلَيْهِ : ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾^(٣) .

(١) فِي تَفْسِيرِهِ الْكَبِيرِ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ .

(٢) طَهُ : ٢٥ - ٣٥ .

(٣) طَهُ : ٣٦ .

اللهم ، وإني عبدك ، ونبيك ، فاشرح لي صدري ، ويسّر أمري ، واجعل
لي وزيراً من أهلي ، عليّاً أخي ، اشدد به ظهري » .
قال أبو ذر فوالله ما استتم رسول الله صلى الله عليه وآلـه الكلمة ، حتى
هبط عليه الأمين جبريل بهذه الآية : ﴿ إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا ﴾^(١) .

ومن روى نزولها في علي عليه السلام أيضاً الشوكاني عن عدّة مصادر^(٢) ،
وأبي السعود^(٣) ، والواحدي^(٤) ، والسيوطى^(٥) ، والزنخشري^(٦) ، والبغوى^(٧) ،
والجزري^(٨) ، وسائر أصحاب المناقب والتفسير .

وخلاصة القول هنا :

- ١ - أن سائر المسلمين يتّفّقون على نزولها في علي بن أبي طالب خاصة^(٩) .
- ٢ - أنها تصرّح بصريح العبارة على ولاية الأمر ، التي هي الإمامة .

(١) ومن أخرج مثل هذا النص أيضاً : الرازي في تفسيره ١٢ : ٢٦ ، أحمد في الفضائل ٢ : ٦٧٨ / ١١٥٨
والحاكم في شواهد التنزيل ٤ / ٢٢٥ ، والمتقي في كنز العمال ١١ / ٣٢٩٠٩ ، وابن الجوزي في
تذكرة المخواص : ١٥ .

(٢) فقد قال في تفسيره (فتح الباري) : أخرج الخطيب في المتفق والمفترق عن ابن عباس - نزولها في
علي - ، وأخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابو الشيخ ، وابن مردوه عن ابن عباس ،
قال : نزلت في علي بن ابي طالب ، وأخرج ابو الشيخ ، وابن مردوه ، وابن عساكر عن علي بن ابي
طالب نحوه .

(٣) في تفسيره ٢ : ٥٢ .

(٤) في أسباب النزول : ١١٤ .

(٥) لباب النقول في أسباب النزول: ٩٣ .

(٦) في تفسيره الكشاف ١ : ٦٤٩ .

(٧) في تفسيره (معالم التنزيل) ٢ : ٢٧٢ .

(٨) في جامع الاصول ٩ : ٤٧٨ / ٦٥٠٣ .

(٩) وهذا ظاهر من ملاحظة المصادر التي ذكرناها .

٣ - أنَّ الذين حاولوا تأویل هذا المعنى - رغبةً منهم في دفع الشبهة عن خلافة الخلفاء الثلاثة كما صرَّحوا - قد سلکوا نفس مسالكهم التي اعتمدوها في تأویل حديث الغدیر ، حتَّى انتهوا إلى قوله : إنَّ الولاية العامة كانت له وقت كونه إماماً ، لا قبله ، وهو زمن الخلفاء الثلاثة !

وإنما استنتجوا هذا من قولهم بعدم جواز تحقق إمامته زمن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّمَ ! وكأنَّهم غفلوا تماماً عن طبيعة العهود التي تكون للأوصياء مع الأنبياء ، أو حتَّى لولي العهد مع الرئيس ، أو الملك في دولته ! وقد تقدَّم الكلام حول هذه النقطة مفصلاً .

٤ - ربما تعلق بعضهم بأنَّ الآية جاءت بصيغة الجمع ، فلا يمكن انطباقها على فرد واحد بعينه .

وهذه شبهة واهية ، إذ لا يخفى على كلِّ من تكلَّم بلغة الضاد أنَّ العرب يخاطبون الفرد بصيغة الجمع تكريماً وتعظيماً ، وهو كثير جداً في لغتنا ، بل كثير أيضاً استعمال المتكلِّم هذه الصيغة في نسبة الفعل إلى نفسه ، وهذا من أشهر المشهورات ، ومع هذا نذكر رداً آخر اختاره الزمخشري في تفسيره ، إذ قال :

فإن قلت : كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه ، واللفظ لفظ جماعة ؟
 قلت : جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليُرغَب
 الناس في مثل فعله^(١) .

والامر بينَ مَنْ كانَ الدِّينَ الْحَقَّ هُمْ وَيُغْيِيهُ ، وَلَا يَعْلَمُ الْبَحْثُ عَنْ أَيِّ تَأْوِيلٍ يُوَافِقُ رَغْبَتِهِ ! وَإِلَّا ، فَقَدْ كَانَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِّنَ النَّصُوصِ الَّتِي عَرَضْنَاهَا حَجَّةٌ

(١) تفسير الزمخشري ١ : ٦٤٩

كافية ، لا يدنو منها شك أو تردد في تعين الأمر على حقيقته ، فكيف وقد عضد بعضها بعضاً وأسنده ؟

ومع هذا نقول : إنها ستنفي الحاجة إلى كلّ ما أطلنا حوله الكلام ، عندما ستوصد كلّ الأبواب أمام التأويل ، وذلك عندما يبدو لنا أنّ نصّ خطبة الغدير - الذي ما زلنا بصاده - قد وقع بين آيتين من آيات القرآن المجيد ..

٩ - آياتان في القرآن :

الأولى :

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يُعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾^(١) .

فقد روى الواهدي من طريق الأعمش ، بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾^(٢) يوم غدير خم ، في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه^(٣) .

وفي الدر المنشور ، وفتح القدير ، كليهما عن ابن مسعود ، قال : كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾^(٤) أَنْ عَلَيَّاً مولى المؤمنين ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَ رِسَالَتَهُ ﴾^(٥) .

وفي فتح القدير^(٤) ، وتفسير المنار^(٥) : أخرج ابن أبي حاتم ، وابن مردويه

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢) أسباب النزول : ١١٥ .

(٣) الدر المنشور ٣ : ١١٧ ، فتح القدير للشوکانی ٢ : ٦٠ .

(٤) للشوکانی ٢ : ٦٠ .

(٥) لمحمد رشید رضا ٦ : ٤٦٣ .

وابن عساكر ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : نزلت هذه الآية **(يا أئمّها الرسول بلغ ...)** يوم غدير خم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه . أما الحاكم الحسکاني ، فقد ذكر لهذا الحديث طرقاً عديدة ، بأسانيد متصلة^(١) ، ثم قال : وطرق هذا الحديث مستقصاة في كتاب (دعاء الهدأة إلى أداء حق المواتاة) من تصنيفي ، في عشرة أجزاء^(٢) .

ومن ذكر ذلك : الألوسي ، إلا أنه - كعادته - نسبه إلى الإمامية وحدهم !
- نعم ، قد ذكروا حكايات أخرى كثيرة في سبب نزول هذه الآية ، لكنها - والحق يقال - حكايات متضاربة ، متباعدة ، بل ومضطربة ، توحى نظرية إليها أنها صُنعت من النص الشريف ، ولم تكن سبباً في نزوله ، إما على عادة بعضهم في ابتكار أسباب لنزول الآيات مما توحى به الآيات نفسها !
وإما عن قصد يُرجى من ورائه تقليل أهمية السبب الصحيح والمباشر لنزولها ! وكلها ليس بعيد ، فانظر فيها قالوا :

قالوا : إنّ أبا طالب كان يرسل مع النبي رجلاً من بنى هاشم يحرسونه ، حتى نزلت هذه الآية : **(والله يَعِصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ)** ، فأخبرهم بذلك ، فتركوا حراسته^(٣) .

وقالوا : عن عائشة أم المؤمنين : أنه كان يُحرس ، وكان معها - أي في بيتها - يسهر حتى يأتي من يحرسه ، فینام حتى تسمع غطيشه ، فلما نزلت الآية أخرج رأسه من الطاقة ، فصرفه^(٤) .

(١) شواهد التنزيل ١ : ١٨٨ - ١٩٣ عن عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وأبي إسحاق الحميدي ، وأبي هريرة ، وأبي جعفر محمد بن علي .

(٢) شواهد التنزيل ١ : ١٩٠ .

(٣) انظر تفسير الطبرى ، وابن كثير ، والألوسى ، والزنخشرى .

(٤) المصادر المتقدمة في هامش (٣) .

ألا ترى - إلى هنا - أن أحد القولين يكذب الآخر ؟ - فعلى القول الأول
أنها نزلت في مكة قبل الهجرة ، في حياة أبي طالب .
وعلى الثاني أنها نزلت بعد الهجرة ، وبعد زواجه صلى الله عليه وآله وسلم
من عائشة !

ثم انظر إلى ما في تفسير المنار^(١) ، إذ يقول : وأما المبادر من الآية ،
فالظاهر أنه الأمر بالتبليغ في أول الإسلام ، ولو لا حتمل أن يكون المراد به
تبليغ أهل الكتاب ما بعد هذه الآية . انتهى .
لاحظ فيه هذه العبارات : (أما المبادر) (فالظاهر) (ولو لا)
(لا حتمل) !

وأغرب من هذا التردد ، ما قطع به المراغي من كون هذه الآية مكية !
إذ قال : وقد وضعت هذه الآية - وهي مكية - في سياق تبليغ أهل الكتاب
- وهو مدني - لتدلل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عرضة لإيذائهم
أيضاً ، وأن الله تعالى عصمه من كيدهم^(٢) .
واقرأ بعده قول التعالبي^(٣) : ولعلمائنا في الآية تأويلات ، أصحها : أن
العصمة عامة في كل مكره ، وأن الآية نزلت بعد أن شُجّ وجهه ، وكسرت
رباعيته صلى الله عليه وآله وسلم .
ومثل هذه تماماً ما قاله الزمخشري^(٤) .
وأما ابن كثير ، فقد ذكر الروايات التي ترجع إلى التبليغ أول الإسلام ،

(١) ٤٦٧ : ٦ .

(٢) تفسير المراغي ٦ : ١٦٠ .

(٣) في تفسيره ١ : ٤٧٦ .

(٤) ١ : ٦٥٩ من تفسيره .

ثم أنكرها بقوله : وهذه الآية مدنية ، والحديث يقتضي كونها مكية .

ثم قال : وال الصحيح أن هذه الآية مدنية ، بل هي من أواخر ما نزل ، والله أعلم .

ثم ذكر قصصاً أخرى - ذكرها غيره أيضاً - فقال : وروي أنه صلى الله عليه وأله وسلم إذا نزل منزلأ ، اختار له أصحابه شجرةً ظليلةً فيقيل تحتها ، فأتاها أعرابيٌّ في بعض تلك المنازل - فاختلط سيفه ، ثم قال : من يمنعك مني ؟ فقال : « الله عزٌ وجلٌ » فرعدت يد الأعرابيٌّ ، وسقط السيف منه ، وضرب برأسه الشجرة ، حتى انتشر دماغه .

وفي رواية أخرى ، أن هذا الأعرابي لما قال له رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم : « الله يمنعني منك » وضع السيف .

قال : وروي أنه صلى الله عليه وأله وسلم في غزوة ذات الرقاع انفرد عن الجيش ، وجلس على رأس بئر ، قد دلى رجليه ، قال الحارث بن النجار : لأقتلنَّ محمداً .

فقال له أصحابه : كيف تقتله ؟

قال : أقول له اعطي سيفك ، فإذا أعطانيه قتله به .

قال : فأتاها ، فقال : يا محمد ، اعطي سيفك أشيمه . فأعطاه إياه ، فرعدت يده ، حتى سقط السيف من يده ، فقال صلى الله عليه وأله وسلم : « حال الله بينك وبين ما تريده » .

فأنزل الله : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) .

أما في تفسير (روح البيان)^(٢) فقد جاء : أن هذه الآية أمان من الله

(١) تفسير ابن كثير ٢ : ٨١.

(٢) للشيخ اسماعيل حقي البروسوي ، الجزء الثاني : ٤١٧ .

للنبي عليه السلام كيلا يخاف ، ولا يحذر ، كما روي في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دخل المدينة ، قال اليهود : يا محمد ، إننا ذوو عدد وبأس ، فإن لم ترجع قتلناك ، وإن رجعت ذوناك^(١) ، وأكرمناك .

فكان عليه السلام يحرسه مائة من المهاجرين والأنصار ، يبيتون عنده ، ويخرجون معه ، خوفاً من اليهود .

فلما نزل قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعِصْمُكُم مِّنَ النَّاسِ﴾ علم أن الله يحفظه من كيد اليهود وغيرهم ، فقال للمهاجرين والأنصار : «انصرفوا إلى رحالكم ، فإن الله قد عصمني من اليهود» .

والآن ، نرجو أن نجد - من بين كل ما تقدم - جواباً لكل واحد من هذه الأسئلة :

١ - الرواية الأخيرة تشير إلى بداية العهد المدني ، وهذا تتفق مع ما روي عن أم المؤمنين عائشة ، ولكن الذي جاء عنها ، وفي كل الروايات التي أُسندت إليها ، أنه كان يحرسه رجل واحد ، ورد في بعضها أنه سعد بن أبي وقاص ، وفي بعضها غيره ، أما روايتنا الأخيرة فيها مائة من المهاجرين والأنصار ، يبيتون عنده ، ويخرجون معه ! فائيها نختار ؟

نعم ربما وجدنا مخرجاً لهذا فنقول : إنه كان يحرسه مائة بادئ الأمر ، فلما تزوج من السيدة عائشة استغنى عن تسعة وتسعين منهم ، واكتفى بحارس واحد ! ولكن حتى هذا لا تقبله الرواية الأخيرة ، فهي تشير إلى بقائهم على حاليهم من الحراسة حتى نزول الآية ، بدليل قوله في آخرها : فلما نزلت الآية ، قال للمهاجرين والأنصار : «انصرفوا إلى رحالكم» فهو حديث مع جماعة ، وهم في حالة الحراسة ، وإلا لماذا قال : «انصرفوا إلى رحالكم» ؟

(١) ذاده وأذاده : أعاده على الذياد - وهو الدفع والطرد . لسان العرب - ذود - ٣ : ١٦٧ .

منهج في الانتفاء المذهبى

٢ - الروايات تفيدان أنَّ الآية نزلت في المدينة ، وهذا ينافق ما في الروايات الأخرى من أنها نزلت في المغازي .
هذا إذا تركنا قول من قال أنها نزلت في مكَّة ، وأسقطنا الروايات التي تشير إليه .

٣ - إذا كان يحرسه وهو في المدينة مائة رجل من المهاجرين والأنصار ، أو قل رجل واحد ، فأين ذهبوا عنه وهو بين الجيدين ، في ساحة القتال ؟
وهل يصح أن يختار القائد محل استراحته في (الأرض الحرام) بين جيشه والجيش المعادي ، بحيث يكون ممكناً بكل تلك السهولة أن يتسلل إليه من يشتهي قتله ، حتى يشهر السيف على رأسه ، وهو نائم ؟ !
ثم لاحظ أنَّ الرواية تقول : اختار له أصحابه ظللاً يقيل فيه .
فهل يختار له أصحابه ظللاً كهذا ؟

وأي ظل هذا ، وأي قيلولة ؟ سل من رأى الحروب ، أو سمع بها .
ثم إن كان هذا مما تقبله العقول ، فأين غفلوا عن حراسته في مثل هذا المكان ، وقد اعتادوا أن يحرسونه وهو في المدينة ؟

٤ - في آية غزوة كان ذلك ؟ أكثر الروايات تقول : في بعض المغازي ، ولا تُعين واحدة منها ، فهل نسي الرواية تلك الغزوة ؟
وهل يرتضى ذلك أحدنا ، مع غزوة كهذه ، تحدث فيها تلك المعجزة المثيرة ، ثم ينزل فيها قرآن يُتلى ، يزيدها ثباتاً في الأذهان ، ثم تلك الصورة المثيرة ، والرجل يضرب برأسه الشجرة ، حتى انتشر دماغه ، كل هذا ينساه جميع من شهده ، فلا يدرى متى حصل ؟

فإن جاز ذلك ، فليس أقل أن يذكروا تلك الغزوة التي تركوا فيها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بلا حراسة حتى تسلل إليه من تسلل ، وشهر السيف على رأسه الشريف !

وإن حصل ذلك ، فأين أهل العلم بالقرآن ، ونزوله ، وناسخه ، ومنسوخه ،
ومحكمه ، ومتشبهه ، ومكىّه ، ومدنيّه ؟
نعم إن هناك رواية واحدة تقول : إنها كانت غزوة ذات الرقاع . ولا تخلو
هذه أيضاً مما يثير الاستغراب ، إذ يتسلل المشرك مجرداً من السلاح إلى النبيّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وهو يأمل بكل ثقة أن يأخذ منه سيفه بمجرد أن يقول
له : اعطي سيفك أشيئه !

فهل كان الرجل مجنوناً ؟ لم تشر الرواية إلى شيء من ذلك !
ولقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أذكي من ذلك وأكثر حذراً .
دع عنك كل هذا ، ولنقل بأنّها هي غزوة الرقاع ، وإنما اختلفت
الروايات في تفصيل الحادثة ، وهذا جائز ، فتعال معـي إذن أخبرك بغزوـة الرقاع
متى وقعت .

وّقعت هذه الغزوـة في السنة الرابـعة من الهجرة المباركة على مهاجرـها
المختار ، وآلـه الأطهـار أفضـل صـلاة وأتمـ سـلام . وبالـتحديد الدـقيق ، وقـعت غـزوـة
الرقـاع في الشـهر السـابع والأربعـين من الهـجرة المـبارـكة^(١) . أيـ إنـه كان يـفصلـها
عن وفـاته صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـّمـ قـرـابةـ سـبـعـ سـنـينـ ، فـهـلـ يـتفـقـ هـذـاـ معـ قولـ
ابـنـ كـثـيرـ فـيـ هـذـهـ الآـيـةـ : بـلـ هـيـ مـنـ آـخـرـ ماـ نـزـلـ ؟

علـيـاـ أـنـ قـولـهـ الـأـخـيرـ هـذـاـ هوـ المـوـافـقـ لـمـاـ هـوـ مشـهـورـ جـدـاـ بـيـنـ الـمـسـلـمـينـ منـ
كونـ سـوـرـةـ الـمـائـدـةـ هـيـ آـخـرـ مـاـ نـزـلـ مـنـ الـقـرـآنـ ، مـاـ خـلـاـ سـوـرـةـ الـنـصـرـ ، وـآـيـةـ أوـ
آـيـتـينـ ، سـيـأـتـيـ ذـكـرـهـ إـنـ شـاءـ اللهـ .

وبـغـضـ النـظرـ عنـ هـذـاـ فـهـيـ لاـ تـصـمـدـ أـمـامـ الـأـسـئـلـةـ الـمـتـقـدـمـةـ ، وـقـدـ مـرـتـ
روـاـيـاتـ تـنـقـضـهـ أـيـضاـ .

(١) راجـعـ كـتـابـ المـفـازـيـ لـلـوـاقـدـيـ ١ : ٣٩٥ ، وـالـكـاملـ لـابـنـ الـاثـيرـ ٢ : ١٧٤ ، تـارـيخـ الطـبـريـ ٣ : ٣٩ .

ذلك هو حجم الاضطراب والتناقض في تلك الروايات .
ولعله هو السبب الأساس وراء عدم اتفاقهم على شيء منها ، بل عدم
اعتماد أحدهم واحدةً منها .

كما يُعدّ ثاني سببين - أولهما : العلم بأنَّ الآية من آخر ما نزل من القرآن -
كانا وراء تعرِيف ابن كثير ، والطبرى ، وأخرين على حجة الوداع ، وخطبته
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هناك ، ومطابقهم نصَّ الآية مع ما جاء على لسانه
الشريف في مواقفه هناك ، بقوله : « هل بلغت ، اللهم اشهد » .
لكنَّهم يقفون عند مجرد التعرِيف ، دون أن يشير أحدهم إلى نزولها في هذا
التاريخ .

هذا ولما نتعرَّض بعد لما أورده الرازى في هذا المقام ، فقد ذكر عشرة وجوه
في سبب نزول هذه الآية ، من بينها بعض ما سبق الكلام فيه ، ومنها ما ينفرد به
وحده ، وقد تناول البغوى في تفسيره^(١) نصفها ، وأعرض عن نصف ، وتلك
الوجوه هي بالترتيب كما يلى :
الأول : أنها نزلت في قصَّة الرجم والقصاص ، على ما تقدَّم في قصَّة
اليهود .

وَقَصَّة الرجم هذه قد تقدَّم كلامه فيها في نفس السورة^(٢) ، وخلاصتها أنَّ
رجلًا وامرأةً زنيا ، فأقى بها قومها إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليحكم
فيهما ، ولو تبعتها لا تجد فيها على الإطلاق ما يشير إلى احتمال نزول هذه الآية
هناك ، ولن تجد ما يشير إلى ما يمكن اعتباره مبرراً لوجود مثل هذا الاحتمال !
ولم يرد في ذلك خبر يعتمد .

(١) معالم التنزيل ٢ : ٢٧٩ .

(٢) تفسير الرازى ١١ : ٢٣٢ - ٢٣٣ .

فهو يسرد القصة سرداً متسلسلاً حتى ينتهي إلى قوله : فأمر بها صلّى الله عليه وآلـه وسلـم فرجـما عند بـاب مـسـجـده . ولو تبـعـت القـصـة في كلـ ما تـجـدـه من كـتب التـفـسـير لما وجدـت إـشـارـةً واحـدةً إلى وجود صـلـة بين الآيـة مـوضـوع الـبـحـث وـبـين تلكـ القـصـة . ولـعلـ الـراـزـي ذـكـرـها لـجـرـد الإـحـصـاء لاـ غـيرـ ، ولـعلـه اـبـتـدـعـها .

الثاني : نزلـتـ في عـيـبـ اليـهـودـ وـاستـهـزـائـهـ . . . وقد تـقـدـمـ الكلامـ فيـ مـثـلـهـ .

الثالث : لـمـا نـزـلـتـ آـيـةـ التـخـيـرـ ، وهـيـ قولـهـ : ﴿يـاـ أـيـهـاـ النـبـيـ قـلـ لـأـزـوـاجـكـ﴾

فـلمـ يـعـرـضـهاـ عـلـيـهـنـ خـوفـاـ منـ اـخـيـارـهـنـ الدـنـيـاـ ، فـنـزـلـتـ .

الرابع : نـزـلـتـ فيـ أـمـرـ زـيـدـ وـزـيـنـبـ بـنـتـ جـحـشـ .

نـقـولـ : وكـلاـ القـصـتينـ - الثالثـةـ والـرـابـعـةـ - قدـ نـزـلـتـ فيـهـاـ آـيـاتـ مـفـصـلةـ يـتـلوـهـاـ المـسـلـمـونـ مـنـ قـبـلـ أـنـ تـنـزـلـ سـوـرـةـ الـمـائـدـةـ .

الخامس : نـزـلـتـ فيـ الجـهـادـ ، فـإـنـ الـمـنـافـقـينـ كـانـواـ يـكـرـهـونـهـ ، فـكـانـ يـمـسـكـ أحـيـاناـً عنـ حـثـهـمـ عـلـىـ الجـهـادـ .

وهـذاـ كـلامـ مـرـسـلـ تـامـاـً ، وـلـمـ يـذـكـرـهـ أـحـدـ مـنـ سـبـقـ الـراـزـيـ ، وـلـنـ تـجـدـ حتـّىـ فيـ كـتبـ السـيـرـةـ المـفـصـلـةـ مـنـ جـعـلـ تـقـاعـسـ الـمـنـافـقـينـ سـبـباـًـ فيـ نـزـولـ هـذـهـ الآـيـةـ .

السـادـسـ : لـمـا نـزـلـ قولـهـ تعـالـىـ : ﴿وـلـأـ تـسـبـبـواـ الـذـيـنـ يـدـعـونـ مـنـ دـوـنـ اللهـ

فـيـسـبـبـواـ اللهـ عـدـواـ﴾^(١) سـكـتـ الرـسـوـلـ عـنـ عـيـبـ آـهـتـهـمـ ، فـنـزـلـتـ هـذـهـ الآـيـةـ .

وـالـصـحـيـحـ أـنـ أـحـدـاـ لمـ يـقـلـ بـنـسـخـ آـيـةـ الـأـنـعـامـ هـذـهـ ، بلـ اـتـقـفـواـ عـلـىـ ضـدـهـ .

قالـ الـقـرـطـبـيـ : (قالـ الـعـلـمـاءـ : حـكـمـهـاـ باـقـيـ فيـ هـذـهـ الـأـمـةـ عـلـىـ كـلـ حـالـ) . وـقـالـ

الـشـوـكـانـيـ : (ذـهـبـ جـمـهـورـ أـهـلـ الـعـلـمـ إـلـىـ أـنـ هـذـهـ الآـيـةـ مـحـكـمـةـ ثـابـتـةـ غـيرـ مـنـسـوـخـةـ)^(٢) .

(١) الأنعام : ١٠٨ . (٢) تفسير القرطبي ٧ : ٦١ ، فتح القدير ٢ : ١٥٠ .

السابع : نزلت في حقوق المسلمين ، وذلك لأنّه قال في حجّة الوداع ، لما بين الشرائع والمناسك : « هل بلّغت » قالوا : نعم قال عليه الصلاة والسلام : « اللهم فاشهد ». .

وهذا ليس أكثر من توفيق بين الألفاظ المشتركة التي وردت في الآية الكريمة والخطبة الشريفة ، أمّا أن يكون التبليغ بتلك الأحكام الشرعية والمناسك سبباً في نزول الآية فهو شيء آخر تماماً ، كما أنّه لم يقل به أحد . فلائي شيء يخفى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تبليغ مناسك الحجّ التي كان يعدّهم بها حتّى قبل صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، وعند نزول قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّءْبِيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجَدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ مُحْلِقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقْصَرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾^(١) كما هو معروف جداً ؟ بل إنّ المسلمين جميعاً كانوا يتلهفون بشدة إلى تلك المناسك وإلى الحجّ مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

والامر كذلك مع سائر الأحكام الشرعية ، فمتى أخفى النبي شيئاً من تلك الأحكام التي لم يبعث إلا لأجل إحياء البشرية بها ، لكي ينزل إليه مثل هذا الإنذار !

نعم ، أخفى النبي في نفسه الأمر في قضيّة زينب كما صرّح القرآن بذلك ، والسبب ظاهر جداً ، وهو خشيته من تسرب الشك إلى بعضهم من أنّه صلّى الله عليه وآلـه وسـلـّمـ قد آثر نفسه ، أو شيء من هذا القبيل .

وهذا أشبه شيء بقضيّة التبليغ بالولاية لعليّ بن أبي طالب ، فهو لا يأمن تسرب الشك لدى بعضهم بأنّه قد آثر ابن عمّه ، وفضله عليهم ، وربما أكثر من

. (١) الفتح : ٢٧

مُجَرَّد الشك عند أمر كهذا ممّا لم يكن مستبعداً أبداً، بل قد حصل تماماً بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأمّا في حياته فقد عصمه الله تعالى من كُلّ كيد، أو تامر، أو غيره.

الثامن : روي أَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نزل تحت شجرة في بعض أسفاره . . . وقد تقدّم .

التاسع : كان يهاب قريشاً، واليهود، والنصارى . . . وقد تقدّم أيضاً.

العاشر : نزلت الآية في فضل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية، أخذ بيده، وقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» فلقيه عمر رضي الله عنه، فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي، ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وهو قول ابن عباس، والبراء بن عازب، ومحمد بن عليّ. انتهى .

وهكذا تأتي هذه الرواية وحدها مسندة من بين الوجوه العشرة .

وهكذا تبقى هي الرواية الوحيدة التي تحظى بكل نقاط القوّة، وداعي القبول، والتي أبرزها :

١ - إسنادها : فهي الرواية المنسدة ، المتصلة بالإسناد ، في عدّة طرق تنتهي إلى عدد كبير من الصحابة .

٢ - صحة الإسناد : فرجاها ثقات ، وروياتهم معتمدة لدى سائر المسلمين .

٣ - اتحادها الزماني والمكاني مع الآية .

٤ - مطابقتها تماماً لنص الآية الكريمة ودلالاتها .

٥ - سلامتها تماماً من كلّ ما وقعت فيه الروايات الأخرى من
الاضطرابات والتناقضات .

هذا ، وقد روى نزولها في أمر ولاية عليّ عليه السلام غير من ذكرنا
كثيراً^(١) ، والحمد لله رب العالمين .

الآية الثانية :

قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَقْمَتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(٢) .

قال الطبرى :

اختلف أهل التأowيل في تأowيل ذلك ، فقال بعضهم: يعني جل شأنه بقوله:
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾: اليوم أكملت لكم - أيها المؤمنون - فراضي
عليكم ، وحدودي ، وأمرني إياكم ، ونهبي ، وحلالي وحرامي ، وتنزيلي من ذلك
ما أنزلت منه في كتابي ، وتبيني ما يبنت لكم منه بوحى على لسان رسولي ، والأدلة
التي نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم ، فأقمت لكم جميع
ذلك ، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم .

قالوا : وكان ذلك في يوم عرفة ، عام حجّ النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلم
حجّة الوداع .

وقالوا : لم ينزل على النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلم بعد هذه الآية شيء

(١) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٤٥ ، وهامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١ : ٢٢٠ ، الترجمة عن ابن عساكر ٢ : ٨٦ / ٥٨٩ ، فرائد السبطين ١ : ١٥٨ ، والفصول المهمة لابن الصياغ المالكي : ٤٢ ، والنور المشتعل : ٨٦ ، يتابع المودة : ١٢٠ و ٢٤٩ ، هذا ما وقفتنا عليه بأنفسنا ، وقد ذكر لها مصادر أخرى لم يتيسر لنا الوقوف عليها .

(٢) المائدة : ٣ .

من الفرائض ، ولا تحليل شيء ولا تحريم ، وأن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم لم يعش بعد نزول هذه الآية إلا إحدى وثمانين ليلة^(١) . انتهى الرأي الأول .

والظاهر في هذا الرأي أن أصحابه قد تبنّوا أمرين : الأمر الأول : أن الآية نزلت يوم عرفة من حجّة الوداع . وقد أنسأوا هذا اعتقاداً على ما جاء في الرواية عن عمر بن الخطّاب ، وقد جاءه يهودي ، فقال له : لو نزلت هذه الآية فينا لجعلناها عيداً . فقال : إني لأعلم أين نزلت ، ومتى نزلت ، نزلت يوم عرفة ، والنبي يخطب ، وهو يوم عيد .

والرواية الأخرى عن معاوية بن أبي سفيان ، وقد كان يخطب على منبره ، فنزع بهذه الآية : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم﴾ وقال : إنّها نزلت يوم عرفة ، في حجّة الوداع ، والنبي يخطب .

وقد ذكر ابن كثير ، وأخرون روايات أخرى نسبت إلى عليّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وسمّرة بن جندب . ولكن لا يصحّ الاحتجاج بشيء من هذه الروايات ، لضعف إسنادها : فأمام رواية سمرة ، فقد ردّها ابن أبي بكر الهيثمي^(٢) ، فقال : فيها عمر بن موسى بن وجيه ، وهو ضعيف .

وأما المنسوبة إلى عبد الله بن عباس فهي لها عمار مولى بن هاشم ، وقد تكلّم فيه البخاريّ ، فبعد أن ذكر له حديثاً عن ابن عباس ، قال : لا يُتابع عليه . وقال فيه ابن حبان : كان يخطئ .

(١) تفسير الطبرى ٦ : ٥١ .

(٢) مجمع الزوائد ٧ : ١٣ - ١٤ .

وكان شعبة يتكلّم فيه^(١).

وأمّا المنسوبة إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ففيها أحاديث كاملة
وقد لينه الدارقطنيّ ، وقال : كان متساهلاً .

وقال حمزة ، عن الدارقطنيّ : كان متساهلاً ، روى حدث من حفظه بها ليس
في كتابه ، وقد أهلكه العجب^(٢) .

وأمّا الروايتان : الأولى والثانية ، فلم أكلّف نفسي عنها البحث والتحقيق
فيهما ، فلست أستبعد صدورهما منها .

فلماذا لا يكون معاوية هو الأعلم بنزل هذه الآية خاصةً ، دون سواها !
ونظرة واحدة إلى قصة الخلافة تكفيانا تماماً جهد التحقيق في روایة كهذه .
هذا وقد ردّ الطبراني نفسه كلّ ما تقدّم من روايات بإثباته طرقاً أخرى
تخالفها ، فقال : حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، ثنا عبد الله بن أبي جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : نزلت سورة المائدة على رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم في المسيرة في حجّة الوداع ، وهو راكب راحلته ، فبركت به
راحنته من نقلها .

وروى مثله - أنها نزلت في المسيرة من حجّة الوداع - الهيثمي^(٣)
عن عبد الله بن عمر ، وعن أسماء بنت يزيد^(٤) .

ورواه السيوطي عن أسماء بنت عميس^(٥) أيضاً^(٦) .

(١) تهذيب التهذيب ٧ : ٤٠٤ / ٦٥٦ .

(٢) لسان الميزان ١ : ٢٤٩ .

(٣) في مجمع الزوائد ٧ : ١٣ .

(٤) هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاريه أم سلامة ، ويقال أم عامر ، بايعت النبي صلى الله عليه
والله وسلم ، وشهدت اليموك ، وتسمى : خطيبة الأنصار . تهذيب التهذيب ١٢ : ٣٩٩ / ٢٧٢٧ .

(٥) أسماء بنت عميس الختمية ، أخت ميمونة بنت الحارث لأنّها ، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها جعفر
بن أبي طالب ، وقد كان عمر يرجع إليها في تعبير الرؤيا . المصدر والصفحة .

(٦) الدر المنثور ٣ : ١٩ .

وهذا كله يخالف الروايات المتقدمة عن عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان ، تماماً .

وسيأتي في المسند الصحيح ما ينقضه أيضاً.

والامر الثاني : - المستفاد من تلك الروايات التي اعتمدتها أصحاب الرأي الأول ، مفاده : أنه لم ينزل بعد هذه الآية شيء من الفرائض ، ولا تحليل شيء ، ولا تحريرمه .

ومن أخذ به : الرازي ، إذ قال جازماً : لم ينزل بعدها شيء من الأحكام
الآتية ، لم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ^(١) . . .

وقد ردّ هذا القول غير واحد من أهل التفسير ، لما ثبت من نزول آيات في الأحكام بعد نزول هذه الآية .

فقال الطبرى : عن البراء بن عازب ، أَنَّ آخِرَ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ :

وَسْتَفْتُونَكُمْ قُلِ اللَّهُ يَفْتَيْكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴿٤٢﴾

وقال أبو حيّان الأندلسي^(٣) : قال الجمهور - كمال الدين - هو إظهاره ، واستيعاب معظم فرائضه وتحليله ، وتحريمـه ، قالوا : وقد نزل بعد هذه الآية قرآن
كثير ، كآيات الربا ، وأيات الكلالة ، وغير ذلك .

فإن قلت : لماذا نعتمد هذه الروايات ، ولا نأخذ بقول من قال بعد نزول شيء من الأحكام والفرائض بعد هذه الآية ؟
أجابك الطبرى ، فقال :

وَلَا يُدْفِعُ ذُو عِلْمٍ أَنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَنْقُطِعْ عَنِ الرَّسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) تفسیر الرازی م ٦ . ج ١١ : ١٣٩ .

. ١٧٦) النساء :

^{٣)} في تفسير: البحر المحيط ٣: ٤٢٦.

إلى أن قبض ، بل كان الوحي قبل وفاته أكثر ما كان تتابعاً .
 فإذا كان ذلك كذلك ، وكان قوله : ﴿وَسَتَفْتُونُكُمْ قُلِ اللَّهُ يَفْتَيْكُمْ﴾ آخرها نزولاً ، وكان ذلك من الأحكام والفرائض ، كان معلوماً أنّ معنى قوله : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ على خلاف الوجه الذي تأوله من تأوله . أعني كمال العبادات ، والأحكام ، والفرائض .

فإن قيل : فما جعل قول من قال : قد نزل بعد ذلك فرض ، أولى من قول من قال : لم ينزل ؟

قلنا : لأنّ الذي قال : لم ينزل مُخْبِرُه لا يعلم نزول فرض ، والنفي لا يكون شهادةً ، والشهادة قول من قال : نزل .

وغير جائز دفع خبر الصادق فيما أمكن أن يكون فيه صادقاً . انتهى .
 وهكذا تمّ نقض الرأي الأول ، الذي أعرض عنه الكثير من أرباب التفسير ، واتّخذوا لأنفسهم مذاهب أخرى .

قال الطبرى : وقال آخرون : معنى ذلك : اليوم أكملت لكم دينكم : حجّكم ، فأفردتكم بالبلد الحرام تحجّونه أنتم إليها المؤمنون دون المشركين ، لا يخالطكم في حجّكم مشرك .

وهكذا قبل هؤلاء أن يفسروا الدين بالحجّ ، ولم يقبلوا بالرأي الأول .
 ويبقى الرأي الأخير ، الذي تعاضدت فيه الروايات الصحيحة الأسانيد ، التي تُصرّح بنزول هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد المسير من حجّة الوداع ، وفي أثناء خطبة الغدير . وقد ثبتت هذا من عدّة طرق ، رجاهما ثقات ، عن عدد كبير من الصحابة ، منهم : عليّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وأبو سعيد الخدري ، والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفارى ، وعمران بن ياسر ، والمقداد بن الأسود ، وأبو هريرة .

وفيها : أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ دَعَا النَّاسَ إِلَى غَدَيرِ خَمٍّ ،
وَذَلِكَ يَوْمُ الْخَمِيسِ ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَخْذَ بِضَيْعَهُ ،
فَرَفَعَهَا حَتَّى نَظَرَ النَّاسَ إِلَى بِيَاضِ إِبْطِيهِ . ثُمَّ لَمْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى نَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ :
﴿ إِنَّمَا يَنْهَا مُحَمَّدٌ وَآلُّهُ أَكْمَلَ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾^(١) .

وَلَا يَفُوتُنَا أَنْ نَذْكُرَ مَا أَورَدَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُ مِنَ الْرَوَايَاتِ ، وَمَجْمُوعُ
ذَلِكَ أَمْرَانَ :

الأَوَّلُ : حَوْلَ إِحْدَى الْرَوَايَاتِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، قَالُوا : فِيهَا أَبُو
هَارُونَ الْعَبْدِيُّ ، وَبَاقِي رِجَالِهَا ثَقَاتٌ .
وَالثَّانِي : فِي إِحْدَى الْرَوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ ، قَالُوا : فِيهَا حَبْشُونَ
الْخَلَّالُ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ .

وجواب ذلك :

- ١ - إِنَّ أَبَا هَارُونَ الْعَبْدِيَّ ، التَّابِعِيُّ الَّذِي حَدَّثَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ
وَابْنِ عُمَرَ ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنَ الْعِيبِ لِدِيْهِمْ سُوَى أَنَّهُ حَدَّثَ فِي فَضَائِلِ عَلَيِّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، فَوَصَفَهُ بَعْضُهُمْ بِالتَّشْيِيعِ ، وَهَذَا رَدُّ أَحَادِيثِهِ^(٢) .
- ٢ - إِنَّ حَبْشُونَ ذَكْرَهُ سَبْطُ ابْنِ الْجُوزِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَ عَنْهُ الْأَزْهَرِيُّ

(١) انظر ترجمة الإمام علي لابن عساكر ٢ : ٧٥ / ٥٧٧ - ٥٨٠ ، تاريخ بغداد ٨ : ٢٩٠ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٤٣ ، شواهد التزييل - الحديث ٢١٥ - ٢١٥ ، المناقب لابن المغازلي : ١٩ ، وابن الجوزي: ٢٩ ، والخوارزمي : ٨٠ ، والنور المشتعل : ٥٦ ، وفرائد السبطين ١ : ٣١٥، مقتل الإمام الحسين للخوارزمي: ٤٧ ، ينابيع المودة : ١١٥ ، وألسن الطوسي في الدر المثور ٣ : ١٩ ، والإتقان ١ : ٧٥ في باب معرفة الحضري والسفري ، أما حكمه في التصحيف والتضعيف فقد تقدّم تحقيقنا فيه.

(٢) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٧ : ٤١٢ / ٦٧٠ ، فقد قال بعد أن استعرض أقوالهم المتشددة فيه ، قال : وكان فيه تشيع ، وأهل البصرة يفترطون فيما يشنّع بين أظهرهم لأنهم عثانيون .

ولم يضعّفه^(١) . وقد مرّأنّ الذّهبيّ ذكره ، فقال صدوق^(٢) - كما وثّقه الخطيب عند ترجمته له في تاريخ بغداد ، ولم يذكر خلافاً فيه.

٣ - لو صدق قولهم فيه، فإنّ الرواية عن أبي هريرة قد وردت من طريق آخر، رجاله موثقون وليس فيهم حبشون^(٣) .

١٠ - الولاية أيضاً :

وهذه أيضاً ولاية الأمر بكلّ ما يناسبها من عبارة : الإمامة ، والسيادة ، والإمرة ، والقيادة .. جاءت صريحةً متعاضدةً في نصوص عديدة صحيحة ، يشهد بعضها لبعض ويقوّيه ، ومن ذلك :

أولاًً : قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « عليّ أمير البرّة ، قاتل الفجّرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله »^(٤) .

فكـلـ من أعدـتهـ منـ الأـ بـارـ فـعـلـيـ أمـيرـهـ .

ثانياً : قال عليّ عليه السلام: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « مرحباً بـسـيـدـ الـمـسـلـمـينـ ،ـ إـيـامـ المـتقـينـ »^(٥) .

فكـلـ منـ عـدـ فيـ المـتقـينـ فـعـلـيـ إـمامـهـ ،ـ وـكـلـ منـ دـخـلـ فـيـ إـسـلـامـ فـعـلـيـ سـيـدـهـ .

(١) تذكرة الخواص : ٣٠ .

(٢) راجع ص : ٩٦ .

(٣) كما في الحديث (٢١٠) من كتاب شواهد التنزيل للحاكم الحسّكاني .

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٢٩ وصححه ، الصواعق المحرقة : باب ٩: ١٢٥ ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ٢: ٤٧٦ / ٤٠٤ و ١٠٠٥ / ١٠٠٥ تفسير الرازى ١٢: ٢٦ ، فضائل الصحابة ٢: ٦٧٨ / ١١٥٨ ، تذكرة الخواص : ١٥ ، الجامع الصغير للسيوطى ٢: ١٧٧ / ٥٥٩١ ، المناقب للخوارزمي : ١١١ ، فرائد السمعطين ١: ١٥٧ / ١١٩ ، كنز العمال ١١ / ٣٢٩٠٩ ، ومنتخب الكنز : ٣٠ .

(٥) تاريخ بن عساكر ٢: ٤٤٠ / ٩٥٦ ، ابن أبي الحديد ٩: ١٧٠ ، حلية الاولى ١: ٦٦ ، فرائد السمعطين ١: ١٤١ / ١٠٤ ، كنز العمال ١١ / ٣٣٠٩ و ١٣ / ٣٦٥٢٧ ومنتخب منه ٥: ٥٥ .

ثالثاً : قال أنس بن مالك: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين ، وقائد الغرّ المحجّلين وخاتم الوصيّين » .

قال أنس قلت : اللهم اجعله رجلاً من الأنصار ، وكتمه ، إذ جاء على فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من هذا ، يا أنس ؟ » . فقلت : عليّ فقام مستبشرًا ، فاعتنقه ، ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه .

فقال عليّ عليه السلام : يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل ؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « وما يمنعني وأنت تؤدي عنّي ، وتُسمعهم صوتي ، وتُبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدى ؟ » ^(١) .
رابعاً : قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « أوحى إليّ في عليّ ثلات : أنه سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرّ المحجّلين » ^(٢) .
أفوق هذه الفصاحة فصاحة ؟

أم بعد هذا البيان بيان ؟
أفلا يكفيانا كلام الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بصريح العبارة - مرةً بعد أخرى - لمعرفة طريق الهدى ؟ !
بائي شيء إذن سنهتدى ؟

(١) ابن أبي الحديد ٩ : ١٦٩ ، حلية الأولياء ١ : ٦٣ ، فرائد السبطين ١ : ١٤٥ / ١٠٩ .

(٢) المستدرك ٣ : ١٣٨ وصححه ، أسد الغابة ٣ : ١١٦ ، الترجمة عن تاريخ دمشق ٢ : ٢٥٧ / ٧٧٩ - ٧٨٢ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٢١ ، ذخائر العقبي : ٧٠ ، فرائد السبطين ١ : ١٤٣ / ١٠٧ ، المناقب للخوارزمي : ٤٢ و ٢١٠ و ٢٣٥ ، المناقب لابن المغازى : ٦٥ / ٩٣ و ١٤٦ / ١٠٤ و ١٤٧ ، الرياض النضرة ٣ : ١٣٨ .

فمتى صحت لأحد أن ينصب نفسه سيداً على من عينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيداً للمسلمين أجمعين ؟

وكيف يجعل نفسه إماماً على من اختاره الله ورسوله إماماً للمتقين ؟
أم كيف يضع نفسه قائداً على من اصطفاه الله ورسوله قائداً للغرض
المحجلين ؟

أم متى كان للإمامية بآجعها أن تفعل شيئاً من ذاك ، فتُقدّم أحداً على
رجلٍ قدّمه النساء ؟ !

أم إلى أين سيفرّ أصحاب التأويل وهم كلّما ركبوا مسلكاً طمع عليهم نصّ
شريف - من قرآن أو سنة - فصدّمهم في جياثهم ، فأعادهم على أعقابهم ، وليس
معهم حتى خفي حنين !

ثم لماذا هذا الفرار من النص الشريف ، أليس اتباع النص الصحيح
هو الدين ؟

ثم لماذا كلّ هذا التشنج من مناقب علي بن أبي طالب ، أليس هو
(المدخل) إلى الإسلام كله ؟

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا مدينة العلم وعلى بابها ،
فمن أراد المدينة فليأت الباب »^(١) . ألم يقل : « أنا دار الحكمة وعلى بابها »^(٢) .

(١) المستدرك ٣ : ١٢٦ و ١٢٧ وصححة ، جامع الأصول ٩ : ٤٧٣ / ٦٤٨٩ ، أسد الغابة ٤ : ٢٢ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٧٢ ، ابن عساكر في الترجمة ٢ : ٤٦٤ / ٩٩١ - ١٠٠٢ ، تاريخ بغداد ١١ : ٤٩ و ٥٠ وأثبت صحته ، الجامع الصغير للسيوطى ١ : ٤١٥ / ٢٧٠٥ ، شواهد التنزيل ١ : ٣٣٤ / ٤٥٩ ، تاريخ الخلفاء : ١٣٥ ، كنز العمال ١١ / ٣٢٨٩٠ و ٣٢٩٧٩ و ١٣ / ٣٦٤٦٣ ، الصواعق المحرقة : باب ٩ : ١٢٢ ، الرياض النضرة ٣ : ١٥٩ ، وجبع أصحاب المناقب .

ولقد ألف الحافظ أحمد بن محمد المغربي كتاباً في هذا الحديث تتبع فيه أسانيده ، وأثبت صحته ، في
بحث نادر في بابه وأسماءه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم على) وقد طبع هذا الكتاب
بمصر :

(٢) سنن الترمذى ٥ : ٦٣٧ / ٣٧٢٣ ، مصابيح السنة ٤ : ٤٧٧٢ / ١٧٤ ، الجامع الصغير ١ : ٤١٥ / ٤١٥ ←

أسئلة تنتظر الجواب . . .

١١ - النجاة . . .

وأبو ذر الغفاري - الذي ما طلعت الشمس على رجل أصدق منه لهجة - أخذ بباب الكعبة ، ينادي : أئها الناس ، من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن أنكرني فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم يقول : « مَثُلُّ أهْلِ بَيْتِي مَثُلُّ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَهَا نَجا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرَقَ »^(١) .

وقال ابن حجر^(٢) : جاء من طرق عديدة ، يقوّي بعضها بعضاً : « إِنَّمَا مُثُلَّ أَهْلَ بَيْتِي فِيهِ كُمُثُلَّ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَهَا نَجا » .

قال : وفي رواية مسلم : « وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرَقَ » .

وفي رواية : « هَلَكَ ، وَإِنَّمَا مُثُلَّ أَهْلَ بَيْتِي فِيهِ كُمُثُلَّ بَابَ حَطَّةَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، مَنْ دَخَلَهُ غُفرَ لَهُ » .

وفي رواية : « غُفرَ لَهُ الذُّنُوبُ » .

قال : ووجه تشبيههم بالسفينة : أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُمْ ، وَعَظَّمَهُمْ شَكْرًا لِنِعْمَةِ مُشَرِّفِهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْذَ بِهِمْ عِلْمَأَنَّهُمْ نَجَا مِنْ ظُلْمَةِ الْمُخَالَفَاتِ .

→ ٢٧٠٤ ، ابن عساكر ٢ : ٤٥٩ / ٩٩٠ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٧٢ ، الصواعق المحرقة : باب ٩ : ٩ ، حلية الأولياء ١ : ٦٤ ، الرياض النضرة ٣ : ١٥٩ ، وأصحاب المناقب .

(١) المستدرك ٢ : ٣٤٣ وصححه على شرط مسلم ، ١٥١ ، المخصائق الكبرى ٢ : ٤٦٦ ، الجامع الصغير ٢ : ٥٣٣ ، عيون الأخبار لابن قتيبة ١ : ٢١١ ، والمعارف : ١٤٦ ، روح المعاني ٢٥ : ٣٢ ، تفسير ابن كثير ٤ : ١٢٣ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٩١ ، حلية الأولياء ٤ : ٣٠٦ ، الصواعق المحرقة : ٢٣٦ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٦٨ ، ابن الأثير في النهاية ٢ : ٢٩٨ وفيه « وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زُنْجَ في التار » ، ابن أبي الحديد ١ : ٢١٨ ، المقتل للخوارزمي ١ : ١٠٤ ، ذخائر العقبى : ٢٠ ، فرائد السمعطين ٢ : ٢٤٦ / ٥١٩ ، ابن المغازلي في المناقب : ١٣٢ ، كفاية الطالب : ٣٧٨ ، وغيرها .

(٢) في الصواعق المحرقة : باب ١١ فصل ١ . الآية السابعة : ١٥٢ .

ومن تخلّف عن ذلك ، غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفاوز الطغيان .
ومرّ في خبر : أنَّ مَنْ حَفِظَ حُرْمَةَ الإِسْلَامِ ، وحَرَمَتْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وحرمة رحمه ، حفظ الله دينه ودنياه ، ومن لا ، لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته .

وورد : « يرد الموضع أهل بيتي ومن أحبهم من أُمّتي كهاتين السبّابتين » .
ويشهد له خبر « المرء مع من أحبّ » .

وبباب حَطَّةَ - أي وجه التشبيه به - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ دُخُولَ ذَلِكَ الْبَابِ - الذِّي هُو بَابُ أَرْجَاءِ ، أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - مَعَ التَّوَاضُعِ وَالْاسْتَغْفَارِ سَبِيلًا لِلْمَغْفِرَةِ .
وَجَعَلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ مُوَدَّةً أَهْلَ الْبَيْتِ سَبِيلًا لَهَا .

وقال تعالٰى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَارٌ مِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ .

وقال ثابت البناي : اهتدى إلى ولاية أهل بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

انتهى^(١) .

وإِنَّمَا أَرَادَ سَيِّدُ الْفُصَاحَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا التَّشَبِيهِ أَنَّ
يَرَسِمَ صُورَةً حَيَّةً عَنْ حَقِيقَةِ الدُّنْيَا ، وَرَحْلَةِ الإِنْسَانِ فِيهَا إِلَى الْآخِرَةِ ، فَمَثَلُ هَا
بِذَلِكَ الطَّوفَانِ الْمُخِيفِ الَّذِي ثَبَّتَ لَهُ فِي أَذْهَانِ الْمُسْلِمِينَ صُورَةً مُرْعِبَةً ، وَهُمْ
يَقْرُؤُونَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُشَهِّدًا حَيًّا .

ذَلِكَ الطَّوفَانُ الَّذِي أَتَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُ إِلَّا تَلْكَ السَّفِينَةُ
وَمِنْ فِيهَا : ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِهَا وَمُرْسِهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ *
وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجَبَالِ ﴾^(٢) .

وَذَلِكَ هُوَ مَثَلُ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي خِضْمِ الْأَحْدَاثِ ، وَازْدِحَامِ الْفَتْنَ ، وَالْخِتْلَافِ

(١) المَصْدَرُ : ١٥٣ .

(٢) هُودٌ : ٤١ - ٤٢ .

الناس ، واضطراب الأهواء في بحور متلاطمة، من تنافس الأفكار ، والمسالك ، والأهواء والعقائد ، بحور لن تبقى على شيء ، وسيبتلع كل شيء موجها ، بل قل شرّها ! حتى لم ينج منها إلا تلك السفينة - سفينة أهل بيت المصطفى ، سفينة نجاة هذه الأمة - ومن تعلق بها .

وذاك هو الذي يرجع إليهم السلام في أمور دينه ، يأخذ عنهم الأصول ، والفروع ، والعقائد ، وينهل من عذب كوثرهم الحمدي معلم الآداب والقيم ، يحبّهم ، وينصرهم ، ويواлиهم ، فهذا هو الذي أمن إذا فزع الناس ، ونجا إذا هلكوا ..

بينما كان مثل الذي لجأ إلى غيرهم في أمر دينه وعقيدته ، كمثل الذي قال : ﴿سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء﴾^(١) .
أليست هذه هي الصورة التي يرسمها حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟
انظر إلى ما يزیدها بياناً في الحديث الآخر .

١٢ - الأمان ..

قال صلى الله عليه وآله وسلم : «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لآمني من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا ، فصاروا حزب إبليس»^(٢) .

(١) هود : ٤٣ .

(٢) المستدرك ٣ : ١٤٩ وصححه ، الخصائص الكبرى ٢ : ٤٦٦ ، فضائل الصحابة ٢ : ٦٧١ / ١١٤٥ ، الصواعق المحرقة : ١٥٢ - ١٥٣ ، ٢٢٦ ، ذخائر العقبي : ١٧ ، فرائد السبطين ١ : ٤٥ / ١١ و ٢٥٢ - ٥٢٢ ، كنز العمال ١٢ ح / ٣٤١٥٥ و ٣٤١٨٨ و ٣٤١٨٩ والمنتخب منه بهامش مستند أحمد ٥ : ٩٢ ، الجامع الصغير ٢ : ٦٨٠ / ٩٣١٣ .

قال ابن حجر : قال بعضهم : يحتمل أنَّ المراد بأهل البيت - الذين هم أمان - علماؤهم ، لأنَّهم الذين يُهتدى بهم كالنجوم والذين إذا فُقدوا جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون^(١) . . .

ومهما قالوا ، فإنَّ حبيب الله قد قال : «إِذَا خالفتُمْ قَبْلَةَ الْأَرْبَعَةِ ، اخْتَلَفُوا ، فَصَارُوا حَزْبَ إِبْلِيسِ» !

أليس في شيءٍ من هذا دليل على ولايتهم عليهم السلام ! !
ثم انظر إلى ذلك التاريخ الطويل بصحبة هذا النَّصَّ الشريف ، لترى :

مَنِ مِنْ أَئمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ قَدْ اقْتَدَوْا بِهِ ، وَاتَّبَعُوهُ ؟

بَلْ أَيِّ مِنْهُمْ الَّذِي لَمْ يَخَالِفُوهُ ؟

بَلْ مَنِ الَّذِي لَمْ يَؤْذُوهُ ؟

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِهَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ .

* * *

أصحاب الحق يتكلّمون ...

مقاطع من نهج البلاغة ...

نهج البلاغة :

هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي^(١) رحمة الله من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، جمع متفرقه ، وسمّاه بهذا الاسم .

وهو كتاب لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا أصحابه ، ولم يدع للفكر مرمّاً إلا جاءه . فقد تعرض للمدح ، وللعدل الأدبي ، وللتغريب في الفضائل ، وللتغريب من الرذائل ، وللمحاورات السياسية ، والمخاصمات الجدلية ، ولبيان

(١) هو الشريف أبو الحسن محمد بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وأمه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الدليل بن علي بن الحسن ابن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب عليه السلام ، وكانت ولادته سنة ٣٥٩ هـ واشتغل بالعلم ففاق في الفقه والفرائض ، وبذّ أهل زمانه في العلم والأدب . له نظم في الذروة حتى قيل : هو أشعر الطالبيين ، تولى نقابة ثقباء الطالبيين بعد أبيه سنة ٣٨٨ هـ وضمّ إليه النظر في المظالم والجحّ بالناس ، وله كتاب (معاني القرآن) ممتع يدل على سعة علمه ، توفي سنة ٤٠٦ .

أنظر : تاريخ بغداد ٢ : ٢٤٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ : ٢٨٥ .

حقوق الراعي على الرعية ، وحقوق الرعية على الراعي ..
وأنتى على الكلام في أصول المدنية ، وقواعد العدالة ، وفي النصائح
الشخصية ، والمواعظ العمومية .. .

وعلى الجملة ، فلا يطلب طالب طلبة إلا ويرى فيه أفضلها ، ولا تخالج
فكرهُ رغبة إلا وجد فيه أكملها^(١) .

وقدتناوله أكثر من خمسين عالماً من مشاهير عصورهم^(٢) ، تحقيقاً وتفسيراً ،
فما ازدادوا به إلا إعجاباً وإجلالاً ، ولا أخفوا تصاغرهم عنده ، لما يجدون من
عجب الكلام ، وبديع النسق والانتظام ، ولا ارتاب أحدهم في نسبة شيء منه
إلى أمير المؤمنين عليه السلام . ولو كان ، لأشار إليه بعضهم ، وخاصةً من لا
يُنسب إلى الاعتقاد بفضل الإمام علي عليه السلام على سائر الصحابة ، وهم
كثير .

نعم ، أشار الدكتور صبحي الصالح إلى ارتياط بعض النقاد عند
النصوص التي وردت في وصف بعض المخلوقات خاصةً ، ثم أشار إلى بطلان
هذا بما توصل إليه بعد التحقيق ، فقال : وقد اشتمل كلامه على أوصاف
عجبية لبعض المخلوقات حملت روتها ودقة تصويرها بعض النقاد على
الارتياط في عزوها إلى أمير المؤمنين ، كما في تصويره البارع للنملة ، والجرادة ،
ولا سيما الطاووس ، ولا بد من تحقيق هذا الأمر في غير هذه المقدمة العجل ، وهو
ما نسأل الله التوفيق لبيانه في كتاب مستقل ، اكتملت بين أيدينا معالمه ،
وستصدره قريباً بعون الله^(٣) .

(١) الكلام في التعريف إلى هنا من مقدمة الشيخ محمد عبدة في شرحه لمنهج البلاغة .

(٢) نهج البلاغة بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : ٨ عن كتاب ما هو نهج البلاغة : ٨ - ١٠ ، وعنه أيضاً
الدكتور صبحي الصالح في كتابه شرح نهج البلاغة : ١٨ .

(٣) في كتابه : شرح نهج البلاغة : ١٢ .

وفي مروج الذهب ، قال المسعودي : والذى حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعين خطبة ونيف وثمانين خطبة يوردها على البديةة ، وتداول الناس ذلك قولًا وعملًا^(١) .

أما ابن أبي الحديد فقد ناقش هذه الدعوى نقاشاً مفصلاً ، فقال : إنَّ كثيراً من أرباب الهوى يقولون : إنَّ كثيراً من (نهج البلاغة) كلامُ مُحدثٍ صنعه قومٌ من فصحاء الشيعة ، وربما عززوا بعضه إلى الرضي أبي الحسن وغيره ، وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم ، فضلوا عن النهج الواضح وركبوا بُنيات الطريق ضللاً وقلة معرفة بأساليب الكلام ، وأنا أوضح لك بكلامٍ مختصرٍ ما في هذا الخطأ من الغلط ، فأقول :

لا يخلو إِمَّا أن يكون كُلّ (نهج البلاغة) مصنوعاً منحولاً ، أو بعضه .
والأول باطل بالضرورة ، لأنَّا نعلم بالتوالُر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد نقل المحدثون كُلُّهم أو جلَّهم ، والمؤرخون كثيراً منه ، وليسوا من الشيعة لِيُنسبُوا إلى غرضٍ في ذلك .

والثاني يدلُّ على ما قلناه - أي ما نسبهم إليه من ضلال وقلة معرفة بأساليب الكلام - لأنَّ من قد أنسَ بالكلام والخطابة ، وشدَّا طرفاً من علم البيان وصار له ذوقٌ في هذا الباب ، لا بدَّ أن يُفرق بين الكلام الركيك والفصيح ، وبين الفصيح والأفصح ، وبين الأصيل والمولد ، وإذا وقف على كراسٍ واحد يتضمن كلاماً لجماعة من الخطباء ، أو لاثنين منهم فقط ، فلا بدَّ أن يُفرق بين الكلامين ، ويُميّز بين الطريقتين .

ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشّعر ونقدِّه ، لو تصفّحنا ديوان أبي تمام ، فوجدناه قد كتب في أثناءه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره ، لعرفنا بالذوق

مُبَايِنَتِها لشِعْرِ أَبِي قَاتِلَةِ وَنَفْسِهِ، وطِرِيقِهِ وَمَذَهِبِهِ فِي الْقَرِيبِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ بِهَذَا الشَّأْنِ حَذَفُوا مِنْ شِعْرِهِ قَصَائِدَ كَثِيرَةً مُنْحَوَّلَةً إِلَيْهِ، لِمُبَايِنَتِهِ لِمَذَهِبِهِ فِي الشِّعْرِ، وَكَذَلِكَ حَذَفُوا مِنْ شِعْرِ أَبِي نُوَاسِ شَيْئاً كَثِيرًا؛ لِمَا ظَهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْفَاظِمِ، وَلَا مِنْ شِعْرِهِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمَا مِنَ الشِّعْرَاءِ، وَلَمْ يَعْتَمِدُوا فِي ذَلِكَ إِلَّا عَلَى الدُّوْقَةِ خَاصَّةً؟

وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ (نهج البلاغة) وَجَدْتَهُ كُلَّهُ مَاءً وَاحِدَّاً، وَنَفَسًا وَاحِدَّاً، وَأَسْلُوبًا وَاحِدَّاً، كَالْجَسْمِ البَسيِطِ الَّذِي لَيْسَ بَعْضُ مِنْ أَبْعَاضِهِ مُخَالِفًا لِبَاقِي الْأَبْعَاضِ فِي الْمَاهِيَّةِ، وَكَالْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، أَوْلَهُ كَأَوْسِطِهِ، وَأَوْسِطُهُ كَآخِرِهِ، وَكُلَّ سُورَةٍ مِنْهُ، وَكُلَّ آيَةٍ مَمَاثِلَةٌ فِي الْمَأْخُذِ وَالْمَذَهَبِ وَالفنِّ وَالطَّرِيقِ وَالنَّظَمِ لِبَاقِي الْآيَاتِ وَالسُّورِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُ (نهج البلاغة) مُنْحَوَّلًا وَبَعْضُهُ صَحِيحًا، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَقَدْ ظَهَرَ لَكَ بِهَذَا الْبَرهَانِ الْواضِحِ ضَلَالُ مَنْ زَعمَ أَنَّ هَذَا الْكِتَابُ أَوْ بَعْضُهُ مُنْحَوَّلٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١).

هذا، وقد أصدر الشيخ عبد الزهراء الخطيب كتاباً مفصلاً في تحقيق نصوص نهج البلاغة، وإحصاء مصادرها، في أربعة مجلدات - وأسماؤه: «مصادر نهج البلاغة وأسانيده» وقد استوفى فيه الكثير مما يتعطش له الباحثون.

بعد هذه المقدمة التوثيقية حول (نهج البلاغة) وإثبات نسبته إلى الإمام عليه السلام فلتكن لنا جولة في ربوعه، لنقتطف منها ما ذكره الإمام عليه السلام حول حقه في الإمامة.

وقد انتخبنا عشر فقرات من كلامه عليه السلام في هذا الكتاب،

ووضعنها في قسمين:

القسم الأول : في معرفة الإمام وال الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله

(١) شرح نهج البلاغة ١٠ : ١٢٧ - ١٢٩.

أصحاب الحق يتكلّمون ١٦١
وسلم .

ومن ذلك :

١ - قوله - وهو يصف عترة النبي - مخاطباً الناس ^(١) :

« فأين تذهبون ؟

وأني تُوفكون ^(٢) ! والأعلام ^(٣) قائمة ، والآيات واضحة ، والمنار منصوبة ،
فأين يُتاه بكم ! وكيف تعمهون ^(٤) وبينكم عترة نبيكم ؟ !
وهم أزمة الحق ، وأعلام الدين ، وألسنة الصدق !
فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن .
وردوهم ورود الهميم العطاش ^(٥) .

أيها الناس، خذوها عن خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إنّه يموت
من مات مَنَا ، وليس بميّت ، وبيلي من بلي مَنَا وليس ببالي .
فلا تقولوا بها لا تعرفون ، فإنّ أكثر الحق في ماتنكرون ..
واعذرموا من لا حجّة لكم عليه ، وهو أنا ..

ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر ، وأترك فيكم الثقل الأصغر ^{(٦) ؟ !}
وفي شرح ابن أبي الحميد : الثقل الأكبر هو القرآن . وقوله : « أترك فيكم
الثقل الأصغر » يعني الحسن والحسين عليهما السلام .

- فهل سمعت بكلام أعجب من هذا ، أم بحجة أبلغ ؟

(١) في كتاب الدكتور صبحي الصالح : المخطبة ٨٧ ص ١١٩ تحت عنوان « عترة النبي » .

(٢) تُوفكون : تُغلبون وتُصرفون .

(٣) الأعلام : الدلال على الحق من معجزات ونحوها .

(٤) تعمهون : تتحيرون .

(٥) ردوهم ورود الهميم العطاش : أي هلموا إلى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الإبل العطشى إلى الماء .

(٦) الثقل (هنا) : يعني النفيض من كل شيء ، وفي الحديث عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : « تركت فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي » أي النفيضين .

وأمير المؤمنين علي عليه السلام يجمع فيه أشد الفاظ التعجب والاستنكار والدهشة من قوم أعرضوا عن اتباع أهل بيته صلى الله عليه واله وسلم ، فيقول :

« أين تذهبون ؟ !

« وأنْ تُوفِّكُونَ ؟ ! والأعلام قائمة . . . والآيات واضحة . . . والمنار منصوبة ! فأين يتأهّبكم » ؟ !

وكيف تعمهون ، وبينكم عترة نبّيكم ؟ !

وهل بعد هذا يبحث المسلم عن دليل في أن الإمامة فيهم عليهم السلام ؟ !

٢ - احتجاجه عليه السلام ، وهو يقول :

« أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ، كذباً وبغياناً علينا ، أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ؟ !
بنا يُستطعى الهدى ، ويُستجلِّي العمى . . .
إن الأئمة من قريش ، غرسوا في هذا البطن من هاشم ، لا تصلح على سواهم ، ولا تصلح الولاة من غيرهم »^(١)

وهكذا يستخلص القول بأوضح بيان ، بعد ذلك الاستنكار اللاذع على من زعم أن له الفضل عليهم ، ثم يوجز الأمر باختصاص الإمامة فيهم عليهم السلام ، فلا هي تصلح لسواهם ، ولا يصلح سواهم لها !

٣ - كلامه عليه السلام في الناس شارحاً سبيلاً النجاة^(٢) :

« انظروا أهل بيته نبّيكم ، فالزموا سَمْتهم^(٣) ، واتبعوا أثرهم ، فلن يخرجوكم من هدى ، ولن يعيدهوكم في ردى .

(١) المصدر : ص ٢٠١ بعنوان : « فضل أهل البيت ». القسم الثاني من الخطبة رقم : ١٤٤ .

(٢) ص ١٤٣ بعنوان « أصحاب رسول الله » نقلنا أولاًها هنا ، وأخرها في وصف الصحابة سيأتي في محله .

(٣) سَمْتهم : طريقهم أو حالمهم أو قصدهم .

فإنْ لَبَدُوا فَالْبَدُوا^(١) ، وإنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا .
وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضْلُّوا .. .
وَلَا تَأْخُرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا .. .» .

وهذا تفسير واضح لحديثي : سفينة النجاة ، ونجوم الأمان المتقدمين ، أو هو كلام مقتبس منها .

٤ - ومن خطبة له عليه السلام في رسول الله وأهل بيته^(٢) :
وفيها : « ونشهد أن لا إله غيره ، وأنَّ مُحَمَّداً عبده ورسوله ، أرسله بأمره
صادعاً ، وبذكره ناطقاً ، فادى أميناً ، ومضى رشيداً ..
وخلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ ..

مَنْ تَقْدَمَهَا مَرَقٌ^(٣) ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقٌ ، وَمَنْ لَزَمَهَا حَقٌ .. .
أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَثَلَ نَجُومِ السَّمَاءِ ، إِذَا خَوَى
نجم^(٤) طَلَعَ نَجْمٌ » .

وهذه أيضاً مطابقة تماماً لحديثي رسول الله في النجاة والأمان .
وما روي عنه عليه السلام في مثل هذا المعنى قوله في خطبة طويلة ، منها :
« فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ؟ بَلْ أَيْنَ تَذَهَّبُونَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ؟ !
إِنَّا سِنُّخُ أَصْلَابِ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ ، وَكَمَا نَجَا فِي هَاتِيكَ مَنْ نَجَا يَنْجُو فِي
هَذِهِ مَنْ يَنْجُو ، وَيَلِ رَهِينٌ لَمْ تَخْلُفْ عَنْهُمْ .

وَإِنِّي فِيْكُمْ كَالْكَهْفِ لِأَهْلِ الْكَهْفِ ، وَإِنِّي فِيْكُمْ بَابِ حَظَّةٍ مَنْ دَخَلَ مِنْهُ
نَجَا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ هَلَكَ ، حَجَّةٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : إِنِّي قَدْ

(١) لبد : أقام ، أي إن أقاموا فأقيموا .

(٢) المصدر : بهذا العنوان ص : ١٤٥ ، الخطبة رقم : ١٠٠ .

(٣) مرق : خرج عن الدين .

(٤) خوى نجم : أي غاب .

تركت بين أظهركم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبداً : كتاب الله ، وعترتي
أهل بيتي »^(١) .

القسم الثاني : في التصريح بحقّه في خلافة رسول الله ، ودفعهم إياه عن
هذا الحقّ ، ومطالبته به .
ومن ذلك :

١ - من خطبة له بعد انصرافه من صفين ، فيها : « لا يُقاس بآل محمد
صلّى الله عليه وآلله وسلم من هذه الأمة أحد .
ولا يُسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً .
وهم أساس الدين ، وعماد اليقين ..
إليهم يفيء الغالي ، وفهم يلحق التالي ،
ولهم خصائص حقّ الولاية ، وفيهم الوصيّة والوراثة . . .
الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله ، ونُقل إلى منتقله »^(٢) .

وهو كلام أوضح مما يحتاج معه إلى تفسير ، ولا يمكن أن يقوم معه تأويل
من تلك التأويلات التي سلّكها بعض من ذكرنا .

وفيها سبأّي من كلامه عليه السلام صراحة أكثر ، ووضع لكلّ شيء في
حمله ، في بيان يعوض بعضه ببعضًا ، فلا يدع أدنى منفذ لشكّ أو جدال .

٢ - قوله عليه السلام لبعض من أشار عليه الا يتبع طلحة والزبير ، في
كلام ، آخره : « فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي ، مُستأثراً علىَ ، منذ قبض
الله نبيه صلّى الله عليه وآلله وسلم ، حتى يوم الناس هذا ! »^(٣) .

(١) تاريخ العقوبي ٢ : ٢١٢ - ٢١١ .

(٢) شرح صبحي الصالح : ٤٧ ، القسم الأخير من الخطبة رقم : ٢ .

(٣) المصدر : ٥٣ - الخطبة ٦ .

٣ - ومرةً أخرى^(١) ، في جوابه لبعض أصحابه ، وقد سأله قائلًا :
 كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام ، وأنتم أحق به ؟
 فقال عليه السلام : « يا أخابني أسد ، إنك لقلق الوضين^(٢) ، تُرسل في
 غير سَدَد ، ولك بعد ذمامة الصر، وحق المسألة ، وقد استعملت ، فاعلم :
 أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نَسْبًا ، والأشدُون برسول
 الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَوْطًا^(٣) ، فإنّها كانت أثرة^(٤) شَحَّتْ عليها نفوس
 قوم ، وسُخِّنَتْ عنها نفوس آخرين .
 والحاكمُ اللهُ ، والمعودُ إليه القيمة .

وَدَعْ عنكَ نَهْبًا صِيحَ في حَجَرَاتِهِ ولكنْ حَدِيثُ الرَّواحِلِ
 وهلْمُ الخطَبَ في ابن أبي سفيان ، فلقد أضحكني الدهر بعد إبكائه .. »
 ٤ - وفي مناظرِ له مع بعض الصحابة ، يسجل عليه السلام خلاصتها ،
 بقوله :

« وقد قال قائل : إنك على هذا الأمر - يا بن أبي طالب - لحرير !
 فقلتُ : بل أنتم - والله - لأحرص ، وأبعد ، وأنا أخص وأقرب .
 وإنما طلبت حقّاً لي ، وأنتم تحولون بيبي وبيته ، وتضربون وجهي دونه .
 فلِمَ قَرَعْتُهُ بالحجّة في الملا حاضرين ، هَبَ كَانَهُ بُهْتَ لا يدرِي ما يجيئني
 به » !

ثم يقول عليه السلام موافقاً كلامه :

(١) المصدر : ٢٣١ الخطبة رقم ١٦٢ .

(٢) الوضين : حزام عريض يُسند به الرحل على البعير ، فإذا قلق اضطرب الرحل فقلّ ثبات الجمل في سيره .

(٣) النَّوْطُ : التعلق والالتصاق .

(٤) الأثرة : ضد الإيثار ، وهي احتكار الشيء دون مستحقه .

« اللهم إني أستعديك على قريش ، ومن أعادهم ،
فإنهم قطعوا رحمي ،
وصغروا عظيم منزلتي ،
وأجمعوا على منازعي أمراً هو لي ، ثم قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه ،
وفي الحق أن تتركه »^(١) .

أيصح بعد هذا - يا أخي - أن نمضي وراء تأويل المتأولين ، وندع كلام
أمير المؤمنين ، وإمام المتقين ؟ !

٥ - وفي أمر الخلافة أيضاً ، يقول عليه السلام :
« واعجباه ، تكون الخلافة بالصحابة والقرابة ؟ ». .

وروي له شعر في هذا المعنى :

فإن كنت بالشوري ملكت أمرورهم
فكيف بهذا والمشيرون غيب ؟ !
وإن كنت بالقربى حجت خصيمهم
فغيرك أولى بالنبي وأقرب^(٢)

(١) المصدر : ٢٤٦ - الخطبة - ١٧٢ .

(٢) المصدر : ٥٠٢ قسم الحكم ، الرقم - ١٩٠ .

هكذا أورد هذا النص هنا ، ووافقه محمد عبدة في شرحه ١٩٥:٣٤٥ برقم ١٩٠ ، وابن ميثم البحرياني
في الشرح الكبير ج ٥ : ٣٤١ برقم ١٧٦ ، وجاء عند غيرهم هكذا : « واعجباه ، تكون الخلافة
بالصحابة ولا تكون بالصحابه والقرابة ! » كما في نهج البلاغة بشرح القطب الرواندي ٣ : ٣٣١ ،
ويشرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٤١٦ / ١٨٥ ، وبتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢ : ٣٤٩ / ١٨٥ .
ومصادر نهج البلاغة ٤ : ١٥٢ / ١٩٠ ، والشرح الوسيط لابن ميثم - اختيار صباح السالكين -
٦٢٣ / ٦٢٦ ، وفي خصائص الأنمة للشريف الرضي : ١١١ ، وغير الحكم للأمدي ٢ : ٣٠٦ / ٦٤ .
والنسخة الخطية المكتوبة سنة ٤٩٤ الوجه ٢٧٨ وهي غير النسخ التي اعتمدتها أبو الفضل إبراهيم .

٦ - وبعد ، فإنَّ كُلَّ ما تقدَّم يبسطه الإمام عليه السلام في واحدة من نفائس خطبه ، وهي الخطبة المسماة بـ « الشِّقْشِيقِيَّةُ » وتشمل على الشكوى من أمر الخلافة ، ثم ترجيح صبره عنها ، ثم مبايعة الناس له^(١) ، قال فيها :

« أما والله لقد تَقْمَصَها^(٢) فلان وإنَّه ليعلم أنَّ محلي منها محلَّ القطب من الرحى ، ينحدر عنِّي السيلُ ، ولا يرقى إلى الطيرِ .
فسدلتُ دونها ثواباً ، وطويتُ عنها كَشحًا .
وطفتُ أرثي بين : أنَّ أصولَ بَيْدِ جَذَاءَ^(٣) ،

أو أصبر على طَخِيَّة^(٤) عمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ،

→
وحديثه عليه السلام هذا في النثر والنظم موجه إلى أبي بكر وعمر ، فعلى الوجه الأخير ، قال ابن أبي الحميد : أما النثر فإلى عمر توجيهه ، لأنَّ أبي بكر لما قال لعمر - في السقيفة - امدد يده ، وزاد عمر : أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها ، فهلا سلمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك ، وزاد عليه بالقرابة ! وأما النظم فموجه إلى أبي بكر لأنَّه حاجَ الأنصار في السقيفة فقال : نحن عترة رسول الله صلى الله عليه والله وسلم ، فلما بويغ احتجَ على الناس بالبيعة وأتها صدرت عن أهل الحل والعقد . فقال عليه السلام : أما احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله صلى الله عليه والله وسلم فغيرك أقرب إليك منك ، وأما احتجاجك برضاء الجماعة بك ، فقد كان قوم من جلة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت ؟

وأما على الوجه الأول ، فهو عليه السلام يستنكر أن تكون الصحابة والقرابة شرطاً كافياً للخلافة ، بل لا بد من مرجع حقيقي ، كالنص من النبي صلى الله عليه والله وسلم والأهلية لهذا الامر .
وأما النظم فسوف يكون فيه هنا مزيداً من الاستنكار ، فهو مع استنكاره الاحتجاج بالصحابة والقرابة في هذا الأمر ، يقول إنها لم يتَّأْبِي بكر بل إنها جيئاً عنده عليه السلام أتم وأكمل .
وأيَّاً كان النص الصادر عنه عليه السلام فهو نصٌّ صريح على حقه في الخلافة ، وأنَّه عليه السلام أولى بها من غيره .

(١) هكذا وصفها في المصدر : ٤٨ الخطبة رقم - ٣ - .

(٢) تَقْمَصَها : لبسها كالقميص .

(٣) الجَذَاءَ : المقطوعة .

(٤) طَخِيَّة : ظلمة .

ويُكْدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه !

فرأيْتُ أن الصبر على هاتا أحجى .

فصبرت ، وفي العين قذى ، وفي الملحق شجاً ، أرى تراثي ^(١) نهباً .

حتى مضى الأول لسبيله ، فأدلى بها إلى فلان بعده » .

ثم قتل - عليه السلام - بقول الأعشى :

شَانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَيَانِ أخْيَ جَابِرِ

« فيا عجبا !! بَيْنَا هو يستقبلها ^(٢) في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته !

لَشَدَّمَا تَشَطَّرَا ضَرَعَيْهَا ^(٣) .

فصيرها في حوزة خشناه ، يغلظ كلّمها ^(٤) ، ويختسّ مسها ، ويكثر العثار ^(٥) فيها ، والاعتذار منها .

فصاحبها كراكب الصعبه ، إنْ أشنق لها خرم ^(٦) ، وإنْ أسلس لها ت quam ^(٧) ،

فَعُنَيَ الناس - لعمر الله - بخط ^(٨) وشمس ^(٩) ، وتلوين ^(٩) واعتراض ^(٩) .

فصبرت ، على طول المدة ، وشدة المحنـة .

حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة زعم أني أحدهم !

(١) التراث : الميراث .

(٢) يستقبلها : يطلب إففاء منها - وهو إشارة إلى قول أبي بكر : أقيلوني أقيلوني ..

(٣) تشطرا ضرعيها : اقتساها ، فأخذ كل منها شطراً .

(٤) كلّمها : جرحها ، كأنه يقول : خشونتها تجرح جرحًا غليظاً .

(٥) العثار : السقوط والكبوة .

(٦) أشنق البعير : كفه بزمامه ، وخرم : قطع .

(٧) أسلس : أرخي ، وتقحم : رمى بنفسه في القحمة أي الهمكة .

(٨) خط : سير على غير هدى ، والشمس : إباء الفرس عن الركوب .

(٩) الاعتراض : السير على غير خط مستقيم ، كأنه يسير عرضًا في حال سيره طولاً .

فيما لله وللشوري ، متى اعترضَ الريبُ فيَ مع الأول منهم حتى صرُّ
اقرَنَ إلى هذه النظائر !

لكني أسفتُ^(١) إذ أسفوا ، وطرتُ إذ طاروا .

فصغا رجلٌ منهم لضغنه^(٢) ، ومال الآخر لصهره ، مع هنٌ وهن^(٣) .

إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه^(٤) بين نشيله^(٥) ومعتليه^(٦) .

وقام معه بنو أبيه ، يخضمون^(٧) مال الله خضمة الإبل نبطة الربيع ، إلى
أن انتكَّ عليه فتلُه ، وأجهزَ عليه عملُه ، وكَبَّتْ به بطنه .

فها راعي إِلَّا والناس كُرِفَ الضُّبُّ إِلَيَّ ، ينتالون علَيَّ من كُلِّ جانب ..
فلمَا نهضتْ بالأمر ، نَكَثَتْ طائفة ..

ومرَّفتْ أخرى ..

وقَسَطَ آخرون ،

كأنَّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فسادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٨) !

بلى والله ، لقد سمعوها ووعوها ، ولكنَّهم حلَّيتُ الدُّنيا في أعينهم ، وراقبهم

زِرْجُها ... » .

إِلَيْ آخر خطبته ، حتَّى قام إِلَيْهِ رجلٌ من أَهْلِ السُّوَادِ فتناوله كتاباً ، فقال

(١) أسف الطائر : دنا من الأرض .

(٢) صغا : مال . والضغن : الضغينة والمحقد .

(٣) مع هنٌ وهنٌ : أي أغراض أخرى أكره ذكرها .

(٤) نافجاً حضنيه : رافعاً لها . والمحضن : ما بين الإبط والكشح ، يقال للمتكبر : جاء نافجاً حضنيه .

(٥) النشيل : الروث وقدر الدواب .

(٦) المعتلي : موضع العلف .

(٧) المخضم : أكل الشيء الربط .

(٨) القصص : ٨٣ .

له ابن عباس : يا أمير المؤمنين ، لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت .
فقال - عليه السلام - : « هيهات - يابن عباس - تلك شِقْشَقَةُ هَدَرْتُ ،
ثُمَّ قَرَّتْ » .

قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قطٌ كأسفني على هذا الكلام
الآن يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد .

فقل للمتأولين : هيهات ألا تخضعوا ، وتقروا بكونه عليه السلام موتناً
بحقه في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، مجتهداً في بيان ذلك في شتى
المناسبات ، وإنما كان سكوته - حيناً - على مضض :
« فصبرتُ ، وفي العين قذى ، وفي الملح شجأً !

وذلك بعد أن لم يجد سبيلاً لانتزاع حقه :
« وطبققتُ أرثي بين أن أصول بيدِ جذاء ، أو أصبر على طخيةِ عمياء » !
وقد قال عليه السلام في مناسبة أخرى ، يصف حاله قبل أن يباع
لأحد^(١) :

« فنظرتُ ، فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي ،
فضنتُ بهم عن الموت ،
وأغضبتُ على القذى ،
وشربتُ على الشجا ،

وصبرتُ على أخذ الكظم^(٢) ، وعلى أمر من طעם العلقم » .

- فهل يمكن أن يؤتى ببيان أوضح من هذا ؟
أم مع بيان كهذا يذهب المرء هنا وهناك بحثاً عن تأويل يلوذ وراءه ؟ !

(١) المصدر : ٦٨ الفقرة الثانية من الخطبة رقم - ٢٦ - .

(٢) الكظم : خرج النفس ، والمراد أنه صبر على الاختناق .

كلاً ، لا مناص من الاعتراف ، بل والاعتقاد بحقه الذي صرّح فيه عليه السلام
غير مرّة .

وكذا فلا مفرّ - من جهة أخرى - من حصر خلافة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم به وحده ، لا غير .
وإنما « تقمّصها فلان » !

« ثمّ عقد بها لآخر بعد وفاته ، وشنّدّما تشطّرا ضرعيها » !

« ثمّ قام ثالث القوم نافجاً حضنيه » .

فما لي بعد هذا لا أذعن للحقيقة !

وأيّ شيء أكون به أشدّ فخرًا من اتّباع الحقّ بعد معرفته ؟

وهل الدين غير هذا ؟

أم أمرنا نحن بغيره ؟

« ربّ اشرح لي صدري » .

ثُمَّ انزوئِي الحقُّ !

وراء السقيفة:

بأي حقٍّ كان ؟
وكيف كانت البيعة ؟

وبالخصوص ، كيف تعاملوا مع أهل بيت النبي المصطفى لأجل البيعة ؟
هذا ما يتناوله - بإيجاز - هذا الفصل . . .
فمما لا يغيب على من لديه أدنى اطلاع على التاريخ الإسلامي أنَّ بيعة السقيفة قد تمت ، ولما يُجهَّز بعد جثمان رسول الله الظاهر . . .
وفي ساعة كان الإمام علي ، وبنو هاشم ، وجمع من المهاجرين والأنصار
ينهمكون بهذا الواجب . . . !
وجاء البراء بن عازب ، فضرب الباب على بني هاشم ، وقال : يا معاشر
بني هاشم بوييع أبو بكر !
فقال بعضهم : ما كان المسلمون يُحدِّثون حدَّثَ نجيب عنه ، ونحن أولى
بمحمد .
فقال العباس : فعلوها وربَّ الكعبة .

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في عليٍ^(١) .

وتختلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ، ومالوا مع عليٍ بن أبي طالب ، منهم :

العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوّام ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمران ابن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب^(٢) .

ثم إنَّ أبا بكر تفَقَّدَ قوماً تخلَّفُوا عن بيعته عند عليٍّ كرم الله وجهه ، فبعث إليهم عمر ، فجاء فناداًهم وهم في دار عليٍّ ، فأبوا أن يخرجوا ، فدعوا بالخطب ! وقال : والذي نفس عمر بيده ، لتخرجنَّ أو لاحرقنَّها على من فيها .

فقيل له : يا أبا حفص ، إنَّ فيها فاطمة !

فقال : وإنَّ !!!

فأقى عمر أبا بكر ، فقال له : ألا تأخذ هذا المخالف عنك بالبيعة ؟
فقال أبو بكر لقنفذ - وهو مولى له - : اذهب ، فادْعُ لي عليًّا .

فذهب إلى عليٍّ ، فقال له - عليٍّ - : ما حاجتك ؟

فقال : يدعوك خليفة رسول الله .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ ، ابن أبي الحديد ٦ : ٢١ ، الاستيعاب - بهامش الإصابة - ٣ : ٥٥٠ - ترجمة النعمان بن العجلان -

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ ، تاريخ أبي الفداء ٢ : ٦٣ ، ابن أبي الحديد ٢ : ٤٩ ، ٥٦ و ٦١ ، وزاد في ١ : ٢٢٠ حذيفة ، وابن التيهان ، وعبادة بن الصامت ، وتاريخ الطبرى ٣ : ١٩٨ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٣٣١ ، ٣٢٥ ، تاريخ الخلفاء : ٥١ ولم يذكروا الأسماء .

(٣) تاريخ الطبرى ٣ : ١٩٨ ، الإمامة والسياسة ١ : ١٢ ، العقد الفريد ٥ : ١٢ ، ابن أبي الحديد ٦ : ٥٦ ، ٤٨ : ٢٠ ، ١٤٧ : ٢٠ ، مروج الذهب ٣ : ٧٧ ، تاريخ أبي الفداء ٢ : ٦٤ ، أعلام النساء ٤ : ١١٤ باختلاف في اللفظ .

قال علي : « لسرير ما كذبتم على رسول الله ! »

فرجع ، فأبلغ أبا بكر الرسالة ، فبكى أبو بكر طويلاً !

قال عمر - الثانية - : لا تمهل هذا المخالف عنك في البيعة .

قال أبو بكر لقنفذ : عد إليه ، فقل له : خليفة رسول الله يدعوك لتباعي .

فجاءه قنفذ ، فأدى ما أمر به ، فرفع عليّ صوته ، فقال : « سبحان الله ،

لقد أدعى ما ليس له » .

فرجع قنفذ ، فأبلغ الرسالة . فبكى أبو بكر طويلاً ..

ثم قام عمر ، فمشي معه جماعة ، حتى أتوا باب فاطمة ، فدققاوا الباب .

فلما سمعت أصواتهم ، نادت بأعلى صوتها : « يا أبت ، يا رسول الله ،

ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب ، وابن أبي قحافة ؟ ! » .

فلما سمع القوم صوتها ، وبكاءها ، انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم

تنصدع ، وأكبادهم تنفطر . وبقي عمر ! ومعه قوم !

« وبقي عمر ، ومعه قوم » .

فأخرجوا علياً ، فمضوا به إلى أبي بكر ..

قال له : بaidu .

قال : « إن أنا لم أفعل فمَ ؟ »

قالوا : إذن والله الذي لا إله إلا هو ، نضرب عنقك !!

قال : « إذن تقتلون عبد الله ، وأخا رسوله » .

قال عمر : أما عبد الله فنعم ، وأاماً أخو رسوله فلا !!

وأبو بكر ساكت !

قال له عمر : ألا تأمر فيه بأمرك ؟

قال : لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه !!

فللحق عليّ بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصبح ويبكي ،

وينادي : « أَبْنَ أُمًّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي »^(١) .
 إقرأ إلى هنا وتعجب ، فما أعظمها من جرأة !
 مرّة . . جرأة على بيت عليّ وفاطمة ، وإضرام النار حوله ، أو هدمه كما
 قال آخرون^(٢) !

تلك الجرأة التي سجلها حافظ إبراهيم - شاعر النيل - في أبيات يعجب
 قارئها مرتين : مرّة من هول المشهد ، ومرّة من موقف الإنسان الشاعر تجاهه ،
 حيث يقول في قصidته العُمرية :

أَكْرَمْ بِسَامِعِهَا أَعْظَمْ بِمُلْقِيهَا	وَقَوْلَةٌ لِعَلَىٰ قَالَهَا عَمْرُ
إِنْ لَمْ تُبَايعْ ، وَبَنْتَ الْمَصْطَفَى فِيهَا !!	حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أُبْقِي عَلَيْكَ بَهَا
مَا كَانَ غَيْرَ أَبِي حَفْصٍ بِقَائِلَهَا	أَمَامَ فَارِسَ عَدْنَانٍ وَحَامِيهَا !!! ^(٣)

بل أعظم بها من مصيبة ، واعجب لها من جرأة .

ومرّة :

في إنكار حقيقة لا تخفي على أحد من المسلمين ، بل حتى المشرك والمنافق كان يعلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قد آخى علياً ، وقال له : « أنت أخي في الدنيا والآخرة »^(٤) .

(١) الإمامة والسياسة : ١٢ - ١٣ ، ابن أبي الحديد ٢: ٥٦ و ٦: ١١ ، الفتوح لابن أثيم ١: ١٣ ، أعلام النساء ٤: ١١٤ - ١١٥ ، تاريخ اليعقوبي - مختصرًا - ٢: ١٢٦ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٦ .

(٣) ديوان حافظ إبراهيم ١: ٨٢ « ط ١٩٣٧ ». .

(٤) انظر : سنن الترمذى ٥: ٦٣٦ / ٣٧٢٠ ، مسنّد أحمد ١: ٢٣٠ ، مصاييح السنة ٤: ٨٧٣ / ٤٧٦٩ ، المستدرك ٣: ١٤ ، جامع الأصول ٩: ٤٦٨ / ٦٤٧٥ ، أسد الغابة ٢: ٢٢١ و ٤: ٢٩ ، الاستيعاب ٣: ٣٥ ، الطبقات الكبرى ٣: ٢٢ ، بجمع الروايد ٩: ١١٢ ، ابن

فكيف أنكرها من كان علمه بها علم اليقين ؟ !
 إقرأ إلى جنب هذا ما أوصى به رسول الله عليه ألياً، بقوله صلى الله عليه
 والله وسلم لعلي: «أنت أخي ، وأنا أخوك ، فإن ذاكرك أحد فقل : أنا عبد الله
 وأخو رسوله ، لا يدعها بعده إلا كاذب »^(١) .

ثم هل تعجب من ينكر حقيقة جلية كهذه إن هو أنكر ما هو أخطر منها ،
 كأمر الولاية ؟ الولاية التي أقر بها فيها بعد حتى عمرو بن العاص وهو يقود
 الحرب على علي في صفين ! إذ قدم على معاوية رجل من همدان ، يقال له (برد)
 فسمع غمراً يقع في علي عليه السلام ، فقال له : يا عمرو ، إن أشياخنا سمعوا
 رسول الله صلى الله عليه والله وسلم يقول : «من كنت مولاه فعلي مولاه» فحق
 ذلك ، أم باطل ؟

فقال عمرو : حق ، وأنا أزيدك : أنه ليس أحد من صحابة رسول الله له
 مناقب مثل مناقب علي^(٢) .
 ومرة :

في الجرأة على قتل علي بن أبي طالب ! وهو هو ، وهم أدرى بمقامه !
 ، ، إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنفك ، ،
 ، وأبو بكر ساكت ، فقال عمر : ألا تأمر فيه بأمرك ؟
 فقال : لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه ، ،
 ترى . إن لم تكن فاطمة آنذاك إلى جنبه ، فماذا ؟ !

→ أبي الحميد ٦: ١٦٧ ، الصواعق المحرقة : ١٢٢ ، تاريخ الخلفاء : ١٣٥ ، الترجمة لابن عساكر
 ١: ١١٧ - ١٤١ - ١٥٠ ، البداية والنهاية ٧: ٣٤٨ ، كنز العمال ١١ / ٣٢٨٧٩ .

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ٢: ٦١٧ / ١٠٥٥ ، وسبط ابن الجوزي في تذكرة
 المغواص : ٢٢ وأثبت صحته .

(٢) الإمامة والسياسة : ١٠٩ .

أقول هذا ، وأترك الحكم لكم ..
ثم لماذا كان عمر وراء كل ذلك ؟

الجواب تعرفه عن أبي السبطين عليه السلام ، في القصة ذاتها :
إذ يقول : ثم إن علياً كرم الله وجهه أتي به إلى أبي بكر ، وهو يقول :
« أنا عبد الله ، وأخو رسوله ». .
فقيل له : بابع أبي بكر .

فقال : « أنا أحق بهذا الأمر منكم ، لا أباعكم وأنتم أولى بالبيعة لي ،
أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتجتم عليهم بالقرابة من النبي صلى الله
عليه وآلله وسلم ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ؟ !

« نحن أولى برسول الله حياً وميتاً ، فأنصفونا إن كنتم تومنون ، وإلا
فيوءوا بالظلم وأنتم تعلمون ». .

فقال له عمر : إنك لست متروكاً حتى تباع .

فقال له علي : « إحلب حلياً لك شطره ، واسدد له اليوم أمره ، يردهه
عليك غداً »^(١) .

(١) الإمامة والسياسة : ١١ ، ابن أبي الحديد ٦ : ١١ ، والفتح ١ : ١٣ باختلاف يسير .

وَمَعَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ :

فَبَعْدَمَا سَمِعَتْ بِهَا حَلَّ بِسِيدَةِ النِّسَاءِ ، مِنْ إِضْرَامِ النَّارِ ، وَاقْتِحَامِ الدَّارِ
وَإِيذَاءِ عَلَيْهَا ، وَإِفْزَاعِ بَنِيهَا بَيْنِ يَدِيهَا ...

وَصَرَخَتْهَا وَتَظَلَّلَهَا : « يَا أُبْتَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاذَا لَقِينَا بَعْدَكَ مِنْ ابْنِ
الْخَطَابِ ، وَابْنِ أَبِي قَحَافَةَ » ! ..

بَعْدَ ذَاكَ ، كَانَتْ قَضِيَّةُ فَدْكَ ، وَمِيراثُهَا مِنْ أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ^(١) ..

قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ : وَأَتَتْهُ فَاطِمَةٌ تَطْلُبُ مِيراثَهَا مِنْ أَبِيهَا ، فَقَالَ لَهَا : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ : إِنَّا مَعْشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ ، مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةً .

(١) جاء عن عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَبِي سعيدِ الْخَدْرِيِّ ، أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَآتَ ذَا^٢ الْقَرِبَى حَقَّهُ » دَعَا رَسُولُ اللَّهِ فَاطِمَةَ فَأَعْطَاهَا فَدْكَ .

أَوْرَدَهُ السِّيَوطِيُّ فِي الْدَرِّ المُتَنَوِّرِ ٥ : ٢٧٣ - ٢٧٤ ، قَالَ : أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ ، وَأَبُو يَعْلَى ، وَابْنُ أَبِي حَاتَمٍ ،
وَابْنُ مَرْدُوِيَّهُ . أَوْرَدَهُ الْمُسْكَانِيُّ فِي شَوَّاهِدِ التَّنْزِيلِ ١ : ٣٣٨ مِنْ سِيَّعَةِ طَرَقٍ ، وَالْقَنْدُوزِيُّ الْخَنْفِيُّ فِي بِنَابِعِ
الْمُوَدَّةِ : ١١٩ ، وَالْهَيْثِمِيُّ فِي جَمِيعِ الزَّوَائِدِ ٧ : ٤٩ ، وَقَالَ : فِيهِ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيِّ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ مَتَرُوكٌ .. وَالصَّحِيفَ:
أَنَّ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ كَانَ صَدُوقًا ، هَكُذا قَالَ السُّقْلَانِيُّ فِي تَرْجِمَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَمَاهُ بِالْعَلَّةِ الَّتِي لَأَجْلَهَا قَالُوا مَتَرُوكٌ ،
فَقَالَ : كَانَ شَيْعِيًّا ! .. (تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ ٢ : ٢٤ / ٢١٦) . هَذَا وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ عَنْ غَيْرِهِ أَيْضًا .

قالت : أفي الله أن ترث أباك ، ولا أرث أبي ؟
 أما قال رسول الله : « المرأة يُحفظ في ولده »^(١) ؟ !
 ورغم أنها عليها السلام قد أشهدت علياً والعباس ، وأم أيمن على حقها
 في هذه الأرض^(٢) ، إلا أنَّ الأمر قد انتهى عند ذلك الحدّ ، ولم يتجدد له ذكر
 إلا بين أهله ، حتى رجعت إليهم في عهد عمر بن عبد العزيز ، ثم في عهد
 المؤمنون.

وقد ثبت عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب له إلى عامله على البصرة
 الصحابي عثمان بن حنيف الأنصاري ، قوله : « بلى ، كانت في أيدينا فدك من
 كل ما أظللته النساء ، فشحثت عليها نفوس قوم ، وساخت عنها نفوس آخرين ،
 ونعم الحكم الله ». .

قال ابن أبي الحديد : شحثت أي بخلت ، وساخت أي سامحت وأغضبت ،
 وليس يعني هنا بالسخاء إلا هذا ، لا السخاء الحقيقي ، لأنَّه عليه السلام
 وأهله لم يسمحوا بفدك إلا غصباً وقسراً^(٣) .

ثم ما زالت فاطمة عليها السلام غضبى عليها حتى توفيت^(٤) ..
 وحدث أنها جاء يوماً يلتمسان رضاها !

قالت لها : « نشدتكما الله ، ألم تسمعوا رسول الله يقول : رضا فاطمة من
 رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحببني ، ومن
 أرضي فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟ ». .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٧ ، الإمامة والسياسة : ١٤ ، أعلام النساء ٤ : ١١٨ ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٢ .

(٢) ألام علي ومتناونه للدكتور نوري جعفر : ٢١٦ ، وانظر ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٦ .

(٣) ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٠٨ .

(٤) صحيح البخاري ٨ : ٣/٢٦٦ ، وسيأتي ذكر المزيد من مصادره .

قالا : نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
قالت : « فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتاني وما أرضيتاني ، ولئن
لقيت النبي لاشكونكمَا إليه »^(١) .

ترى هل كان صلى الله عليه وآله وسلم يريد بقوله هذا لفاطمة أن
يمنحها من الدلال ما يمنحه الملوك لبنيتهم ؟

أم أراد أن يهبهما ما لا يناله غيرها من حطام الدنيا وزينتها ؟
أليس هو صلى الله عليه وآله وسلم الذي أبي لها أن تتّخذ خادمةً في بيتها ،
وأوصاها بدلاً من ذلك بهذه التسبيحات المعروفة بعد كل صلاة !
أم يكن صلى الله عليه وآله وسلم قد استنكر عليها عقداً كان نصيبها
من سهم الغنائم ، وقال لها : « نحن أهل البيت اختار الله لنا الآخرة » !

فإذا بقي من هذا الحديث الشريف « رضا فاطمة من رضاي » ونظائره
غير أنه صلى الله عليه وآله وسلم أراد من ذلك أن يبيّن لنا وجوه تعبدنا ، ومعالم
ديننا ، ويرسم لنا معالم الصراط المستقيم ، فوضع لنا معايير ومقاييس نميز من
خلالها الحق عن غيره ، ونلتزم وراءها سبيل النجاة ؟
وهذا هو معنى التعبد والطاعة والولاء ، أن نلتزم رضاه صلى الله عليه
وآله وسلم فيما أمرنا به ، فنلتزم رضا من كان رضا رسول الله في رضاه وسخط
رسول الله في سخطه .

والامر هنا هكذا تماماً ، وليس خلافاً شخصياً لنقف عنده على الحياد .
نعم ، إنه بيان وبرهان يهدينا إلى معرفة مواضع رضا رسول الله ، ومواضع
سخطه ، وفي أمر كهذا ليس هناك موضع للحياد .
ثم أرأيت أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد قال هذا الحديث ونظائره وهو

(١) الإمامه والسياسة : ١٣ ، أعلام النساء : ٤ : ١٢٣-١٢٤ .

لا يدرى ماذا سيجري بعده لفاطمة ؟ لقد أخبرها وزوجها عليها السلام بما سيصيبهما بعده من الأثرة والأذى ، وحتى وفاتهما^(١) . إذن قد قال ذلك وهو صلى الله عليه وأله وسلم يدرى بها سيحصل بعده لأهل بيته خاصة وكفى بها موعدة . وبعد فقد هجرته فاطمة عليها السلام فلم تكلمه حتى ماتت ، ودفنتها عليّ عليه السلام ليلاً ! ولم يؤذن بها أبا بكر ، وقد مكثت بعد النبي صلى الله عليه وأله وسلم ستة أشهر^(٢) .

قال البيهقي : فغضبت فاطمة ، وهجرت فاطمة حتي ماتت ، ودفنتها عليّ ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، قالت عائشة : فكان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عنه عند ذلك .

قال معمر : قلت للزهري : كم مكثت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وأله وسلم ؟

قال : ستة أشهر .

فقال رجل للزهري : فلم يبأيعه عليّ حتى ماتت فاطمة ؟

قال : ولا أحد من بنى هاشم^(٣) .

عقيدتها في الخلافة :

أما عقيدة الزهراء عليها السلام في الخلافة فتكشفها هذه الحادثة

(١) الاخبار في ذلك كثيرة جداً وسيأتي بعضها في محله ياذن الله .

(٢) المستدرك ٣ : ١٦٢ ، تاريخ المدينة ١ : ١١٠ ، تاريخ العقوبي ٢ : ١١٥ ، ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٨ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٣٠٠ ، ورواه البخاري في الصحيح ٥ : ٢٨٨ / ٢٥٦ - باب غزوة خير - ومسلم في صحيحه ٣ : ١٣٨٠ / ٥٢ - كتاب الجهاد والسير - والطبراني في تاريخه ٣ : ٢٠٢ ، وابن أبي الحديد ٦ : ٤٦ ، والجزري في جامع الاصول ٤ : ٤٨٢ ، وابن الأثير في (الكامل في التاريخ) ٢ : ٣٣١ .

ومن هنا يتضح أن هذا الأمر متفق عليه . بين أصحاب السنن وأصحاب السير .

الشهيرة ، وهذا نصّ ابن قتيبة فيها ، قال : وخرج علىَ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على دابة ليلًا في مجالس الأنصار تسألهم النصرة .

فكانوا يقولون : يا بنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أنَّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدْلنا به .
فيقول علىَ كرم الله وجهه : أفكنتُ أدعُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في بيته لم أدفعه ، وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟ !
فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلَّا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم^(١) .

وإن خالطك الريب في شيء من هذا فأعد النظر في بيانات أمير المؤمنين المتقدمة لترى أنها قد جاءت مصاديق حية هذه القصة :
كقوله عليه السلام : « وطفقتُ أرثي بين أن أصول بيدِ جدّاء ، أو أصبر على طخية عمياء » .

وقوله : « فنظرت فإذا ليس لي معين إلَّا أهل بيتي ، فضنتُ بهم عن الموت ، وأغضيتُ على القدى ، وشربتُ على الشجا .. » .

وغيرهم أيضاً دعا ..

لم يقتصر الداء بهذا الأمر ، والدعوة إليه على علىَ وفاطمة عليهما السلام ، بل ساهم فيه عدد كبير من أصحاب رسول الله وсадة المهاجرين والأنصار ، وليس أحد ممن اعتصم مع علىَ عليه السلام فلم يبايع إلَّا وله فيه موافق وكلمات .
ولم يتوقف الأمر ها هنا ، ولم ينته كلّ شيء بمجرد أنهم بايعوا النبي بكر ..

(١) الإمامة والسياسة ١ : ١٢ ، ابن أبي الحديد ٢ : ٤٧ ، ٦ ، ١٣ ، أعلام النساء ٤ : ١١٤ .

بل ما زال عقيدة تبیت في الصدور ، تتنظر يوماً تتنفس فيه ..
وقد حصل هذا غير مرّة ، وأینما وجد أصحابه الفرصة السانحة ، وإن
طال العهد ، وتعاقبت السنون ، ومضى رجل بعد رجل ، حتى وجد بعضهم
فرصته في أيام خلافة عثمان بن عفان ..

ومن ذاك : كلام صادق اللّهجة أبي ذر الغفارى ..
إذ وقف خطيباً بباب المسجد النبوى الشريف ، فنادى في الجمع ، قائلاً:
أيّها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفي فأنا أبو ذر الغفارى ، أنا
جندب بن جنادة الربيدي ..

* إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمَينَ
ذُرْرَةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِ * .

محمد الصفوة من نوح ، فالاول من إبراهيم ، والسلالة من إساعيل .
والعترة الهادية من محمد .. إنه شرف شريفهم ، واستحقوا الفضل في قوم ،
هم فينا كالسماء المرفوعة ، وكالكعبة المستورة ، وكالقبلة المنصوبة ، أو
كالشمس الضاحية ، أو القمر الساري ، أو كالنجوم الهادية ، أو كالشجر
الزيتونية ، أضاء زيتها ، وبورك زبدتها ..
ومحمد وارث علم آدم وما فُضل به النبيون ..

وعلي بن أبي طالب وصي محمد ، ووارث علمه ..
أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها ! أما لو قدّمت من قدم الله ، وأخترتم من
آخر الله ، وأقررتם الولاية والوراثة في أهل بيتك ، لأكلتم من فوق
رؤوسكم ، ومن تحت أقدامكم ..

ولما عال^(١) ولـي الله ، ولا طاش سهم من فرائض الله ، ولا اختلف اثنان

(١) عال : أي افتقر .

في حكم الله إلا وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيه .
فاما إذا فعلتم ما فعلتم ، فذوقوا وبال أمركم ، وسيعلم الذين ظلموا أي
مُنْقَلَبٍ ينقلبون ^(١) .

المقداد بن عمرو :

ومن ذلك ، كلام المقداد بن عمرو في مسجد رسول الله صلى الله عليه
والله وسلم ، جائياً على ركبتيه ، يتلهف تلهف من كان الدنيا كانت له فسلبها ! .
وهو يقول : واعجباً لقريش ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيته !
وفيهما أول المؤمنين ، وأبن عم رسول الله ، أعلم الناس ، وأفقهم في دين الله ،
وأعظمهم عناً في الإسلام ، وأبصرهم بالطريق ، وأهداهم للصراط
المستقيم . . !!

والله لقد زووها عن الهدى المهتدي ، الطاهر النقى ، وما أرادوا صلاحاً
للأمة ، ولا صواباً في المذهب !
ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة ، فبعداً وسحقاً للقوم للظالمين ^(٢) .

وحتى معاوية :

وقد كتب إليه محمد بن أبي بكر رضي الله عنه كتاباً ، منه قوله مقارناً بينه
 وبين علي عليه السلام ، قال فيه : وهو هو ، السابق المبرز في كل خير ، أول
الناس إسلاماً ، وأصدق الناس نيةً ، وأطيب الناس ذريةً ، وأفضل الناس زوجةً ،
وخير الناس ابن عم .

(١) تاريخ العقوبي ٢ : ١٧١ ، وذكر أوثاناً ابن قتيبة في (العارف) : ١٤٦ .

(٢) تاريخ العقوبي ٢ : ١٦٣ .

وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوانيل ..
فكتب إليه معاوية كتاباً ، فيه : قد كنّا وأبوك معنا في حياة نبينا نرى حقّ
ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا ، فلما اختار الله لنبيه ما عنده ، وأتم
له ما وعده ، وأظهر دعوته ، وأفلج حجّته ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقه
أول من ابته وخالفه ، على ذلك اتفقا واتسقا .

ثم دعواه إلى أنفسهم ، فأبطأ عنها ، وتلّكأ عليها ، فهما به آهوم ، وأرادا
به العظيم ! فباعها ، وسلم لها ، لا يشركانه في أمرها ، ولا يُطلعانه على
سرّهما^(١) .

وهكذا ، فكلّا تهيّأت الأسباب ، وسنحت الفرصة ظهر من هذا الحقّ
شيء ، حتى بلغتنا أشياء يطول جمعها .

(١) مروج الذهب ٣: ١٢ - ١٣ ، وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١١٨ - ١٢٠ ، ابن أبي الحديد ٣: ١٨٨ - ١٨٩ -

من دلائل النبوة

وخلاصة ما جرى مع أهل البيت في هذا العهد يُعطينا معالها عدد ليس بالقليل من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، اخترنا منها هنا أربعة فقط لتنقل بعدها إلى العهد الآخر .

١ - أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس : أنَّ النبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لعليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَمَا إِنْكَ سَتَلَقِي بَعْدِي جَهَادًا» .

قال : في سلامٍ من ديني ؟

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «في سلامٍ من دينك»^(١) .

٢ - كان عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مريضاً ، وقد عاده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر معه ، فقال أحدهما للآخر : ما أراه إلَّا هالكاً ! فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّهُ لَنْ يَمُوتْ إِلَّا مَقْتُولًا ، وَلَنْ يَمُوتْ حَتَّى يُمْلأَ غَيْظًا»^(٢) .

٣ - وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : «إِنَّ مَا عَاهَدَ إِلَيَّ النبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١) المستدرك ٣ : ١٤٠ وقال : صحيح الاستناد على شرط الشيفين ولم يخرجاه .

(٢) المستدرك ٣ : ١٣٩ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٣٨٧ .

وسلم أنَّ الأُمَّةَ ستغدر بي بعده » .

وفي لفظ آخر : أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لعليٍّ : « إنَّ الأُمَّةَ ستغدر بك بعدي »^(١) .

٤ - عن عليٍّ عليه السلام ، قال : « بينما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أخذ بيدي ، ونحن نمشي في بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة ، فقلت : يا رسول الله ، ما أحسنا من حديقة ! فقال : لك في الجنة أحسن منها .

ثمَّ مررنا بأُخرى ، فقلت : يا رسول الله ، ما أحسنا من حديقة ! قال : لك في الجنة أحسن منها . ثمَّ مررنا بسبع حدائق كلَّ ذلك أقول : ما أحسنا . ويقول : لك في الجنة أحسن منها ..

فلما خلا له الطريق اعتنقني ثمَّ أجهش باكيًا .

قلت : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟

قال : ضفائر في صدور أقوام ، لا يبدونها لك إلَّا من بعدي »^(٢) !

* * *

(١) المستدرك ٣ : ١٤٠ وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، ابن عساكر في الترجمة ٣ : ١٤٨ / ١١٦٤ - ١١٦٨ ، دلائل النبوة ٦ : ٤٤٠ ، تذكرة الحفاظ ٣ : ٩٩٥ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٣٨ ابن أبي الحديد ٦ : ٤٥ ، تاريخ بغداد ١١ : ٢١٦ ، كنز العمال ١١ / ٣٢٩٩٧ ، الخصائص الكبرى ٢ : ٢٣٥ .

(٢) مستند أبي يعلى الموصلي ١ : ٤٢٦ / ٣٠٥ ، وصححة الحاكم في المستدرك ٣ / ١٣٩ ، ابن أبي الحديد ٤ : ١٠٧ ، الرياض المضرة ٣ : ١٨٤ ، مجمع الزوائد ٩ : ١١٨ ، المناقب للخوارزمي : ٢٦ ، كنز العمال ١٣ : ١٧٦ / ٤٦٥٣٣ .

بُعْدِ
جُمَلٍ مَا لَقِيَ أَهْلُ الْبَيْتِ
وَقَصَّةُ الْوَضْعِ فِي الْحَدِيثِ

نصول القصة:

نأتي هنا على وصفِ بجمل الحال أهل البيت(عليهم السلام) في العهدين الأموي والعباسي إذ إن التفصيل في هذا يعني أن نمضي مع كل واحد منهم عليهم السلام امتداد حياته ، وليس هذا بخفي على من تتبع التاريخ .

ومعه ستأتي قصة الوضع في الحديث لما بين الأمرين من تلازم وثيق ، إذ إن سياسة إبعادهم وامتهانهم عليهم السلام كانت تستلزم على الدوام عملاً ثقافياً وفكرياً موازياً يدعهما ويرر خطواتها ، وليس أخطر في ذلك من الحديث المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم !

فبذلوا لذلك كل جهد ، وسخروا كل ما وسعهم تسخيره بالاتجاهين معاً :

اتجاه طمس فضائل ومناقب أهل البيت (عليه السلام) .
واتجاه إطراء خصومهم ، واحتراق المناقب لهم ، ونسبة ذلك كله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في عمل منسق على شكل مراحل منتظمة ومتوالة!
وسنرى كل ذلك الآن ..

أفرد ابن أبي الحديد في كتابه (شرح نهج البلاغة) فصلاً بعنوان : « ذكر

ما مُنِيَ به آل البيت من الأذى والاضطهاد » قال فيه :
 وقد روي أن أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) قال - لبعض
 أصحابه - : « يا فلان ، ما لقينا من ظلم قريش إيانا ، وظاهرة لهم علينا ! وما لقي
 شيعتنا ومحبّونا من الناس !
 إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلّم قُبض وقد أخبرنا أنا أولى الناس
 بالناس .

فتهالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معده ، واحتججت على
 الأنصار بحقّنا وحجّتنا ، ثم تداولتها واحداً بعد واحد حتى رجع الأمر إلينا ،
 فنكثت بيعتنا ، ونصبتُ الحرب لنا !

ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قُتل !

وبويع الحسن ابنه ، وعوهـد ، ثم غدرـ به وأسـلم ، ووثبـ عليه أهلـ العراق
 حتى طـعن بخنجرـ في جنبـه ، ونـهـيـت عـسـكـرـه ، وعـولـجـت خـلـاخـيلـ أـمـهـاتـ أولـادـهـ ،
 فـسـوـادـعـ مـعـاوـيـةـ ، وـحـقـنـ دـمـهـ وـدـمـاءـ أـهـلـ بـيـتـهـ ، وـهـمـ قـلـيلـ حقـ قـليلـ .
 ثـمـ باـيـعـ الحـسـينـ مـنـ أـهـلـ الـعـراـقـ عـشـرـونـ أـلـفـاـ ، ثـمـ غـدـرـواـ بـهـ ، وـخـرـجـواـ
 عـلـيـهـ وـبـيـعـتـهـ فـيـ أـعـنـاقـهـمـ ، وـقـتـلـوـهـ !
 ثـمـ لـمـ نـزـلـ - أـهـلـ الـبـيـتـ - نـسـتـذـلـ ، وـنـسـتـظـامـ ، وـنـقـصـيـ ، وـنـمـتـهـنـ ، وـنـحرـمـ ،
 وـنـقـتـلـ ، وـنـخـافـ وـلـاـ نـأـمـنـ عـلـىـ دـمـائـنـاـ وـدـمـاءـ أـلـيـائـانـاـ !.

وـوـجـدـ الـكـاذـبـونـ الـمـاجـدـونـ - لـكـذـبـهـمـ وـجـحـودـهـمـ - مـوـضـعاـ يـتـقـرـبـونـ بـهـ إـلـىـ
 أـلـيـائـهـمـ وـقـضـاءـ السـوـءـ ، وـعـمـالـ السـوـءـ فـيـ كـلـ بـلـدـةـ ، فـحـدـثـوـهـمـ بـالـأـحـادـيـثـ
 الـمـوـضـوعـةـ الـمـكـذـبـةـ وـرـوـواـ عـنـاـ مـاـلـ نـقـلـهـ لـمـ نـفـعـلـهـ لـيـبـغـضـوـنـاـ إـلـىـ النـاسـ .
 وـكـانـ عـظـمـ ذـلـكـ وـكـبـرـهـ زـمـنـ مـعـاوـيـةـ ، بـعـدـ مـوـتـ الـحـسـينـ (عليهـ السـلامـ).
 فـقـتـلـتـ شـيـعـتـاـ فـيـ كـلـ مـكـانـ ، وـقـطـعـتـ الـأـيـديـ وـالـأـرـجـلـ عـلـىـ الـظـنـةـ !.

وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو هدمت داره^(١) ! .
هكذا إذن أقصى أهل البيت (عليهم السلام) عن مکانهم في خلافة
رسول الله، إذ هم « أولى الناس بالناس » .

وجُحِّدت منزَلْتَهُمْ ، إذ هم ثانى الثقلين « كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي » .
ثم أقصوا حتى عن موقعهم في ترؤُس ميدان الفقه وعلوم الشريعة ، رغم
قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّهِمْ « فَلَا تَقْدِمُوهُمْ فَتَهْلِكُوْا ، وَلَا
تَأْخُرُوْا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوْا ، وَلَا تَعْلَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مَنْ كُنْتُمْ » .

ورغم زعامتهم في العلم والفقه وتتفوقهم على سواهم ، ورجوع غيرهم
إليهم ، حُجْر على فقههم ، وحرب من كان يحمله عنهم ، وقتل أتباعهم في كلّ
مكان « وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو هدمت داره !

ويواصل الإمام الباقر عليه السلام كلامه ، فيقول :

« ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين
عليه السلام »^(٢) .

- قاتل الحسين عليه السلام !!

الحسين عليه السلام : سبط النبي المصطفى ، وريحانته ، وثاني سيدي
شباب أهل الجنة مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام ! وخامس أصحاب الكساء
الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً !

الحسين عليه السلام الذي قال فيه جده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « حُسْنِي مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسْنِي ، أَحُبُّ اللَّهَ مَنْ أَحُبُّ حُسْنِي ، حُسْنِي سبط
من الأسباط »^(٣) !

(١) ابن أبي الحديد ١١ : ٤٣ .

(٢) المصدر والمصنفة .

(٣) التاريخ الكبير للبغاري ٨ : ٤١٥ / ٣٥٣٦ ، سنن الترمذى ٥ : ٦٥٨ / ٣٧٧٥ ، سنن ابن ماجة ١

الحسين السبط عليه السلام يُراد منه قسراً أن يبايع ليزيد - صاحب الخمرة والمجون ! - فلم يجد أمامة إلا أن يخرج من مدينة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قاصداً العراق بعد أن أتته كتب أهلها بالبيعة والولاء ، فيستشهد بينهم في وقعةٍ، بل مأساة لم تشهد لها الدنيا نظيراً ! وقد تهيأ له عليه السلام أن يقف فيهم خطيباً ، فقال :

« أَيَّهَا النَّاسُ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا ، مُسْتَحْلِلًا لِحُرْمَةِ اللَّهِ ، نَاكِتًا لِعَهْدِ اللَّهِ ، مُخَالِفًا لِسُنْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوَانِ فَلَمْ يُغَيِّرْ مَا عَلَيْهِ بَفْعَلٍ لَا قَوْلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخَلَهُ .

أَلَا وَإِنَّ هُؤُلَاءِ قَدْ لَزَمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ ، وَعَطَّلُوا الْمَحْدُودَ ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ ، وَأَحْلَلُوا حَرَامَ اللَّهِ وَحَرَمُوا حَلَالَهِ ، وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ غَيْرِي ، وَقَدْ أَتَنِي كِتَابُكُمْ وَرَسْلُكُمْ بِبِعْتُكُمْ ، وَأَنْكُمْ لَا تُسْلِمُونِي وَلَا تَخْذُلُونِي ، فَإِنَّ أَقْمَتُمْ عَلَى بِعْتُكُمْ تُصِيبُوْ رَشْدَكُمْ .

وَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ فَاطِمَةَ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِي مَعَ أَهْلِكُمْ ، فَلَكُمْ فِي أَسْوَةٍ . . . »^(١).

فَلِمَّا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا قَتَالَهُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، رَكِبَ عَلَيْهِ السَّلَامَ رَاحِلَتِهِ وَتَقدَّمَ إِلَى جَيْشِ يَزِيدَ ، وَنَادَى بِصَوْتٍ يُسْمِعُ كُلَّ النَّاسِ ، فَقَالَ :

→ ٥١ / ١٤٤ ، مسند أحمد ٤ : ١٧٢ ، المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٧٧ ، مصايفي السنة ٤ : ١٩٥ / ٤٨٣٣ ، أسد الغابة ٢ : ١٩ ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٤ : ٣١٨ ، الجامع الصغير ١ / ٥٧٥ : ٣٧٢٧ ، جامع الأصول ١٠ : ٢١ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٢٨٣ ، وغيرها كثير .

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٤٨ .

«أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِيْ ، وَلَا تَعْجَلُونِي حَتَّى أَعْظَمُكُمْ بِمَا يَجْبُ لَكُمْ عَلَيْيَهُ
وَحَتَّى أَعْتَذَ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقْدِمِي عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ قَبْلَتُمْ عَذْرِي وَصَدَقْتُمْ قَوْلِي
وَأَنْصَفْتُمُونِي كَتَمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيْيَ سَبِيلَ .
وَإِنْ لَمْ تَقْبِلُو مِنِي الْعَذْرَ ﴿فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشَرْكَاءَ كُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ
عَلَيْكُمْ غَمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيْيَهُ لَا تُنْظِرُونَ﴾^(١) ﴿إِنَّ وَلِيَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ
الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّ الصَّالِحِينَ﴾^(٢) .

فَلَمَّا سَمِعَ أَخْوَاتِهِ قَوْلَهُ بَكَيْنَ ، وَصِحْنَ ، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُنَّ ، فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِنَّ أَخَاهُ الْعَبَّاسَ وَابْنَهُ عَلِيًّا لِيُسْكِنُهُنَّ ، وَقَالَ : «لَعْمَرِي ، لَيُكْثِرُنَّ
بُكَاءَهُنَّ !»

فَلَمَّا سَكَنَ حَمْدُ اللَّهِ وَأَشْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَقَالَ : «أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ سَبَوْنِي ، فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا ، ثُمَّ راجِعُوا أَنْفُسَكُمْ فَعَاتِبُوهَا ،
وَانْظُرُوا هُلْ يَصْلِحُ وَبِحَلِّ لَكُمْ قَتْلِي وَانتِهَاكُ حَرْمَتِي ؟
أَلْسْتُ ابْنُ بَنْتِ نَبِيِّكُمْ ، وَابْنُ وَصِيِّهِ وَابْنُ عَمِّهِ وَأَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ ،
وَالْمَصْدِقُ لِرَسُولِهِ ؟

أَوْلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشَّهَادَاءِ عَمَّ أَبِي ؟ أَوْلَيْسَ جَعْفُرُ الشَّهِيدُ الطَّيَّارُ فِي
الْجَنَّةِ عَمِّي ؟ أَوْلَمْ يَبْلُغُكُمْ قَوْلُ مُسْتَفِيِضٌ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
قَالَ لِي وَلِأَخِي : أَنْتُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَقَرْبَةُ عَيْنِ أَهْلِ السُّنْنَةِ ؟
إِنَّ صَدَقْتُمُونِي فِيمَا أَقُولُ فَهُوَ الْحَقُّ ، وَاللَّهُ مَا تَعْمَدْتُ كَذِبًا مَذْعُولًا
اللَّهُ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ .

وَإِنْ كَذَبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرُكُمْ : سَلُوا جَابِرَ

(١) سورة يونس : ٧١ .

(٢) سورة الأعراف : ١٩٦ .

ابن عبد الله ، أو أبا سعيد ، أو سهل بن سعد ، أو زيد بن أرقم ، أو أنساً يخبركم أنهم سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي ؟ » .

فقال له شمر : هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى ما يقول ! ثم قال الحسين عليه السلام : « فإن كنتم في شكٍّ مما أقول أَوْتَشَكُونَ فِي أَنِّي ابْنُ بَنْتِ نَبِيِّكُمْ ؟

فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنتنبيٰ غيري ، منكم ولا من غيركم . أخبروني ، أتطلبوني بقتيل منكم قتلته ، أو بمال استهلكته ، أو بقصاص من جراحته ؟ » .

فلم يُكلّموه ، فنادى : « يا شَبَثَ بْنَ رَبِيعٍ ! ويا حَجَّارَ بْنَ أَبْجَرَ ! ويا قيسَ بْنَ الْأَشْعَثَ ! ويا زَيْدَ بْنَ الْحَارِثَ ! ألم تكتبا إلى في القدوم عليكم ؟ ». قالوا : لم نفعل !

فقال عليه السلام : « بل فعلتم - ثم قال - أيها الناس ، إذ كرهتموني فدعوني أصرف إلى مأمني من الأرض ». .

فقال له قيس بن الأشعث : أولا تنزل على حكم ابن عمك ؟ فإنك لا ترى إلا ما تُحب .

فقال عليه السلام : « أنت أخو أخيك ، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله ، ولا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقر إقرار العبيد . عباد الله ، إني عُذْتُ برَبِّي وربِّكم أن ترجمون ، أعود برَبِّي وربِّكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب »^(١) .

ولكن قَسْت قلوبهم ، فهـي كالحجارة أو أشـدّ قسوة فعزموا أن يرتكبوا
الجـريمة الكـبرـى ، ويتوشـحـوا بالعار الأـبـدى !

فتقدـم عمر بن سـعـد بـراـيـته ، وأـخـذـ سـهـاـ فـرمـىـ بـهـ ، وـقـالـ : اـشـهـدواـ لـيـ أـنـيـ
أـوـلـ رـامـ إـثـمـ رـمىـ النـاسـ ^(١) . فـكـانـتـ الـوـقـعـةـ المـأـسـاةـ التـيـ اـحـتـوتـ تـفـاصـيلـ تـقـشـعـرـ
هـاـ الـأـبـدـانـ يـلـ تـهـزـ هـاـ الـأـرـضـ وـالـسـمـاءـ .

وـقـتـلـ رـيحـانـةـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ ، وـقـتـلـ مـعـهـ سـبـعـةـ عـشـرـ
مـنـ أـهـلـ بـيـتـهـ ، وـكـافـةـ أـصـحـابـهـ ، وـقـطـعـتـ رـؤـوسـهـمـ وـحـمـلـتـ عـلـىـ الرـماـحـ إـلـىـ عـيـدـ
الـهـ بـنـ زـيـادـ .

فـجـاءـتـ كـنـدـةـ بـشـلـاتـةـ عـشـرـ رـأـسـاـ ! وـجـاءـتـ بـنـوـ أـسـدـ بـسـتـةـ أـرـؤـسـ !
وـجـاءـتـ مـذـحـجـ بـسـبـعـةـ أـرـؤـسـ ، وـجـاءـ سـائـرـ الجـيـشـ بـسـبـعـةـ أـرـؤـسـ ، فـذـلـكـ سـبـعـونـ
رـأـسـاـ ^(٢) .

وـرـوـيـ أـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ أـعـطـىـ أـمـ سـلـمـةـ تـرـابـاـ منـ تـرـبةـ
الـحـسـينـ حـمـلـهـ إـلـيـهـ جـبـرـئـيلـ عـلـيـهـ السـلـامـ ، فـقـالـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ لـأـمـ سـلـمـةـ : «إـذـاـ صـارـ هـذـاـ التـرـابـ دـمـاـ فـقـدـ قـتـلـ الـحـسـينـ» فـحـفـظـتـ أـمـ سـلـمـةـ ذـلـكـ
الـتـرـابـ فـيـ قـارـوـرـةـ عـنـدـهـ ، فـلـمـاـ قـتـلـ الـحـسـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ صـارـ التـرـابـ دـمـاـ ،
فـأـعـلـمـتـ النـاسـ بـقـتـلـهـ ^(٣) .

وـعـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ نـجـيـ ، عـنـ أـبـيهـ ، أـنـهـ سـارـ مـعـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـكـانـ
صـاحـبـ مـطـهـرـتـهـ ، فـلـمـاـ حـاذـىـ نـيـنـوـىـ - مـنـ أـرـضـ كـرـبـلاـ - وـهـوـ سـائـرـ إـلـىـ صـفـيـنـ ،
فـنـادـىـ عـلـيـ : «اـصـبـرـ أـبـاـ عـبـدـ اللهـ ^(٤) بـشـطـ الـفـرـاتـ» .

(١) المـصـدـرـ ٤ـ : ٦٥ـ .

(٢) المـصـدـرـ ٤ـ : ٩١ـ - ٩٢ـ .

(٣) المـصـدـرـ ٤ـ : ٩٣ـ ، تـارـيـخـ الـيـعقوـبـيـ ٢ـ : ٢٤٥ـ - ٢٤٦ـ ، الصـوـاعـقـ الـمـحرـقةـ : ١٩٣ـ .

(٤) فيـ سـيرـ أـعـلامـ النـبـلـاءـ : «نـادـاهـ عـلـيـ» وـهـوـ تـحـرـيفـ ، وـأـبـوـ عـبـدـ اللهـ هوـ الـأـمـامـ الـحـسـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ .

قلتُ : وما ذاك ؟

قال : « دخلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذات يوم ، وعيشه تف ipsان ، فقال : قام من عندي جبرئيل ، فحدثني أن الحسين يُقتل ، وقال : هل لك أن أشِّمكَ من تربته ؟

قلت : نعم ، فمدّ يده فقبض قبضةً من تراب ، فأعطانيها ، فلم أملأ عيني »^(١).

وروي قريب منه عن أم سَلَمةَ أيضاً وأتها احتفظت بذلك التراب عندها^(٢).

وحدث ابن عباس رضي الله عنها ، قال : رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في النوم نصف النهار ، أشعث أغبر ، وبيده قارورة فيها دم ، فقلت : يا رسول الله ، ما هذا ؟

قال : « هذا دم الحسين وأصحابه ، لم أزل منذ اليوم ألتقطه ».

فأحصي ذلكم اليوم ، فوجدوه قُتل يومئذ^(٣) .

وحدث أبو سعيد الأشجع : حدثنا أبو خالد الأحرن ، حدثنا رَزِين ، قال : حدثني سلمي ، قالت : دخلت على أم سَلَمةَ وهي تبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قالت : رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - تعني في المنام - وعلى رأسه ولحيته التراب ، فقلت : ما لك يا رسول الله ؟

(١) مسنـدـ أـحـمـدـ ١: ٨٥ـ، سـيرـ أـعـلامـ الـنـبـلـاءـ ٣: ٢٨٨ـ، الـبـداـيـةـ وـالـنـاهـيـةـ ٨: ٢٠١ـ، الصـوـاعـقـ الـمـحرـقةـ ١٩٣ـ، بـجـمـعـ الزـوـانـدـ ٩: ١٨٧ـ وـقـالـ : أـخـرـجـهـ الـبـزارـ وـرـجـالـهـ ثـقـاتـ .

(٢) مسنـدـ أـحـمـدـ ٣: ٢٤٢ـ وـ٢٦٥ـ وـ٢٩٤ـ، سـيرـ أـعـلامـ الـنـبـلـاءـ ٣: ٢٨٩ـ ـ ٢٨٨ـ، بـجـمـعـ الزـوـانـدـ ٩: ١٨٧ـ الـبـداـيـةـ وـالـنـاهـيـةـ ٨: ٢٠١ـ، دـلـائـلـ النـبـوـةـ ٦: ٤٦٩ـ، الصـوـاعـقـ الـمـحرـقةـ ١٩٢ـ .

(٣) مسنـدـ أـحـمـدـ ١: ٢٨٣ـ، تـهـذـيبـ تـارـيـخـ دـمـشـقـ الـكـبـيرـ لـابـنـ عـسـاـكـرـ ٤: ٣٤٣ـ، سـيرـ أـعـلامـ الـنـبـلـاءـ ٣: ٣١٥ـ، الـبـداـيـةـ وـالـنـاهـيـةـ ٨: ٢٠٢ـ وـقـالـ إـسـنـادـهـ قـويـ .

قال : « شهدت قتل الحسين آنفًا »^(١) .

سلام على الحسين ، وأولاد الحسين ، وأنصار الحسين^(٢) ..

ثمّ ماذا بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام ؟

يواصل الإمام الباقر عليه السلام حديثه ، فيقول : « ثمّ جاء الحاج
قتلهم كلّ قتلة ، وأخذهم بكلّ ظنة وتهمة ، حتى أنّ الرجل ليقال له (زنديق)

أو (كافر) أحبّ إليه من أن يقال (شيعة عليّ) !!

وحتى صار الرجل الذي يُذكّر بالخير - ولعله يكون ورعاً صدوقاً - يُحدّث
بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ، ولم يخلق الله
تعالى شيئاً منها !

ولا كانت وقعت !

وهو يحسب أنها حقّ لكثرة من رواها ممن لم يُعرف بالكذب ، ولا بقلة

ورع^(٣) !

وأشبه شيء بكلام الإمام الباقر عليه السلام هذا حول الحديث
والمحدّثين ما أورده مسلم في مقدمة الصحيح ، والخطيب البغدادي في تاريخه ، عن
محمد بن أبي عتاب :

قال : حدّثني عفان ، عن محمد بن يحيى بن سعيد القطّان ، عن أبيه ،

قال : لم نرَ الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث !

(١) سنن الترمذى ٥ : ٦٥٧ / ٣٧٧١ ، وتهذيب تاريخ دمشق الكبير ٤ : ٣٤٣ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٣١٦ ، البداية والنهاية ٨ : ٢٠٢ .

(٢) قصة مقتل الإمام الحسين عليه السلام في تاريخ الطبرى ٦ : ١٩٤ - ٢٧٠ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٩١ - ١٩ ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ٤ : ٣٤٦ - ٣٢٩ ، مقتل الحسين للخوارزمي ، البداية والنهاية ٨ : ٢١٤ - ١٥٢ .

(٣) ابن أبي الحديد ١١ : ٤٤ .

قال ابن أبي عتاب : فلقيت أنا محمد بن يحيى بن سعيد القطان فسألته عنه ،
فقال عن أبيه : لم نرَ أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث^(١) .

أماً كيف بلغ الأمر هذه الدرجة من الخطورة ، فإليك قصته كاملة :

قال ابن أبي الحديد : روى المدائني في كتاب (الأحداث) قال :
كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة : أن برئت الذمة
من روى شيئاً في فضل أبي تراب ، وأهل بيته .

فقامت الخطباء في كل كورة ، وعلى كلّ منبر يلعنون علياً ، ويعزّون منه ،
ويقعون فيه وفي أهل بيته !

وكان أشد الناس بلاءً أهل الكوفة لكثره ما بها من شيعة على عليه
السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سمية ، وضم إليه البصرة ، فكان يتبع الشيعة
وهو بهم عارف لأنّه كان منهم أيام على عليه السلام ، فقتلهم تحت كل حجر
ومدر ، وأخافهم ، وقطع الأيدي والأرجل ، وسمّل العيون ، وصلبهم على جذوع
النخل ، وطردتهم ، وشردّهم فلم يبق فيها معروف منهم ..

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي
وأهل بيته شهادةً .

وكتب إليهم : أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته ،
والذين يرون فضائله ومناقبه ، فأدنوا مجالسهم ، وقربوهم ، واكتبوا لي بكلّ ما
يروي كلّ رجل منهم ، واسميه باسم أبيه وعشيرته .

ففعلوا ذلك ، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم
معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع ، ويفيضه عليهم في العرب والموالي
وكثير ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المنازل والدنيا ، فلبثوا بذلك حيناً .

(١) صحيح مسلم - المقدمة - ١ : ١٧ - ١٨ ، تاريخ بغداد ٢ : ٩٨ .

ثم كتب إلى عماله : إنَّ الحديث في عثمان قد كثُر وفشا في كُل مصر ، وفي كُل وجهٍ وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين .

ولا تركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقض له في الصحابة ، فإنَّ هذا أحب إلىَّ ، وأقر لعيني ، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته ، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضائله .

فُقرئت كتبه على الناس ، فُرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها ، وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذلك على المنابر ، وألقي إلى معلمي الكتاتيب ، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع ، حتى رووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن ، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمتهم وحشّهم ، فلبيوا بذلك ما شاء الله .

ثم كتب إلى عماله نسخةً واحدةً إلى جميع البلدان : انظروا من قامت عليه البينة أنَّه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان ، وأسقطوا عطاء رزقه ! وشفع ذلك بنسخةٍ أخرى : من اهتمموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به ، واهدموا داره !

فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه في العراق ، ولا سيما بالكوفة .

فظهر حديث كثير موضوع ، وبهتان منتشر ..

ومضى على ذلك الفقهاء ، والقضاة ، والولاة ، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون ، والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند الأئمة ، يصيّبوا به الأموال والضياع والمنازل ! حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى الديانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان ، فقبلوها ورووها وهم يظنّون أنها حقّ ، ولو علموا أنها باطلة لما رأوها ، ولا تدينوا بها !!

فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليه السلام ، فازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه ، أو طريد في الأرض !

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام .
وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة .
وولي عليهم الحجاج فقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي ، وموالاة أعدائه ، وموالاة من يدعى من الناس أنه من أعدائه .
فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم .
وأكثروا من الغض من علي عليه السلام وعيبه ، والطعن فيه ، والشنان به !

حتى أن إنساناً وقف للحجاج فصاح به : أيها الأمير ، إن أهلي عقوني فسموني علياً ، وأنا فقير بائس !

فتضاحك له الحجاج ، وقال : للطف ما توسلت به قد ولبتك موضع كذا !
- فلم يقتصر الأمر على ما كان في عهد معاوية إذن .
قال ابن أبي الحميد : وقد روى ابن عرفة المعروف بنُفْطَوِيَة^(١) - وهو من أكابر المحدثين - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر ، وقال : إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة اختلفت في أيامبني أمية تقرّباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنـي هاشم^(٢) !

(١) وهو محمد بن عرفة بن سليمان ، أبو عبد الله : المحافظ النحوي الأخباري ، تعلم اللغة على ثعلب والمبرد ، وتفقه على داود - إمام الظاهرية - وكان ذا سنة ودين وفتوة ومرودة ، وصار رأساً في رأي أهل الظاهر ، وله تصانيف منها : (غريب القرآن) و (تاريخ الحلقاء) أو (الإمامية) وغيرها ، توفي سنة ٣٢٢ هـ . سير أعلام النبلاء ١٥ : ٧٥ / ٤٢ ، وفيات الاعيان ١ : ٤٧ / ١٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة ١١ : ٤٤ - ٤٦ .

وقال أبو معاوية الضرير : بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش : أن اكتب لي مناقب عثمان ، ومساويه على .
فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم الشاة فلاكتها، وقال لرسوله:
قل له: هذا جوابك ^(١) .

والأمر - إلى هنا - يوجزه الإمام أحمد بن حنبل في رده على ولده عبد الله وقد سأله عن علي ومعاوية ، فقال له : إعلم أن علياً كان كثير الأعداء ، ففتّش له أعداؤه عيّباً فلم يجدوا ، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقتله فأطروه كيداً منهم له ^(٢) .

وقد صح أنّ بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام وعاقبوا على ذلك الراوي له ، حتى إن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلّق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجرّس على ذكر اسمه ، فيقول : عن أبي زينب ^(٣) .
وقد روى عن الإمام الشافعي قوله :

إذا في مجلس ذكروا علياً وسبطيه ، وفاطمة الزكية
يُقال : تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضية
برئت إلى المهيمن من أنسٍ يردون الرفض حبّ الفاطمية ^(٤)

وكان المغيرة بن شعبة يقول لصعصعة بن صوحان ^(٥) : إياك أن يبلغني

(١) وفيات الأعيان ٢ : ٤٠٢ - ترجمة سليمان الأعمش .

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧ : ٨١ ، الصواعق المحرقة باب ٩ فصل ٣ : ١٢٧ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى : ١٥٩ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ٧٣ .

(٤) فرائد السطرين ١ : ١٣٥ / ٩٨ .

(٥) هو أخو زيد بن صوحان ، وقد أسلم على عهد النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ولم يره لصغر سنه ، وكان سيداً من سادات قومه - عبد القيس - فصيحاً خطيباً ديننا فاضلاً يعد في أصحاب علي عليه السلام

عنك أنك تعيب عثمان ، وإياك أن يبلغني أنك تُظهر شيئاً من فضل عليّ ، فأنا
أعلم بذلك منك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر ، وقد أخذ بإظهار عيبه للناس ،
فنحن ندع شيئاً كثيراً مما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدأً ندفع به
هؤلاء القوم عن أنفسنا .

فإن كنتَ ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك في منازلكم سرّاً
وأما علانيةً في المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا^(١) .

وكان الحسن البصري يُحدّث فيقول : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله
وسلم ، وهو لم يدركه . فقال يونس بن عبيد : سأله ، فقلت : يا أبي سعيد إنك
تحدّث فتقول : قال رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم وإنك لم تدركه ؟
قال : يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألك عنه أحد قبلك ، ولو لا
منزلك مني ما أخبرتك ؛ إنّي في زمان كما ترى ، كلّ شيء سمعته أقول : قال
رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم فهو عن عليّ بن أبي طالب ، غير أنّي في
زمان لا أستطيع أن أذكر عليّاً^(٢) .

بل تجاوز الأمر هذا الحدّ بكثير حتّى أصبح الرجل يخشى حتّى وهو في
المقام - في عالم الرؤيا - أن يُتهم بالقرب من عليّ عليه السلام .

فقد روى الخطيب عن الفتح بن شحرف ، قال : حملتني عيني فنمّت ،
فيبينا أنا نائم إذ أنا بشخصين ، فقلت للذى يقرب مني : من أنت يا هذا ؟
فقال : من ولد آدم .

→ وقد شهد معه حروبه ، وهو القائل لعمر بن الخطاب حين قسم المال الذي بعثه إليه أبو موسى ،
فخطب الناس فقال : أهلا الناس قد بقيت لكم فضلة بعد حقوق الناس . فقام صعصعة وهو غلام
شاب وقال : يا أمير المؤمنين ، إنما تشاور الناس فيما لم ينزل فيه القرآن ، فاما ما نزل فيه القرآن فضعه
مواضعه التي وضعه الله عز وجل فيها . فقال : صدقت ، أنت ميّ وأنا منك . وصعصعة من سيرة عثمان
إلى الشام ، وتوفي أيام معاوية . أسد الغابة ٣ : ٤٣٠ .

(١) الكامل في التاريخ ٣ : ٤٣٠ .

(٢) تهذيب الكمال ٦ : ١٢٤ .

قلت : كُلْنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ ، فَمَنْ الَّذِي وَرَاءَكَ ؟

قال لي : عَلَيْ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

قلت له : أَنْتَ قَرِيبٌ مِنْهُ وَلَا تَسْأَلْهُ !؟

قال : أَخْشَى أَنْ يَقُولَ النَّاسُ أَنِّي رَافِضٌ^(١) !!

(١) تاريخ بغداد : ٣٨٦ .

نماذج من تلك الموضوعات

أولاً : في المطاعن :

قال ابن أبي الحديد : ذكر شيخنا أبو جعفر الإسکافيّ : أنَّ معاوية وضع قوماً من الصحابة ، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليٍ عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرْغَبُ في مثله، فاختلقوا ما أرضاه !

منهم : أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين: عروة بن الزبير .

ومن تلك الأحاديث :

١ - روى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه ، قال: حدثني عائشة، قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعليٍ ، فقال « يا عائشة ، إنَّ هذين يموتان على غير ملئني ، أو قال : ديني ». .

وروى عبد الرزاق عن معمر ، قال : كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في عليٍ عليه السلام ، فسألته عنها يوماً، فقال ما تصنع بها وبحديثهما! الله أعلم بها ، إني لأتهمها فيبني هاشم !

٢ - أمّا عمرو بن العاص ، فروي عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما مسندًا متصلًا بعمرو بن العاص ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم يقول : « إنَّ أَبِي طَالِبٍ لَيْسُوا لِي بِأُولَيَاءِ ، إِنَّا وَلِيَ اللَّهَ وَصَالِحَ الْمُؤْمِنِينَ »^(١).

٣ - وأمّا أبو هريرة ، فروي عنه الحديث الذي معناه : أَنَّ عَلَيَّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطَبَ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْخَطَهُ ، فَخَطَبَ عَلَى النَّبِيِّ ، لَا هَا اللَّهُ ! لَا تَجْتَمِعُ ابْنَةَ وَلِيِّ اللَّهِ وَابْنَةَ عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ ! إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةَ مَنِيٍّ يَؤْذِنِي مَا يَؤْذِنُهَا ، فَإِنْ كَانَ عَلَيَّ يَرِيدُ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ فَلِيُفَارِقَ ابْنَتِي ، وَلِيَفْعُلَ مَا يَرِيدُ .

أوكلام هذا معناه ، والحديث أيضًا مخرج في صحيحي البخاري ومسلم^(٢) !

٤ - لما قدم أبو هريرة العراق على معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلعته مراراً ، وقال : يا أهل العراق ، أتزعّمون أني أكذب على الله وعلى رسوله ، وأحرق نفسي بالنار !

والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم يقول : « إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمًا ، وَإِنَّ حَرَمِيْ ما بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثُورٍ »^(٣) فمن أحدث فيها حَدَثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » وأشهد بالله أَنَّ عَلَيَّاً أَحدَثَ فِيهَا ! فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه ، وولاه إمارة المدينة .

قال : فاما قول أبي هريرة : إنَّ عَلَيَّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحدَثَ فِي الْمَدِينَةِ ،

(١) مسلم ١ : ١٩٧ / ٣٦٦ ، البخاري ٨ : ٩ / ١٩ بدل طالب فلان ، وزاد : ولكن لهم رحم أبأها بيلها.

(٢) البخاري ٥ : ٩٥ / ٢٢٢ ، مسلم ٤ : ٤ / ٢٤٤٩ عن المسور بن مخرمة . وقد عُرف الحديث من رواية الكرايسري المشهور ببغضه أهل البيت (ع) انظر تنزيه الأنبياء : ١٦٧ ، شرح النهج ٤ : ٦٤ .

(٣) قيل : الصحيح « ما بين عَيْرٍ إِلَى أَحُدٍ » وَهَا بِالْمَدِينَةِ ، أَمَا ثُورٌ فَهُوَ بِمَكَّةَ . النهاية ١ : ٢٢٩ .

٢١٠ المذهبى الانتهاء منهج

فهاش الله، كان علي أتقى الله من ذلك ، والله لقد نصر عثمان نصراً لو كان المحصور جعفر بن أبي طالب لم يبذل له إلا مثله .

٥ - قال محفوظ : قلت ليعيى بن صالح الْوَحَاضِي : قد رویت عن مشايخ من نظارء حَرِيزِ بْنِ عَثَمَانَ^(١) ، فَمَا بِاللَّكِ لَمْ تُحْمَلْ عَنْ حَرِيزِ ؟

قال: إني أتيته فناولني كتاباً ، فإذا فيه : حَدَّثَنِي فلان ، عن فلان أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضُرَتِ الْوَفَاءَ أَوْصَى أَنْ تُقْطَعَ يَدُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ! فَرَدَدَتِ الْكِتَابُ ، وَلَمْ أَسْتَحْلِ أَنْ أَكْتُبَ عَنْهُ شَيْئًا .

٦ - قال : وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا ، يبيع دينه بالقليل النَّزَر
منها ، يُرضي معاوية بذكر عليٍّ عليه السلام ، قال يوماً في مجلس معاوية : إنَّ علياً
لم يزوجه رسول الله ابنته حبَّاً ، ولكنَّه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه .

٧ - وقد روي أن معاوية بذل لسمّرة بن جنْدب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب : ﴿وَمَنِ النَّاسُ مَنْ يُعْجِبُك﴾

(١) حَرِيزُ بْنُ عَثَمَانَ بْنَ جَبْرٍ بْنِ أَحْمَرِ الرَّجَبِيِّ الْمِشْرَقَيِّ، أَبُو عَثَمَانَ، وَيُقَالُ: أَبُو عَوْنَ الشَّامِيُّ، قَالَ الْبَخَارِيُّ: كَانَ حَرِيزٌ يَتَأَوَّلُ مِنْ رَجُلٍ ثُمَّ تَرَكَ - يَعْنِي عَلَيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: كَانَ حَرِيزٌ يَحْمِلُ عَلَى عَلَيٍّ. وَمَتَّلِهُ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَجْلَيِّ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَلَيٍّ: كَانَ يَنْتَصِرُ عَلَيًّا وَيَنْتَالُ مِنْهُ، وَقَالَ أَيْضًا: شَدِيدُ التَّحَامِلِ عَلَى عَلَيٍّ. وَكَانَ حَرِيزٌ يَقُولُ: لَنَا إِيمَانًا - يَعْنِي مَعَاوِيَةً - وَلَكُمْ إِيمَانُكُمْ - يَعْنِي عَلَيًّا -. وَكَانَ يَقُولُ: لَا أُحِبُّ عَلَيًّا قَتْلَ آبَائِي. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدَ الدَّارَمِيُّ: عَنْ أَحْمَدَ إِبْنِ سَلِيْمَانَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشَ، قَالَ: عَادَلَتْ حَرِيزُ بْنُ عَثَمَانَ مِنْ مَصْرَ إِلَى مَكَّةَ فَجَعَلَ يَسْبَطُ عَلَيًّا وَيَلْعَنُهُ. وَحَدَّثَ يَحْيَى بْنُ الْمَغِيرَةِ عَنْ جَرِيرٍ: أَنَّ حَرِيزًا كَانَ يَشْتَمِ عَلَيًّا عَلَى الْمَنَابِرِ . فَأَيْنَ إِذْنُ مَكَانَةِ حَرِيزٍ هَذَا؟ قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: حَرِيزٌ ثَقَةٌ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيُّ: لَمْ يَرِزُ مِنْ أَدْرِكَنَاهُ مِنْ أَصْحَابِنَا يَوْمَ تَقْوِيمِهِ . وَقَالَ الْبَخَارِيُّ: لَا أَعْلَمُ أَنِّي رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَفْضَلَهُ عَلَيْهِ . وَسُئِلَ عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: ثَقَةٌ، ثَقَةٌ، ثَقَةٌ !! وَقَدْ رُوِيَ لِهِ الْجَمَاعَةُ سَوْى مُسْلِمٍ .. تَهْذِيبُ الْكِتَابِ ٥: ٥٦٨ / ١١٧٥ . تَلَكَ شَهَادَتِهِمْ لَهُ مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَهَدَ عَلَيْهِ بِالْتَّفَاقِ، حِينَ عَهَدَ لِعَلِيٍّ عَهْدَأَنَّهُ «لَا يَبْغِضُكَ إِلَّا مَنَافِقُكَ» ! وَكَانَ الصَّحَابَةُ لَا يَعْرِفُونَ الْمَنَافِقَنَ إِلَّا يَبْغِضُهُمْ عَلَيْهِ . رَاجِعُ الدِّرْخَلِ حَدِيثٌ (٩).

قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولَّ سعى في الأرض ليُفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ﴿١﴾ : وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم - قاتل علي عليه السلام - وهي قوله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ » ﴿٢﴾ .

فلم يقبل ، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاثة ألف فلم يقبل ، فبذل له أربعمائة ألف فقبل ، وروى ذلك ﴿٣﴾ .

٨ - وفي ترجمة الإمام علي لابن عساكر أثبتت عدداً من الأحاديث الموضوعة التي اختلقواها في قبال حديث الولاية وأدلة الخلافة منها :

الحديث ١١٣٨ : أنه في مرض رسول الله الذي توفي فيه ، قال العباس لعلي عليه السلام : اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسألة : فيمن هذا الأمر ؟ فإن كان فيينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا كلامنا فأوصي بنا .

فقال علي : « إنا والله لئن سألناه فمَنَعَناها ، لا يُعطينها الناس بعد أبداً » ! وذكر عددة أحاديث مثله في الباب ﴿٤﴾ .

ثانياً : المناقب المصنوعة ..

تقديم الكلام في كتاب معاوية إلى عماله : ولا تتركوا خبراً يرويه أحد في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة .
وقول نفطويه : إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة

(١) البقرة : ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) البقرة : ٢٠٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ٦٣ - ٧٣ باختصار .

(٤) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ٣ : ٩٨ .

اختلقت في أيام بني أمية .

وقول أحمد بن حنبل : فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتلته ، فأطروه كيداً منهم له .

حتى صار الرجل الذي يُذكر بالخير - كما قال الإمام الباقر عليه السلام -
يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت وقعت ، وهو يحسب أنها حق لكثرة من رواها .
وقد ذكر ابن أبي الحديد جملة من هذه الأحاديث ، منها :

١ - حديث : « لو كنت متخدنا خليلاً لا تخدت أبا بكر » قال : فإنهم وضعوه في مقابلة حديث الإخاء .

٢ - وحديث سد الأبواب ، فإنه كان لعلي عليه السلام قلبه البكرية إلى أبي بكر .

٣ - ونحو : « ائتوني بدواه وبياض أكتب فيه لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه اثنان » ثم قال : « يأبى الله تعالى والمسلمون إلا أبو بكر » .

فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه صلى الله عليه وأله وسلم في مرضه : « ائتوني بدواه وبياض أكتب لكم كتاباً لا تضلوا به أبداً » فاختلفوا عنده ، وقال قوم منهم : لقد غلبه الوجع ، حسبنا كتاب الله !.

٤ - ونحو حديث : « أنا راضٍ عنك فهل أنت عنِّي راضٌ » ونحو ذلك^(١) .
هذا ما ذكره هنا شاهداً على قوله ، وأما المتبع فيجد العشرات من هذه (المناقب !) إذ لم يتركوا منقبة لعلي عليه السلام إلا صنعوا أمثاها وزادوا على ذلك كثيراً كما أمر معاوية بن أبي سفيان !

وقد شهد بذلك كثير من علماء الحديث وذكروا طرفاً من تلك الأحاديث

كما فعل السيوطي في (اللآلئ المصنوعة) والشوكاني في (الفوائد المجموعة) وانتخبنا من ذلك ما يفي بغرض الاستشهاد، فمنها :

١ - حديث : إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ أَبَا بَكْرَ الْخَلِيفَةَ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَوَحْيِهِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ تُفْلِحُوا ، وَأَطِيعُوهُ تُرْشَدُوا .

قال الشوكاني : رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعاً ، وهو موضوع .

٢ - حديث : لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ، قَلَتْ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ الْخَلِيفَةَ بَعْدِي عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ .

فارتَجَّتِ السَّمَاءُ ، وَهَنَفَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ : يَا مُحَمَّدُ ، اقْرَأْ : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ قد شاء الله أن يكون من بعده أبو بكر الصديق .

قال : رواه الجوزي عن أبي سعيد مرفوعاً ، وهو موضوع .

٣ - حديث : لَوْلَمْ أُبْعِثْ فِيْكُمْ لَبَعْثَ عُمْرٍ .

قال : في إسناده وضاع .

٤ - حديث : رأيت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُتَكَبِّلاً عَلَى عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَإِذَا أَبُو بَكْرَ وَعَمْرَ أَقْبَلَا ، قَالَ : يَا أَبَا الْحَسْنَ ، أَحَبَّهُمَا ، فَجَبَّهُمَا تَدْخُلَ الْجَنَّةِ .

قال : روی عن أبي هريرة ، ولا يصحّ .

٥ - حديث : أَنَّهُ آخِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَبِي بَكْرَ وَعَمْرَ فَقَالَ لَهُمَا : أَنْتُمَا وَزِيرَايِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

قال : رواه ابن حبان عن أنس مرفوعاً ، وهو موضوع .

٦ - حديث : إِنَّ لَكُلَّ نَبِيٍّ خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِهِ ، وَإِنَّ خَلِيلَ عُثْمَانَ .

قال : هو من أباطيل الملطى .

٧ - حديث : خَذُوا شَطَرَ دِينِكُمْ عَنِ الْحُمَرَاءِ .

قال : قال ابن حجر : لا أعرف له إسناداً ، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث ، إلا في نهاية ابن الأثير ، وإنما في الفردوس بغير إسناد : خذوا ثلث دينكم من بيت عائشة . وسئل المزي والذهبي فلم يعرفاه .

٨ - حديث : أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ القلم من يد علي فدفعه إلى معاوية .

قال : هو موضوع .

٩ - حديث : الأمانة عند الله ثلاثة : أنا ، وجبريل ، ومعاوية .

قال : قال النسائي ، وابن حبان ، والخطيب : إنه باطل .

١٠ - ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، عثمان ذو النورين .

قال : قال ابن حبان : موضوع ، وكذا قال الذهبي^(١) .

ومن طريف ما يذكر في هذا الباب ما رواه معمر^(٢) عن الزهرى ، قال : سألت الزهرى : من كان كاتب الكتاب يوم الحديبية ؟

فضحك ، وقال : هو علي ، ولو سألت هؤلاء قالوا : عثمان ، يعني بني أمية^(٣) ! ومثل هذا يقال في حديث (أول من أسلم) وبعد أن نقل إجماع أكثرهم أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو أول الناس إسلاماً^(٤) ظهر كلام آخر

(١) انظر كتاب : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : ٣٣٠ - ٤٢٠ .

(٢) هو معمر بن راشد الأزدي ، وقد عُذّ فيمن دار الإسناد عليهم ، حدث عن قتادة والزهرى وغيرهم ، وقيل فيه : لم يبق في أهل زمانه أعلم منه ، وقد تمسكوا بحديثه عن الزهرى وابن طاوس ، توفي سنة ١٥٢ هـ .

تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٣٩ / ٢٤٣ .

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ٢ : ٥٩١ / ١٠٠٢ ، والمحب الطبرى في الرياض النبرة ١٥٦ : ٣ .

(٤) أسد الغابة ٤ : ١٦ - ١٧ ، تاريخ الخلفاء : ١٣٢ ، الإصابة ٤ : ٢٦٩ ، الطبقات الكبرى ٣ : ←

ليُشرك معه غيره في هذه المنزلة ! فلجموا إلى التصنيف ، فقالوا : أول من أسلم من الغلمان علي ، ومن الرجال أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالى زيد ! ولكن هل سيُقدّم هذا الكلام من تأْخِر ، أم سيُؤخَر من تقدّم ؟

وما ورد في الصحاح في إسلام علي عليه السلام :

١ - حديث أبي ذر الغفاري ، وأنس بن مالك : بُعث رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم يوم الاثنين ، وأسلم علي يوم الثلاثاء^(١) .

٢ - قوله صلى الله عليه وأله وسلم : « ولقد صلت الملائكة علي وعلى علي لأننا كنّا نصلّى وليس معنا أحد يصلّى غيرنا »^(٢) .

٣ - حديث علي عليه السلام : « إني عبد الله ، وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقوها بعدي إلا كاذب ، صلّيت قبل الناس بسبعين سنين قبل أن يعبده أحد في هذه الأُمّة »^(٣) .

٤ - قوله صلى الله عليه وأله وسلم : « أول هذه الأُمّة وروداً على نبيها

→ ٢١ ، البدء والتاريخ ٤ : ١٤٥ ، كتاب الأولي : ٩١ - ٩٣ ، الاستيعاب ٣ : ٢٧ - ٢٨ ، السيرة النبوية للذهبي : ٧٠ ، السيرة الحلبية ١ : ٤٣٥ ، فضائل الصحابة ٢ : ح / ٩٩٧ ، ١٠٠٣ ، سيرة ابن إسحاق : ١٣٧ ، الرياض النبرة ٣ : ١٠٩ - ١١٥ ، الصواعق المحرقة - الباب ٩ : ١٢٠ .

(١) سنن الترمذى ٥ : ٦٤٠ / ٣٧٢٨ ، المستدرك ٣ : ١١٢ ، أسد الغابة ٤ : ١٧ ، الاستيعاب ٣ : ٣٢ ، البدء والتاريخ ٤ : ١٤٥ ، الأولي : ٩١ ، جامع الأصول ٩ : ٤٦٧ / ٦٤٧٢ ، الرياض النبرة ٣ : ١١١ ، الصواعق المحرقة : ١٢٠ ، بجمع الزوائد ٩ : ١٠٣ ، ١٠٢ .

(٢) أسد الغابة ٤ : ١٨ ، الرياض النبرة ٣ : ١٢١ ، ذخائر العقى : ٦٤ ، ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر ١ : ٨٠ / ١١٢ ، ١١٣ ، وسائل أصحاب المناقب .

(٣) سنن ابن ماجة ١ : ٤٤ / ١٢٠ - وتعليقه المحقق بقول ابن حجر : إسناد صحيح رجاله ثقات - ، المستدرك ٣ : ١١٢ ، الخصائص للنسائي : ٣ ، الرياض النبرة ٣ : ١٢٤ ، ابن أبي الحديد ١٣ : ٢٠٠ .

أوّلها إسلاماً عليّ بن أبي طالب^(١) وكثير غيرها تدلّ كلّها دلالةً لا شكّ فيها أنّ علياً عليه السلام هو أول الناس إسلاماً وأوّلهم تصديقاً لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بلا منازع .

(١) المستدرك ٣ : ١٣٦ وذيله ، الاستيعاب ٣ : ٢٧ - ٢٨ بثلاث طرق ، أسد الغابة ٤ : ١٨ ، تاريخ بغداد ٢ : ٨١ ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ١ / ٨٢ : ١١٨ ، الرياض النضرة ٣ : ١١٠ ، ذخائر العقبى : ٥٨ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٠٢ وقال : رواه الطبراني ورجاه ثقات ، منتخب كنز العمال بهامش مستند أحمد ٥ : ٣٣ ، أصحاب المناقب .

على تلك الخطى

وعلى تلك الخطى سار جماعة من أصحاب الحديث وأئمّة الجرح والتعديل
فأحاطوا بمناقب أهل البيت ، وطعنوا رواتها وإن كانوا من أوثق الناس ،
وأكثرهم صلاحاً وحفظاً وإتقاناً ، في حين اعتمدوا رجالاً من المنحرفين والمطعونين
في خلاف ذلك . وإليك هذه النبذة الموجزة :

أولاً.. مع حديث الطير :

قال سبط ابن الجوزي^(١) - وقد روى حديث الترمذى من طريق السُّدِّى
عن أنس بن مالك ، فقال - : قال الترمذى : والسُّدِّى اسمه إسماعيل بن عبد
الرحمن ، سمع من أنس بن مالك ، وروى عن الحسن بن علي ، ووثقه سفيان
الثورى ، وشعبة ، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم .
قال: قلت : إنما ذكر الترمذى هذا في تعديل السُّدِّى لأنّ جماعةً تعصّبوا

(١) هو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن فراغي - تركية بمعنى : الجوزي - بن عبد الله التركي البغدادي
الحنفى ، سبط الإمام أبي الفرج بن الجوزي - وقد انتهت إليه رئاسة الوعظ وحسن التذكير ومعرفة
التاريخ ، توفي في سنة ٦٥٤ هـ .
سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٢٩٦ : ٢٠٣ .

عليه ليُبطلوا هذا الحديث ، فعدله الترمذى .

قال: أوقال الحاكم أبو عبد الله النسابوري : حديث الطائر صحيح يلزم البخاري ومسلم إخراجه في صحيحيهما لأن رجاله ثقات، وهو من شرطها .

ثم قال : فإن قيل : لم لم يخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين^(١) ؟ فالجواب : إنما لم يخرجه لأن محمد بن طاهر المقتسى ، والدارقطنى تعصبا عليه ، وأخرجا لحديث الطائر طرقاً ضعيفاً ، فإنه لما صنف المستدرك بلغ الدارقطنى ، فقال : لعله يستدرك عليهما حديث الطير ، فتركه ، ثم رموا الحاكم بالتشييع لأجل هذا^(٢) .

ثانياً . مع حديث مدينة العلم :

أخرج الحاكم هذا الحديث من طريق أبي الصَّلت الْهَرَوِي - عبد السلام ابن صالح - وقال: هذا حديث صحيح ، وأبو الصَّلت ثقة مأمون فإني سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب في التاريخ يقول : سمعت العباس بن محمد الدورى يقول: سألت يحيى بن معين عن أبي الصَّلت الْهَرَوِي ، فقال : ثقة .

فقلت : أليس قد حدث عن أبي معاوية ، عن الأعمش « أنا مدينة العلم » ؟

فقال : قد حدث به محمد بن جعفر الفيدى وهو ثقة مأمون^(٣) .

(١) أخرج الحاكم حديث الطير في المستدرك من طريق يحيى بن سعيد عن أنس ، وقال : رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثة نفساً ، ثم صحت الرواية عن علي ، وأبي سعيد الخدري ، وسفينة وأخرجه أيضاً من طريق ثابت البناي عن أنس ، إلا أنه لم يخرجه من طريق السُّنْي . انظر المستدرك ٣ : ١٣٠ - ١٣١ .

(٢) تذكرة الخواص : ٣٩ .

(٣) المستدرك ٣ : ١٢٦ .

ثم تَعَقَّبَهُ الْذَّهَبِيُّ فَقَالَ : قَالَ : الْمَدِيدُ صَحِيحٌ . قَلْتُ : بَلْ مَوْضِعٌ .
وَقَالَ : وَأَبُو الصَّلْتَ ثَقَةُ مَأْمُونٍ قَلْتُ : لَا وَاللَّهِ لَا ثَقَةُ لَا مَأْمُونٌ^(١) !

وَزَادَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ : قَرَأْتُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَةَ بْنِ رَمِيمِ النَّسْوَيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَمْدَةَ بْنَ عُمَرَ بْنَ بَسْطَامَ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ سَيَارَ بْنَ أَيُّوبَ يَقُولُ : أَبُو الصَّلْتَ عَبْدُ السَّلَامِ ابْنُ صَالِحٍ الْهَرَوِيِّ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ مِنْ مَوَالِيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمْرَةَ ، وَقَدْ لَقِيَ وَجَالَ السَّنَاءَ ، وَرَحَّلَ فِي الْمَدِيدِ ، وَكَانَ صَاحِبَ قَشَافَةً ، وَهُوَ مِنْ آحَادِ الْمَدْعُودِينَ فِي الزَّهْدِ ، وَكَانَ يَعْرِفُ بِكَلَامِ الشِّعْيَةِ ، وَنَاظَرَتْهُ فِي ذَلِكَ لِأَسْتَخْرِجُ مَا عَنْهُ فَلَمْ أَرَهُ يُفْرِقُ ، إِلَّا أَنَّهُ ثُمَّ أَحَادِيثَ يَرَوُهَا فِي الْمَثَابِ ، وَسَأَلَتْ إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنْ تَلْكَ الْأَحَادِيثِ وَهِيَ أَحَادِيثُ مَرْوَيَّةٍ ، نَحْوُ مَا جَاءَ فِي أَبِي مُوسَى ، وَمَا رُوِيَ فِي مَعَاوِيَةَ ، فَقَالَ : هَذِهِ أَحَادِيثٌ قَدْ رُوِيَتْ .

وَقَالَ : سُئِلَ يَحْيَى بْنُ مَعْنَى عَنْ أَبِي الصَّلْتَ الْهَرَوِيِّ فَقَالَ : ثَقَةٌ صَدُوقٌ ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَشَبَّهُ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَنِيدِ قَالَ : سَمِعْتُ يَحْيَى - وَذُكِرَ أَبُو الصَّلْتَ الْهَرَوِيُّ - قَالَ : لَمْ يَكُنْ أَبُو الصَّلْتَ عِنْدَنَا مِنْ أَهْلِ الْكَذْبِ .

قَالَ : وَأَمَّا حَدِيدُ الْأَعْمَشِ فَإِنَّ أَبَا الصَّلْتَ كَانَ يَرْوِيهِ عَنْ أَبِي مَعَاوِيَةَ عَنْهُ ، فَأَنْكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ وَيَحْيَى بْنُ مَعْنَى مِنْ حَدِيدِ أَبِي مَعَاوِيَةَ ، ثُمَّ بَحَثَ يَحْيَى عَنْهُ ، فَوُجِدَ غَيْرُ أَبِي الصَّلْتَ قَدْ رَوَاهُ عَنْ أَبِي مَعَاوِيَةَ .

أَخْبَرَ حَمْدَةَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ رَزْقَ ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ مَكْرَمَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ مَكْرَمَ الْقَاضِيِّ ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْبَارِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو الصَّلْتَ الْهَرَوِيُّ ، حَدَّثَنَا أَبُو مَعَاوِيَةَ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنِ الْمُجَاهِدِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ

(١) هامش المستدرك : الجزء والصفحة .

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أنا مدينة العلم وعلىٰ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب ». .

قال القاسم : سألت يحيى بن معين عن هذا الحديث . فقال : هو صحيح .
وقال محمد بن يعقوب الأصم : سمعت العباس بن محمد الدورى يقول :
سمعت يحيى بن معين يُوثق أبا الصَّلَتْ عبد السلام بن صالح ، فقلت : إنه حدث عن أبي معاوية عن الأعمش : « أنا مدينة العلم وعلىٰ بابها » ؟ !
فقال : ما تُريدون من هذا المسكين ، أليس قد حدث به محمد بن جعفر الفيدى عن أبي معاوية^(١) ؟

ثالثاً .. محنَة الأعمش :

وكان يحدث بفضائل عليٰ عليه السلام ولا يكتمنها إلا قليلاً ، فلاقى ما لاقى ، وهما هو يحدث عن نفسه في قصة وقعت له يروها الخوارزمي ، وابن المغازى قالا :

حدث المدائى ، وأبو معاوية ، وسلیمان بن سالم : حدثنا الأعمش ، قال :
وجه إلى المنصور ، فقلت للرسول : لما يريدى أمير المؤمنين ؟
قال : لا أعلم .

فقلت : أبلغه أني آتاه . ثم تفكّرت في نفسي ، فقلت : ما دعاني في هذا الوقت لخير ، ولكن عسى أن يسألني عن فضائل أمير المؤمنين عليٰ بن أبي طالب عليه السلام ، فإن أخبرته قتلني - قال - فتطهّر ، ولبسْ أكفاني ، وتحتنط ، ثم كتبت وصيّي ، ثم صرت إليه ، فوجدت عنده عمرو بن عبيد^(٢) فحمدت الله

(١) تاريخ بغداد ١١ : ٤٦ - ٥٠ .

(٢) أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب ، شيخ العزلة ، جده من سبى كابل من جبال السند ، وكان أبوه يخلف أصحاب الشرط بالبصرة ، فكان الناس إذا رأوا عمراً مع أبيه ، قالوا : هذا خير الناس ابن شر

تعالى ، وقلت : وجدت عنده عون صدق من أهل النُّصرَةِ .

قال لي : أدن يا سليمان . فدنوت ، فقال : يا سليمان ، ما هذه الراحلة ؟
والله لتصدقي وإلا قتلتك .. فأخبره بأمره ، فاستوى جالساً ، ثم قال :
أخبرني - بالله وبقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كم رويت في
علي من فضيلة من جميع الفقهاء ، وكم يكون ؟

قلت : يسير ، يا أمير المؤمنين .

قال : على ذاك .

قلت : عشرة آلاف حديث ، وما زاد .

قال : يا سليمان ، لا حدثتك في فضائل علي عليه السلام حديثين يأكلان
كل حديث رويته عن جميع الفقهاء ، فإن حلفت لي ألا تروها لأحد من الشيعة
حدثتك بها .

قلت : لا أحلف ، ولا أخبر بها أحداً منهم - فحدثه بالحديثين في قصة
طويلة ، في أحدهما : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا أدلّكم على
خير الناس جداً وجدةً وأباً وأاماً » ؟
قالوا : بلى ، يا رسول الله .

قال : « عليكم بالحسن والحسين ، فإن جدهما محمد رسول الله ، وجدهما
خديجة بنت خويد سيدة نساء أهل الجنة ، وأباها علي بن أبي طالب ، وهو خير
منها ، وأمهما فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء أهل الجنة ».
وفي الثاني ، قوله صلى الله عليه وآله وسلم لبضعته الزهراء : « إن الله

→
الناس ، فيقول أبوه : صدقتم ، هذا إبراهيم وأنا آزر . وكان لعمرو مجالس وأخبار مع أبي جعفر المنصور
وكان صاحبه وصديقه قبل الخليفة .

كانت ولادته سنة ٨٠ ووفاته سنة ١٤٤ هـ .

وفيات الأعيان ٣ : ٤٦٠ .

اطلع على أهل الدنيا فاختار من الخلائق أباك ، فبعثهنبياً ، ثم اطلع ثانيةً فاختار من الخلائق علياً ، فأوحى إلى فروجتك إياه ، واتخذته وصيماً وزيراً » .

ثم قال : يا سليمان ، سمعت في فضائل علي أعجب من هذين الحديدين ؟
يا سليمان ، حب علي إيمان ، وبغضه نفاق .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، الأمان ؟

قال : لك الأمان .

قلت : فما تقول - يا أمير المؤمنين - فيمن قتل هؤلاء ؟

قال : في النار ، لا أشك .

قلت : فما تقول فيمن قتل أولادهم ، وأولاد أولادهم ؟ - قال - فنكّس رأسه ، ثم قال : يا سليمان ، الملك عقيم ، ولكن حدث عن فضائل علي بما شئت .

فقلت : فمن قتل ولده فهو في النار .

فقال عمرو بن عبيد : وأخبرني الشيخ الصدق - يعني الحسن البصري -

عن أنس ، أن من قتل أولاد علي لا يشم رائحة الجنة .

قال : فوجدت أبا جعفر - المنصور - وقد حمض وجهه ، وخرجنا ، فقال أبو جعفر : لو لا مكان عمرو ما خرج سليمان إلا مقتولاً^(١) .

ودخل على الأعمش جماعة فيهم أبو معاوية ، فقالوا له : لا تحدث هذه الأحاديث .

فقال : يسألوني ، فما أصنع ؟ ربما سهوت ، فإذا سألوني عن شيء من هذا فذكروني .

قال أبو معاوية : وكنا يوماً عنده ، ف جاء رجل فسأله عن حديث « قسيم

(١) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي : ١٤٣ - ١٥٥ باختصار شديد ، ورواوه الحوارزمي في المناقب باختلاف يسير في بعض الألفاظ : ٢٠٨ - ٢٠٠ .

النار » فتَّخَنَحَتْ ، فقال الأعمش : هؤلاء المُرجنة لا يدعوني أحدث بفضائل عليٍّ رضي الله عنه ، أخرجوهم من المسجد حتى أحدثكم^(١) .
ولكنَّ الأعمش خضع مرهًّا :

قال محمد بن داود الحداني ، سمعت عيسى بن يونس يقول : ما رأيت الأعمش خضع إلا مرهًّا واحدةً ، فإنه حدثنا بهذا الحديث ، قال : قال عليٌّ « أنا قسيم النار » فبلغ ذلك جماعةً فجاءوا إليه ، فقالوا : تُحدث بأحاديث تقوّي بها الرافضة والزيدية والشيعة ؟ !

قال : سمعت فحدثت به .

قالوا : أوكلَ شيء سمعته تُحدث به ؟ !

قال : فرأيته خضع ذلك اليوم^(٢) .

فمن هو الأعمش ؟

هو سليمان بن مهران أبو محمد الأستي ، مولاهم الكوفي^(٣) (٦٠ - ١٤٨ هـ) رأى أنس بن مالك وحدث عنه . قال يحيى بن معين : الأعمش ثقة .
وقال النسائي : ثقة ثبت .

وقال يحيى : هو علامة الإسلام .

وقال عمرو بن عليٍّ : كان الأعمش يسمى المصحف ، من صدقه .

وقال الموصلي : ليس في المحدثين أثبت من الأعمش .

وقال القاسم بن عبد الرحمن : هذا الشيخ - الأعمش - أعلم الناس
بقول عبد الله بن مسعود .

(١) أورده ابن عساكر في تاريخه ، انظر ترجمة الإمام عليٍّ ٢ : ٢٤٥ / ٧٦٣ - ٧٦٥ .

(٢) المصدر ٢ : ٢٤٦ .

وقال أَحْمَدُ بْنُ حَنْبِلَ : أَبُو إِسْحَاقَ^(١) ، وَالْأَعْمَشَ رَجُلًا أَهْلَ الْكُوفَةِ .
وقال عَلَيَّ بْنُ الْمَدِينِيَّ : حَفِظَ الْعِلْمَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
سَتَّةً : فَلَا هُلُوكَةَ عُمَرٍ بْنِ دِينَارٍ ، .. وَلَا هُلُوكَةَ أَبُو إِسْحَاقِ السَّبِيعِيِّ ،
وَسَلِيمَانَ الْأَعْمَشَ^(٢) ..

فَهُلْ سَلَمَ الْأَعْمَشَ مِنَ الطَّعْنِ ؟ لَمْ يَسْلِمْ الْأَعْمَشُ ، وَلَمْ يَسْلِمْ مَعَهُ أَبُو
إِسْحَاقِ السَّبِيعِيِّ !

قال الذهبي : فالاعمش مع إمامته إلا أنه يدلّس ، وربما دلّس عن ضعيف
وهو لا يدرى . ثم نقل كلام ابن المبارك ، والمغيرة : إنما أفسد حديث أهل الكوفة
أبو إسحاق والأعمش^(٣) .

وقال ابن حجر : قال الجوزجاني : كان قوم من أهل الكوفة لا تُحمد
مذاهبهم - يعني للتشييع - وهم رؤوس محدثي الكوفة ، مثل : أبي إسحاق ،
والاعمش^(٤) ..

رابعاً .. مخنة النسائي^(٥) :
قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني : كان - الحافظ النسائي - قد صنف

(١) هو عمرو بن عبد الله السبئي ، تابعي روى عن علي عليه السلام والمغيرة وزيد بن أرقم وسليمان بن
صرد ، والبراء بن عازب - ولد لستين بقيتا من خلافة عثمان .
تهذيب التهذيب ٨ / ٦٣ - ١٠٠ .

(٢) تهذيب الكمال ١٢ : ٧٦ / ٢٥٧٠ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٢٦ / ١١٠ .

(٣) ميزان الاعتلال ٢ : ٢٢٤ / ٣٥١٧ .

(٤) تهذيب التهذيب ٨ : ٦٦ .

(٥) هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب ، صاحب السنن ، إمام عصره في الحديث
ولد بنسا من خراسان وإليها ينسب ، وتوفي سنة ٣٠٣ هـ .
وفيات الأعيان ١ : ٧٧ ، سير أعلام النبلاء ١٤ : ١٢٥ / ٦٧ .

كتاب (المخانص) في فضل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل البيت ،
فقيل له : ألا تصنف كتاباً في فضائل الصحابة رضي الله عنهم ؟
قال : دخلت دمشق والمنحرف عن عليّ عليه السلام كثير ، فأردت أن
يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب .

وسئل - وهو في الشام - عن معاوية ، وما رُويَ من فضائله .
قال : أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس ، حتى يُفضل ؟
وفي رواية أخرى ، قال : ما أعرف له فضيلة إلا : « لا أشبع الله بطنك ».
قال الراوي - وكان يتسبّع ، فما زالوا يدفعونه في حضنه - وفي رواية في
خُصْيَّة - وداسوه ، ثم حُمل إلى الرملة ، فمات فيها ^(١) .

خامساً . . . في الجرح والتعديل :

لم يسلم النسائي ، ولم يسلم الحاكم ، ولا أبو إسحاق السبيبي ، ولا
الأعمش ، ولا أبو الصّلت الهرّاوي ، ولا عشرات من أمثالهم يطول إحصاؤهم لم
يسلموا من الطعن ! فهل كان هذا الطعن عليهم كله بحق ؟
مسألة على درجة من الأهمية يعرف خطورتها كل من له اهتمام بأمر هذا
الدين . وقد أحالنا الجواب فيها إلى واحد من أبرز تلامذة الذهبي ، ينقله عنه
تلמיד آخر له ، هو الناج السبكي ، ويضيف عليه رأيه :
قال الناج السبكي : إنَّ أهل التاريخ ربّا وضعوا من أنس ، أو رعوا
أناساً إما لتعصب ، أو جهل ، أو مجرد اعتقاد على نقلَ من لا يُوثق به .
قال : والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل ، وكذلك
التعصب ، قلَّ أن رأيت تاريخاً خالياً منه .

(١) سير أعلام النبلاء ١٤ : ١٢٥ ، وفيات الأعيان ١ : ٧٧ والنّصّ عنه يباحز

أما تاريخ شيخنا الذهبي ، غفر الله له ولا آخذه ، فإنه على حسن وجمعه مشحون بالتعصب المفرط ، فلقد أكثر الحقيقة في أهل الدين ، أعني الفقراء الذين هم صفة الخلق ، واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعية والحنفية ، وقال وأفرط على الأشاعرة ، ومدح زاد في المحبة ، هذا وهو الحافظ القدوة ، والإمام المبجل ، فما ظنك بعوام المؤرخين ؟ فالرأي عندنا أن لا يُقبل مدح ولا ذمًّا منهم إلا بما اشترطه - يعني والده وقد ذكر شرطًا لذلك منها : الصدق ، والمعرفة ، وعدم غلبة الهوى - .

ثم قال : لا يجوز الاعتماد على الذهبي في ذم أشعري ، ولا شكر حنفي ، لما حكى عن العلائي كونه - بعد وصفه له بالتدين والورع قال - : قد غالب عليه مذهب الإثبات والغفلة عن التنزيه ، حتى أثر ذلك في طبعه انحرافاً شديداً عن أهل التنزيه وميلأ قوياً إلى أهل الإثبات . فإذا ترجم واحداً منهم يُطبع في وصفه بجميع ما قيل فيه من المحسن ، ويبالغ في وصفه ، ويتجاهل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن .

وإذا ذكر أحداً من الطرف الآخر ، كإمام الحرمين ، والغزالى ، ونحوهما ، لا يبالغ في وصفه ، ويكثر من قول من طعن فيه ، ويعيد ذكره ، ويبديه ، ويعتقد أنه ديناً وهو لا يشعر ، ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها ، وإذا ظفر بأحدٍ منهم بغلطة ذكرها .

وكذلك فعله في أهل عصراً ، إذا لم يقلّد على أحد منهم بتصریح يقول في ترجمته : والله يعلم . ونحو ذلك مما سببه المخالفۃ في العقائد .

قال الناج : إن الحال في حقه أزيد مما وصف العلائي ، وهو شيخنا ، ومعلمنا ، غير أن الحق أحق أن يتبع ، وقد وصل من التعصب المفرط إلى حدّ

يُسخر منه ، وأنا أخشى عليه يوم القيمة من غالب علماء المسلمين^(١) .

- وكان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) قد تلمند في الحديث على أبي الحجاج المزي (٦٥٤ - ٧٤٢ هـ) وفي الفقه على ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) وأخذ عنه مذهبة وسار عليه .

- وأبرز من سار على نهج الذهبي تلميذه ابن كثير الدمشقي (٧٠١ - ٧٧٤ هـ) صاحب التفسير ، والتاريخ المعروف بـ (البداية والنهاية) .

- وإذا كان هذا حظ الأحناف ، والشافعية ، والأشعرية عندهم ، فكيف سيكون حظ آخرين ، يا ترى ؟

في الميزان :

وكل شيء سينتهي إلى الميزان ، وكل فعلٍ أو قولٍ إنما يقول إلى عاقبته ،
فما هو نصيب أرباب تلك الخطة ؟

هذا ما تخبرنا به العديد من أحاديث نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت تنبئ بحدوث أشياء كهذه ، ثم تصف عواقب أهلها ، ومن ذلك :

١ - قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَنْ كَذَّبَ عَلَيْهِ مَتَعَمِّدًا فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَه مِنَ النَّارِ»^(٢) .

٢ - قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث القديسي : «مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ اسْتَحْلَلَ مُحَارِبِي»^(٣) .

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ - للسخاوي - : ٧٣ - ٧٦ أخذه عن كتاب (معيد النعم) للناتج السبكي .

(٢) صحيح مسلم ١ : ١٠ ، مستند أحاد ١ : ٤٧ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ١٣٠ ، ١٦٥ ومواضع أخرى ، مجمع الزوائد من ست وثلاثين طریقاً معظمها في الجزء الأول : ١٤٣ - ١٤٨ ، والحديث متافق عليه .

(٣) مجمع الزوائد ٢ : ٢٤٧ ، مستند أحاد ٦ : ٢٥٦ ، كنز العمال ١ / ١١٥٧ .

٣ - قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من آذى علياً فقد آذاني » ^(١) .
وأقرأ قوله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يُؤذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا
وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا » ^(٢) .

٤ - قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي » ^(٣) .

٥ - قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « فاطمة بضعة مني من أغضبها
أغضبني » ^(٤) .

وأخرج ابن حجر في الصواعق قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا
فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك » .

ثم قال : فمن آذى أحداً من ولدها فقد تعرض لهذا الخطر العظيم لأنّه
أغضبها ^(٥) .

٦ - قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن والحسين عليهما السلام :
« الحسن والحسين ابني من أحبهما أحبني ، ومن أحبني أحبه الله ، ومن أحبه الله

(١) مسند أحمد : ٤٨٣ ، المستدرك : ٣ / ٤٢٢ ، وصححه ، دلائل النبوة : ٥ / ٣٩٥ ، الجامع الصغير : ٢ / ٥٤٧ ،
٨٢٦٦ ، مجمع الزوائد : ٩ / ١٢٩ ، البداية والنهاية : ٧ / ٣٥٩ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان : ٩ / ٣٩ :
٦٨٨٤ ، الاستيعاب : ٣ / ٣٧ ، فضائل الصحابة : ٢ / ٦٣٣ ، تاريخ الخلفاء : ١٣٧ ،
الرياض النضرة : ٣ / ١٢١ ، الصواعق المحرقة باب ٩ فصل ٢ : ١٢٣ ، شواهد التنزيل : ٢ / ٩٨ : ٧٧٨ - ٧٧٧
وغيرهم ، وأصحاب المناقب جمياً .

(٢) الأحزاب : ٥٧ .

(٣) مسند أحمد : ٦ / ٣٢٣ ، المستدرك : ٣ / ١٢١ - ١٢٢ ، الحصانص للنسائي : ١٧ ، مجمع الزوائد : ٩ / ١٣٠ ،
الترجمة في تاريخ ابن عساكر : ٢ / ١٨٢ / ٦٦٧ ، البداية والنهاية : ٧ / ٣٦٧ تاريخ الخلفاء : ١٣٧ ،
المناقب للخوارزمي : ٩١ .

(٤) صحيح البخاري : ٥ / ٩٢ ، ٢٠٩ / ١٩٠٢ ، مسلم : ٤ / ٩٣ - ٩٣ ، ٢٤٤٩ ، الترمذى : ٥ / ٦٩٨ ، ٣٨٦٧
مصالح السنة : ٤ / ١٨٥ ، المستدرك : ٣ / ٤٧٩٩ ، مجمع الزوائد : ٩ / ١٥٨ ، الجامع الصغير : ٢ / ٢٠٣ ،
صحيح البخاري : ٥ / ٥٨٣٣ وبعدة .

(٥) الصواعق المحرقة باب ١١ فصل - ١ - المقصد الثالث ، وأخرجه السيوطي في الحصانص الكبرى : ٢ / ٤٦٤ .

أدخله الجنة ، ومنْ أبغضها أبغضني ، ومنْ أبغضني أبغضه الله ، ومنْ أبغضه الله
أدخله النار »^(١) .

٧ - قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلَيْهِ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحَسِينَ عَلَيْهِم
السَّلَامُ : «أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ ، وَسَلَامٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ»^(٢) .

٨ - قالت أم سَلَمَةَ : جاءت فاطمة بنت النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مُتَوَرِّكَةً الْحَسَنَ وَالْحَسِينَ ، فِي يَدِهَا بُرْمَةً - أَيْ قِدْرٍ - فِيهَا سَخِينٌ
حَتَّى أَتَتْ بِهَا النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قُدَّامَهُ قَالَ لَهَا :
«أَيْنَ أَبُو الْحَسَنِ؟» .

قالت : «هُوَ فِي الْبَيْتِ» فَدَعَاهُ ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
وَعَلَيْهِ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحَسِينَ يَأْكُلُونَ - قَالَتْ أم سَلَمَةَ - وَمَا سَامَنِي النَّبِيُّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا أَكَلَ طَعَاماً قَطُّ وَأَنَا عَنْهُ إِلَّا سَامَنِيَ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ -
تَعْنِي بِـ«سَامَنِي» دُعَانِي إِلَيْهِ - فَلَمَّا فَرَغَ التَّفَّ عَلَيْهِمْ بِثَوْبِهِ ثُمَّ قَالَ : «اللَّهُمَّ عَادِ
مَنْ عَادَهُمْ ، وَوَالِّيَّ مَنْ وَالَّهُمَّ»^(٣) .

٩ - قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «لَوْ أَنْ رَجُلًا صَفَنَ»^(٤) بَيْنَ الرُّكْنِ

(١) المستدرك ٣ : ١٦٦ وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشِّيْخِيْنِ ، بَعْلَمِ الزَّوَانِدِ ٩ : ١٧٩ وَ ١٨١ ، الصَّوَاعِقُ
الْمُحْرَقَةُ بَابٌ ١١ ص ١٩٢ .

(٢) التَّرمِذِيُّ ٥ : ٦٩٩ / ٣٨٧٠ ، المستدرك ٣ : ١٤٩ ، ابن ماجة ١ : ١٤٥ / ٥٢ ، مسند أَحْمَدَ ٢ : ٤٤٢ ،
أُسْدُ الْغَافِيَّةِ ٣ : ١١ ، ٥٢٢ : ٥ ، بَعْلَمِ الزَّوَانِدِ ٩ : ١٦٩ ، مصايبِ الْسَّنَّةِ ٤ : ١٩٠ ، الإِحْسَانُ
بِتَرتِيبِ صَحِيحِ ابْنِ حَبَّانِ ٩ : ٦١ / ٦٩٣٨ ، الصَّوَاعِقُ الْمُحْرَقَةُ بَابٌ ١١ : ١٨٧ ، الْرِّيَاضُ النَّضَرَةُ
٣ : ١٥٤ ، شَوَّاهِدُ التَّنْزِيلِ ٢ : ٢٧ ، المُنَاقِبُ لِلْخَوَارِزَمِيِّ : ٩١ .

(٣) التَّارِيَخُ الْكَبِيرُ لِلْبَخَارِيِّ ٢ : ٦٩ / ٧٠ وَفِيهِ : «اللَّهُمَّ هُؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِيِّ» ، مسند أَبِي يَعْلَمِ ١٢ : ٣٨٣ /
٦٩٥١ ، بَعْلَمِ الزَّوَانِدِ ٩ : ١٦٦ - ١٦٧ وَقَالَ : إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ .

(٤) صَفَنَ : صَفَ قَدِيمَهُ .

لسان العرب (صفن) ١٣ : ٢٤٨ .

والملقام فصلٌ وصام ، ثم لقى الله وهو مُبغض لأهل بيته محمد دخل النار»^(١) .

إذن، فذلك نصيبهم في الميزان ..

(١) المستدرك ٣ : ١٤٩ وصححه على شرط مسلم ، الخصائص الكبرى ٢ : ٤٦٥ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٧١ ، الصواعق المحرقة : ١٧٤ ، ١٤٠ ، وقد وردت جميع هذه الأحاديث في سائر كتب المناقب .

بَيْنَ الصَّحَابَةِ ..

الصحابة - رضي الله عنهم - بياجاز :

قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ :
أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَبَّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَتَغَوَّنُ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُوقِهِ يُعْجِبُ الرِّزْاعَ لِيَغِيَظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(١).

أولئك رضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم ، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيراً ، وقد وعدهم الحسنی ، فطوبى لهم وحسن ما آب ..

أولئك الذين نصروا الله ورسوله ، وأحيوا دينه ، وأقاموا دعائيم دولة الإسلام ، وأماتوا أركان الجاهلية ..

أولئك الذين قال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام مذكراً بفضلهم : « ولقد

كَنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَقْتُلُ آبَاءَنَا ، وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا ،
وَأَعْسَامَنَا ، مَا يَرِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِبْيَانًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقَمِ^(١) ، وَصَرْبًا عَلَى
مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجَدَّاً فِي جَهَادِ الْعَدُوِّ . . .

فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صَدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبَتَ^(٢) ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ ، حَتَّى
اسْتَقَرَّ الإِسْلَامُ مُلْقِيًّا جَرَانَهُ^(٣) ، وَمُتَبَوِّئًا أُوْطَانَهُ .
وَلَعَمْرِيٍ لَوْ كَنَّا نَأْتَى مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلَّهِ دِينٌ عَمْدًا ، وَلَا اخْضَرَ لِلْإِيمَانِ
عُودًا . . .^(٤)

وقال عليه السلام مرّةً يصفهم ويذكر بعظيم منزلتهم، ويأسف على فقددهم:
«لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فما أرى أحداً يُشبهُمُّ منكم !
لقد كانوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبرَاً وقد باطُوا سُجَّداً وقِياماً، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ
جِاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْحَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ .
كَانَ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبُ الْمُعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ . إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَّلَ
أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبْلُغَ جُبُورَهُمْ ، وَمَادُوا كَمَا يَمْيِدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ ، خَوْفًا
مِّنِ الْعِقَابِ ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ»^(٥) .

وقال عليه السلام وهو يتحرق شوقاً إليهم: «أين إخواني الذين ركبوا
الطريق ومضوا على الحق؟
أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟^(٦)»

(١) اللَّقَمُ: مَعْظَمُ الطَّرِيقِ أَوْ جَادَتِهِ .

(٢) الْكَبَتُ: الإِذْلَالُ .

(٣) إِلَقاءِ الْجِرَانِ: كناية عن التَّمَكُّنِ .

(٤) نهج البلاغة بتحقيق صبحي الصالح: ٩١ - ٩٢ .

(٥) المصدر: ١٤٣ - ٩٧ - الفقرة الأخيرة .

(٦) هو الصحابي المليل أبو الهيثم مالك بن التيهان الأنصاري: كان ينذر الأصنام قبل الإسلام، ويقول
بالتَّوْحِيدِ ، وَهُوَ أَوْلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَنْصَارَ بِمَكَّةَ ، وَأَحَدُ السَّتَّةِ الَّذِينَ لَقَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ^(١) ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُم مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَلَوَّا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ ، وَتَدَبَّرُوا الْفَرَضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَوَا السَّنَةَ ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ ، دُعُوا إِلَى

→ والله وسَلَمَ في مَكَّةَ ، وأَحَدُ النَّبَيَّنَاتِ الْأَثَنِي عَشَرَ ، وأَحَدُ السَّبْعِينَ ، شَهَدَ بِدْرًا وَالْمَشَاهِدَ كُلُّهَا ، وَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُهُ خَارِصًا - يُقْدَرُ مَا عَلَى التَّخْلُفِ مِنْ تَرْ - فَلَمَّا كَانَ عَهْدُ أَبِي بَكْرٍ بَعْثَهُ فَأَبَى ، وَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ إِذَا خَرَصْتُ لِرَسُولِ اللهِ فَرَجَعْتُ ، دَعَاهُ .
وَكَانَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْجَمْلِ وَلَهُ أَرْجَازٌ ذُكْرُنَاهُ فِي حَدِيثِ الدَّارِ وَإِثْبَاتِ الْوَصِيَّةِ ، وَشَهَدَ مَعَهُ صَفَّيْنِ أَيْضًا ، وَفِيهَا اسْتَشْهَدَ رَضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ أُمِّيَّةُ الْأَنْصَارِيَّةُ تَرْثِيَهُ :

مَنْعَ الْيَوْمِ أَنْ أَذْوَقَ رُقَادًا مَالِكُ إِذْ مَضَى ، وَكَانَ عِبَادًا
يَا أَبَا الْهَيْثَمَ بْنَ تَيْهَانَ إِنِّي صَرَّتُ لِلَّهِ مَعْدِنًا وَوَسَادًا
وَبِهِذَا يَبْلُغُنَّ مَا زَعَمَهُ الْذَّهَبِيُّ وَابْنُ سَعْدٍ فِي إِصْرَارِهَا عَلَى قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ : إِنْ وَفَاتَهُ كَانَتْ سَنَةٌ
٢٠ هَجَرِيَّةً فِي خَلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . وَمَا يَشَهِدُ بِبَطْلَانِهِ هَذَا الزَّعْمُ أَيْضًا ، مَا أَثْبَتَهُ أَهْلُ التَّارِيخِ مِنْ
مَوَافِقٍ مَشْهُورَةٍ لِأَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ أَيَّامَ الْبَيْعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَلَافَةِ ، وَيَوْمَ بَدَا نَقْضُ الْبَيْعَةِ مِنَ الزَّبِيرِ
وَطَلْحَةِ وَمَرْوَانَ وَالْوَلِيدِ بْنِ الْعَقْبَةِ ، وَيَوْمَ الْجَمْلِ ، وَيَوْمَ صَفَّيْنِ إِذْ كَانَ يَسْوَى صَفَوفَ الْجَيْشِ وَيَخْطُبُ بِهِمْ
يَحْتَمِلُونَ عَلَى الْجَهَادِ بَيْنَ يَدِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : انْظُرْ شَرْحَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ (١) : ٢٢٠
وَ٢ : ٥١ وَ٤ : ٨ وَ٥ : ١٩٠ وَ٧ : ٣٦ ، ٣٩ وَ٢٠ : ١٩٠) وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ ابْنُ حَجْرٍ فَقَالَ : وَقِيلَ قُتْلَ
فِي صَفَّيْنِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ . (الإِصَابَةُ ٧ : ٢٠٩ / ١١٨٨) . وَانْظُرْ إِلَيْهِ الْأَبْيَاتِ الْمُذَكُورَةِ فِي رِثَائِهِ فِي كِتَابِ وَقْعَةِ
صَفَّيْنِ : ٣٦٥ .

(١) هو الصَّاحِبُ الْجَلِيلُ خُزِيمَةُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيُّ ، الَّذِي جَعَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَهَادَتَهُ
بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ ، وَكَانَ هُوَ وَعُمَيرُ بْنُ حِرْشَهُ يُكَسِّرَانِ أَصْنَامَ بَنِي خَطْمَةَ ، وَشَهَدَ بِدْرًا وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْمَشَاهِدِ
كُلُّهَا ، وَكَانَتْ رَأْيَةُ بَنِي خَطْمَةِ بِيَدِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَشَهَدَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْجَمْلَ وَصَفَّيْنِ وَاسْتَشْهَدَ بِصَفَّيْنِ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَقَالَتْ بَنْتُهُ ضَبْعَيْةُ تَرْثِيَهُ :

عَيْنُ جُودِي عَلَى خُزِيمَةَ بِالدَّمِ سَعِ قَتْلِ الْأَحْرَازِ يَوْمَ الْفُرَاتِ
قَلُوا ذَا الشَّهَادَتَيْنِ عُتُواً أَدْرَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ بِالرَّأْتِ
←

الجهاد فأجابوا ، ووثقوا بالقائد فاتبعوه «^(١) .

أولئك الذين بهم قام عمود الإسلام واشتد عوده ﴿ كَرْدُعٌ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾ .
 ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ .

﴿ أَوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

ولكنَّ السؤال : هل كلَّ من عاصر النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَأْهُ سيكون
 أبداً تحت ظِلال هذه التزكية الربانية ؟

وهل كلَّ منْ صَاحِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَقَمَ حِيَاتَهُ مَعَهُ ،
 ستُكتب له العصمةُ بعده ؟

وإن لم تُكتب له العصمة ، فهل سيكون مغفوراً له ما تأخر من ذنبه ،
 غير ملوم على ما يصنع ؟

الْحَكْمُ لِلَّهِ تَعَالَى ، أَوْلَأَ :

وهو سبحانه القائل : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٢) .

قتلوه في فتية غير عُزلٍ يُشَرِّعونَ الرُّكوبَ للدعواتِ
 نَصَرُوا السَّيِّدَ الْمُوفَّقَ ذَا الْعَذْلِ وَدَانُوا بِذَلِكَ حَتَّى الْمَهَاتِ
 لَعْنَ اللَّهِ مَعْشَرًا قَتْلُهُ وَرَمَاهُمْ بِالْحَرْزِيِّ وَالآفَاتِ

أُسد الغابة ٢ : ١١٤ ، وقعة صفين : ٣٦٥ والأبيات منه .

(١) نهج البلاغة - صبحي الصالح - ٢٦٤ - ١٨٢ - الفقرة الأخيرة .

(٢) الفتح : ٢٩ .

وهو جل ثناؤه القائل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدْ أَلله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(١).

فليس ثمة عصمة إذن ، فمنهم من قد ينكث عهده ، ومنهم من يفي . وليس في المقام عفو وصفح عنمن ينكث ، بل ﴿ يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . وإنما اختص بالأجر العظيم من أوفي ﴿ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ ﴾ . وهذا أمر لازم عقلاً أيضاً ، فليس الذين ثبتوا بعد نبيهم والذين ارتدوا عن الإسلام سواء . ولا من أوفي كمن نكث .

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٢).

أما فيمن مات على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا ينكر أحد وجود طابور المنافقين ، والمخاذيدين ، وقد تحدث القرآن الكريم عنهم ، وعنهم في عشرات الآيات حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آلا يصلّى على أحد مات منهم ، ولا يقُمْ على قبره ، وأمر هو صلى الله عليه وآله وسلم بهجرهم !

والحكم لرسوله ، ثانياً :

وأحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي الأخرى لا تمح العصمة لكل من صحب النبي ، ولا ترفع عنهم احتمال الخطأ ، أو التقاус عن الحق ، بل حتى الانحراف والارتداد .

(١) الفتح : ١٠ .

(٢) غافر (المؤمن) : ٥٨ .

ومن ذلك : قوله المشهور في خطبة حجّة الوداع : « فلا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »^(١) .

ثم حديث الحوض المشهور الذي يُخْبِر بعاقبة الكثير من الصحابة ، وتناقلته كتب الصاحب بأسانيد عديدة ، ومتون متشابهة ، وإليك الحديث ..

حديث الحوض :

أخرج البخاري عن موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو عوانة عن مغيرة عن أبي وايل ، قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أنا فرطكم على الحوض ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رجال منكم حتى إذا أهويتُ لَأَنَا وَهُمْ اخْتَلُجُوا دُونِي ، فأقول : أي رب أصحابي ، فيقول : لا تدري ما أَحْدَثْتُوا بَعْدَكَ»^(٢) .

وأخرج أيضاً عن يحيى بن كثير ، عن يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم ، قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « أنا فرطكم على الحوض ، من وَرَدَه شرب منه ، ومن شرب منه لم يظماً بعده أبداً ، لَيَرْدُ عَلَيَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ، ثم يُحال بيني وبينهم » . قال أبو حازم : فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحذثهم هذا ، فقال : هكذا سمعت سهلاً ؟ فقلت : نعم.

قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه ، قال : إنهم

(١) البخاري - كتاب الفتنة : ٩ / ٩٠ - ٢٦ ، مسلم - كتاب الإيمان - باب معنى قول النبي : « لا ترجعوا بعدي كفّاراً» - ١ / ٨١ - ١١٨ - ١٢٠ ، ومسند أحمد أيضاً من أربعة عشر طريقاً منها في الجزء الخامس : ٤٤ ، ٤٩ ، ٧٣ ، والترمذى ٤ : ٤٨٦ ، ٢١٩٣ ، وأبو داود ٤ : ٢٢١ / ٤٦٨٦ ،

والدارمي ٢ : ٦٩ - باب حرمة المسلم - وغيرها .

(٢) صحيح البخاري ٩ : ٢ / ٨٣ - كتاب الفتنة - .

مني ، فيقال : إنك لا تدرى ما بَدَلُوا بعْدَك»^(١) .

وأمّا مسلم فأخرج هذا الحديث من طرق عديدة ، منها : عن أبي بكر ابن شيبة ، وأبي كريب ، وابن نمير ، قالوا : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «أنا فرطكم على الحوض ، ولا نازعن أقواماً ثم لاغلبَنْ عليهم ، فأقول : يا رب أصحابي ! فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثَوا بعْدَك»^(٢) .

وأخرج الحاكم قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «إني - أيها الناس - فرطكم على الحوض ، فإذا جئت قام رجال ، فقال هذا : يا رسول الله ، أنا فلان ، وقال هذا : يا رسول الله ، أنا فلان . وقال هذا : يا رسول الله ، أنا فلان .

فأقول : قد عرفتكم ، ولكنكم أحدثتم بعدى ورجعتم القهقري»^(٣) .
وأخرج أحمد في عدة مواضع حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «لَيَرَدَنَ عَلَيَّ الحوض رجالٌ مِنْ صَحْبِي وَرَأَيْتِي ، حَتَّى إِذَا رُفِعوا إِلَيَّ وَرَأَيْتُهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي ، فَلَأَقُولُنَّ : رب أصحابي . فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثَوا بعْدَك»^(٤) .

وعن عبد الله بن رافع المخزومي ، عن أم سلمة ، قالت : فسمعته يقول : «أيها الناس ، بينما أنا على الحوض جيء بكم زُمراً ، فتفرقت بكم الطرق ، فناديتُكم : ألا هلموا إلى الطريق .
فناداني منادٍ من بعدي ، فقال : إنهم قد بَدَلُوا بعْدَك .

(١) المصدر ٩ : ٨٣ / ٣ ، وأخرجه بنصه أحد في المستند ٥ : ٣٣٣ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٧٩٦ / ٢٢٩٧ (٢٢٩٧) حديث الحوض .

(٣) المستدرك ٤ : ٧٤ - ٧٥ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٤) مسند أحمد ٣ : ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢٨١ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٣٨٨ ، ٤٠٠ .

فأقول : سُحْقاً سُحْقاً^(١) .

* وفي موطأ مالك: أن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال لشهداء أحد: « هؤلاء أشهد عليهم » فقال أبو بكر الصديق : أنسنا - يا رسول الله - يا إخوانهم ، أسلمنا كما أسلمو ، وجاهدنا كما جاهدوا ؟ فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم : « بلى ، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي »^(٢) .

رأيت هذه الكلمة : « إنَّمَا قد بدَّلوا بعْدَكَ » ؟
 ثم قوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم : « سُحْقاً سُحْقاً » مَنْ بَدَّلْ بعْدِي ؟
 ولعلَّه يصعب على المرء التصديق لأُولَئِكَ وهلة - برغم ما قرأ من نصوص الكتاب الكريم ، وصحيح الحديث الشريف - أنَّ أصحابَ النبِيِّ ، والسابقين إلى الإسلام ، الذين قضوا في نصرته عمراً طويلاً ، يميلون بعد النبِيِّ ، ويبَدِّلون ويغيِّرون !

ولأجل هذا سنذكر نماذجٍ مما دار بينهم ، وما طعن به بعضهم على بعض ، لا لغرض النيل والشماتة ، ولا لأجل الانتصار والتباكي ، فهذا كله بعيد عنْ أَيْقَنِ بالحق ، وإنما كصاديق فقط لما تقدَّم من نصوص ، ولن يكون تمهيداً لبحث يأتي بعده ، ولنعرف كيف نقرأ القرآن ، ثم لنعرف الحق فنعرف أهله .

حديث الإِلْفَكَ :

من كان يا ترى أصحابَ الإِلْفَكَ إِلَّا رجالاً من الصحابة ! من المهاجرين والأنصار !

(١) سنن ابن ماجة - كتاب الزهد ، باب ذكر الموضع - ٢ : ٤٣٩ / ٤٣٠٦ ، مستند أحاديث ٦ : ٢٩٧ .
 مصابيح السنة ٣ : ٥٣٧ / ٤٣١٥ .

(٢) الموطأ ٢ : ٤٦٢ / ٣٢ - كتاب الجهاد ، باب الشهداء في سبيل الله .

وفيهم نزلت آيات التهديد والوعيد تلك^(١) ، ثم فيمن يحذو حذوهم .
 تقول أم المؤمنين عائشة : فأقبلت أنا ، وأم مسطح - وهي ابنة أبي رهم
 ابن عبد المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ،
 وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب - حين فرغنا من شأننا نمشي ،
 فعثرت أم مسطح ، فقالت ، تَعِسْ مسطح !
 فقلت لها : بئسما قلت ، أتُسْبِّينَ رجلاً شهد بدرًا ؟!
 فقالت : يا هناته ، ألم تسمعي ما قال ؟ فأخبرتني بقوله .
 وكان أصحاب حديث الإفك هم : مسطح بن أثاثة ، وهو من المهاجرين
 الأوّلين ، وحسان بن ثابت ، وهو من الأنصار ، وعبد الله بن أبي .
 وقد جلدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميعاً^(٢) .

المغيرة بن شعبة أيام معاوية :

وكان قد ولأه الكوفة عام (٤٢ هـ) ثم عزله وولى عبد الله بن عامر بن كريز ، فغاظ المغيرة ذلك ، فعزم على شيء ، فنادي غلامه : يا غلام ، شد رحلي ،
 وقدم بغلبي .

فخرج ، حتّى أتى دمشق ، فدخل على معاوية ، فقال له بعد كلام بينهما :
 يا أمير المؤمنين ، كبرت سني ، وضفت قوّي ، وعجزت عن العمل ، وقد بلغت
 من الدنيا حاجتي ، والله ما آسى على شيء منها إلّا على شيء واحد قدرت به
 قضاء حقك ، وودت أنّه لا يفوتي أجلي وأنّ الله أحسن علىّ معونتي .

قال معاوية : وما هو ؟

(١) سورة النور : ١١ - ٢٥ .

(٢) انظر القصة مفصلة في : صحيح البخاري ٥ : ٢٥٣ - ٢٥٠ ، صحيح مسلم ٤ : ٢١٢٩ / ٢٧٧٠ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٥٣ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٩٥ - ١٩٩ .

قال : كنت دعوت أشراف الكوفة إلى البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بولالية العهد بعد أمير المؤمنين ، فقدمت لأشافه بذلك ، وأستغفيه عن العمل .
 فقال : سبحان الله - يا أبا عبد الرحمن - إنما يزيد ابن أخيك ، ومثلك إذا شرع في أمر لم يدعه حتى يحكمه ، فتشدتك الله إلا رجعت فتممت هذا .
 فخرج من عنده ، فلقي كاتبه ، فقال : ارجع بنا إلى الكوفة ، والله لقد وضع رجل معاوية في غرِّ لا يُخرجها منه إلا سفك الدماء^(١) .
 رأيت هذه الفتنة الكبرى كيف وضع أساسها صحابي شهير ، وهو من شهد بيعة الرضوان ؟ !

ثم بعد ، أقام المغيرة عاملًا لمعاوية على الكوفة يشتم عليناً وأصحابه على المنبر حتى مات^(٢) .

رأيت هذه الطامة الكبرى !
 بل الأعظم والأجل أن نجمع المغيرة هذا مع علي بن أبي طالب في آية السابقين الأولين ، أو آية الفتح ، أو سورة الحشر ، ونظائرها !

وعمر بن العاص :

ولما عزم معاوية الخروج على أمير المؤمنين أرسل إلى عمر بن العاص وهو يومها في مصر ، فدعا عمر وابنيه : عبد الله ومحمداً فاستشارهما ، فأماما عبد الله فقال له : أيها الشيخ ، إن رسول الله قُبض وهو عنك راضٍ ، ومات أبو بكر وعمر وهو راضيان ، فإنك إن تُفْسِدِ دينك بدنيا يسيرة تصيبها مع معاوية ، فتضجعان غداً في النار !

(١) تاريخ ابن خلدون ٣ : ١٩ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢١٩ - ٢٢٠ - وعنه اختصرنا القصة .

(٢) ابن خلدون ٣ : ١٣ ، اليعقوبي ٢ : ٢٣٠ ، ابن أبي الحديد ٤ : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ومواضع أخرى ، تهذيب تاريخ دمشق ٢ : ٣٧٣ - ٣٧٤ - عند ترجمة أرقام الكندي - .

وَأَمَا مُحَمَّدٌ فَقَالَ لَهُ : بَادِرْ هَذَا الْأَمْرُ ، فَكُنْ فِيهِ رَأْسًا قَبْلَ أَنْ تَكُونَ ذَبَابًا !
فَأَنْشَأَ عَمْرُ وَيَقُولُ :

تطاولَ ليلي للهمومِ الطوارقِ
وَخَوْفِ الْتِي تَجْلُو وجْهَ العَوَاتِقِ^(١)
فَإِنَّ ابْنَ هَنْدِ سَائِلِي أَنْ أَزْوَرَهُ
وَتِلْكَ الْتِي فِيهَا بَنَاتُ الْبَوَائِقِ^(٢)

فَلَمَّا سمع عبد الله شعره ، قال : بالشيخ على عقبيه ، وباع دينه بدنياه .
فَلَمَّا أصبح دعا وردان مولاه ، فقال له : ارحل يا وردان ، ثم قال : حطّ
يا وردان ، فحطّ ورحل ثلاثة مرات ، فقال وردان : لقد خلّطت - أبا عبد الله -
فإن شئت أخبرتك بما في نفسك .
قال : هات .

قال : اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : على معه آخرة بلا
دنيا ، ومعاوية معه دنيا بلا آخرة ، فلست تدرى أيها تختار .
قال : الله درك ، فما أخطأت مما في نفسي شيئاً ، ثم قال : ارحل يا وردان
وأنشا يقول :

(١) العائق : الجارية التي أدركـتـ وبلغـتـ فـخـدـرـتـ فيـ بـيـتـ أـهـلـهـ ، والجمع : عوائق .

لسان العرب (عشق) ١٠ : ٢٣٥ .

(٢) البائقة : الداهية .

لسان العرب (بوق) ١٠ : ٣٠ .

يا قاتل الله وردان وفِطَنَتَه .

أبدي لعْمُرك ما في الصدر وردان

فقدِم على معاوية ، وتذاكرا أمر القتال مع عليّ ، فكان مما قاله معاوية :
ولكنا نقاتله على ما في أيدينا ، ونلزمـه قتل عثمان .

قال عمرو : واسوأـاته ! إنـ أـحقـ النـاسـ أـلـاـ يـذـكـرـ عـثـمـانـ لـاـ أـنـاـ وـلـاـ أـنـتـ .

قال : وـلـمـ ، وـيـحـكـ ؟

قال : أـمـاـ أـنـتـ ، فـخـذـلـتـهـ وـمـعـكـ أـهـلـ الشـامـ ، حـتـىـ اـسـتـغـاثـ بـيـزـيدـ بـنـ أـسـدـ
الـبـجـليـ ! وـأـمـاـ أـنـاـ ، فـتـرـكـتـهـ عـيـانـاـ وـهـرـبـتـ إـلـىـ فـلـسـطـينـ !

فـقـالـ مـعـاوـيـةـ : دـعـنـيـ مـنـ هـذـاـ ، مـدـ يـدـكـ فـبـاعـنـيـ .

قال : لاـ ، لـعـمـرـ اللهـ ، لـاـ أـعـطـيـكـ دـيـنـيـ حـتـىـ آـخـذـ مـنـ دـنـيـاـكـ .

قال مـعـاوـيـةـ : لـكـ مـصـرـ طـعـمـةـ .

فـأـشـأـ عمـرـ وـيـقـوـلـ :

مـعـاوـيـ لـاـ أـعـطـيـكـ دـيـنـيـ وـلـمـ أـنـلـ
بـهـ مـنـكـ دـنـيـاـ فـأـنـظـرـنـ كـيـفـ تـضـنـعـ
فـإـنـ تـعـطـيـ مـصـرـاـ فـأـرـبـحـ بـصـفـقـةـ
أـخـذـتـ بـهـ شـيـخـاـ يـضـرـ وـيـنـفـعـ
وـمـاـ الـدـيـنـ وـالـدـنـيـاـ سـوـاءـ ، وـإـنـيـ
لـآـخـذـ مـاـ أـعـطـيـ وـرـأـسـيـ مـقـنـعـ
لـكـنـنـيـ أـعـطـيـ هـذـاـ وـإـنـيـ
لـأـخـدـعـ نـفـسـيـ ، وـالـخـادـعـ يـخـدـعـ

حتى إذا حضرته الوفاة ، قال : يا ليتني مت قبل هذا اليوم بثلاثين سنةً ، أصلحت معاوية دنياه ، وأفسدت ديني ، آثرت دنياي وتركت آخرتي ، عُمّي على رشدي حتى حضرني أجيٰ^(١) .

وسرعان ما يقفر إلى الذهن هنا موقف شبيه بهذا ، وقد رد عليه القرآن الكريم ، فقال : ﴿آلَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ . . .﴾^(٢) .

ومعاوية مَنْ هو؟

بعدما قرأنا من أخباره نكتفي هنا بذكر أرقام وتعریف غایة في الإيجاز :
فهل تعلم أنه عندما خرج على إمام زمانه الحق علیٰ بن أبي طالب ، هل
تعلم من كان مع علیٰ ؟
كان معه سبعون بدرياً !

ومن بايع تحت الشجرة كان مع علیٰ سبعمائة رجل !
ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل !
ولم يكن مع معاوية إلا النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد من الأنصار^(٣) .
اذكر هذه الأرقام وقلبي يتعصر لماً إذ أستعين بها وبنظائرها للاستدلال
على أحقيّة علیٰ عليه السلام ، وأنّ خصومه ليسوا على شيء !
أبعد علیٰ نبحث عن أدلة وشواهد على الحق ؟ !
وبعد ، فإنّ هذا الصحابيّ ، وكاتب الوحي ! هو الذي قتل الصحابيين :

(١) وقعة صفين : ٣٤ - ٣٩ ، اليقوري ٢ : ١٨٤ - ١٨٦ ، ابن أبي الحديد ٢ : ٦٢ - ٦٦ ، الكامل ٣ : ٢٧٦ بعضه ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٧١ - ٧٣ بعضه ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٦٢٥ مختصرًا .
(٢) يوتس : ٩١

(٣) تاريخ اليقوري ٢ : ١٨٨ ، وفي مأثر الإنابة : قُتل - من أصحاب علیٰ عليه السلام بصفين - خمسة وعشرون بدرياً كان من جملتهم عمار بن ياسر الذي قال له النبي صلَّى الله عليه وآلُه وسَلَّمَ : « تقتلك الفتنة الباغية » ١ : ١٠٢ .

منهج في الانتهاء المذهبى منهج في الانتهاء المذهبى

حُجْر بن عَدَى الكندي ، وعَمَّر وَبْنُ الْحَمِيق الْخُزاعي صَبَرًا لِأَنَّهَا رَدًا عَلَى مَن سَبَّ عَلَيْهَا عَلَى منابر المسلمين !

وليتك تدرى أَنَّ الَّذِي سعى بِهَا وَبِأَصْحَابِهَا إِلَى معاوِية فَكَانَ سبِيلًا فِي قتْلِهِمْ جَيْعًا هُوَ صَحَابيٌّ آخَرُ ، وَقَدْ عَمِلَ لِمَا يُعَوِّيْهِ عَلَى الْكُوفَةِ بَعْدَ الْمُغْيَرَةِ ، وَهُوَ الْقَاتِلُ لِحُجْرَ بْنِ عَدَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُحْبَّةِ وَالْمُوَالَةِ لِعَلَيِّ ؟

قال : نعم .

قال : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَوَّلَ ذَلِكَ بِغَضَّةٍ وَعِدَادَةً .

أَوْ رَأَيْتَ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَغْضَةِ وَالْعِدَادَةِ لِمَا يُعَوِّيْهِ ؟

قال : نعم .

قال : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَوَّلَ ذَلِكَ كَلَمَّهُ مُحْبَّةً وَمُوَالَةً ، فَلَا أَعْلَمُنَا مَا ذَكَرْتَ عَلَيِّاً بَخِيرًا ، وَلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يُعَوِّيْهِ بَشَرًا !

إِنَّهُ زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ ، وَقَدْ كَتَبَ فِيهِمْ إِلَى مَا يُعَوِّيْهِ : أَنَّهُمْ خَالَفُوا الجَمَاعَةَ فِي لَعْنِ أَبِي تَرَابٍ ، وَذَرُوا عَلَى الْوَلَاءِ ، فَخَرَجُوا بِذَلِكَ عَنِ الطَّاعَةِ^(١) !!

فَأَمْرَرُوا بِقَتْلِهِمْ جَيْعًا - وَكَانُوا سَبْعَةَ نَفَرٍ - بِمَرْجِ عَذَرَاءَ مِنْ بَلَادِ الشَّامِ .

قَيْلٌ : وَدَخَلَ مَا يُعَوِّيْهِ عَلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا مَا يُعَوِّيْهِ ، مَا حَمْلُكَ عَلَى قَتْلِ أَهْلِ عَذَرَاءَ ، حُجْرًا وَأَصْحَابَهِ ؟

فَقَالَ : يَا أَمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي رَأَيْتَ فِي قتْلِهِمْ إِصْلَاحًا لِلْأُمَّةِ ، وَفِي بَقَائِهِمْ فَسادًا !

فَقَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « سَيُقْتَلُ

(١) تاريخ البغوي ٢ : ٢٣٠ ، وقصة زياد ومعاوية مع حجر وأصحابه تجدوها مفصلة في : الكامل في التاريخ ٣ : ٤٧٢ - ٤٨٨ ، وتهذيب تاريخ دمشق ٢ : ٣٧٣ - ٣٨٣ - عند ترجمة أرقم الكندي - .

بعدراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء »^(١).

هل عجبت من دين هؤلاء؟

كلاً ، فإن الأعجب من ذلك ما نسمعه من وجوب حفظ كرامتهم ،

والترضي عليهم !!

وإنّ لمّن عظام الأمور التي تستدعي بحقّ إعادة النظر في حقيقة الإيمان ،
أن يشكّ المرء بفسق هؤلاء ، بل بوجوب البراءة منهم ..

وهذه شهادة الحسن البصري : أربع خصال كُنَّ في معاوية لو لم يكن فيه
إلا واحدة لكانـت موبقة :

انتزاؤه على هذه الأُمّة بالسيف ، حتّى أخذ الأمر من غير مشورة ، وفيهم
بقايا الصحابة ، وذوـو الفضيلة .

واستخدامـه بعده ابنـه سكيراً ، خيراً ، يلبـس الحرير ، ويضرب بالطناـبـير .
وادعـاهـه زـيـادـاً ، وقد قال رسول الله صـلـى الله عـلـيـه وـآـلـه وـسـلـمـ : « الـوـلـد
لـلـفـرـاش ، ولـلـعـاـهـر الحـجـر ». للـفـرـاش ، ولـلـعـاـهـر الحـجـر ».

وقـتـلهـ حـجـراً وأـصـحـابـ حـجـرـ ، فـياـ وـيـلـاـ لـهـ مـنـ حـجـرـ ! وـياـ وـيـلـاـ لـهـ مـنـ
حـجـرـ ^(٢) .

وأبو هريرة :

الـذـي دـخـلـ الإـسـلـامـ أـيـامـ خـيـبرـ ، فـكـانـ لـهـ مـنـ الصـحـبةـ عـامـانـ ، ثـمـ حـدـثـ
بـأـحـادـيـثـ لـمـ يـحـدـثـهـ أـحـدـ غـيـرـهـ مـنـ صـحـبـ النـبـيـ صـلـى الله عـلـيـه وـآـلـه وـسـلـمـ مـنـذـ

(١) دلائل النبوة ٦ : ٤٥٧ ، البداية والنهاية ٦ : ٢٣١ ، الإصابة ٢ : ٣٢٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ٣ : ٤٨٧ ، ابن أبي الحديد ٢ : ٢٦٢ و ١٦ : ١٩٣ ، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٢ : ٣٨٤ .

بعثته الشريفة ، ولم يفارقه حتى وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ! لنرى ماذا قالوا فيه .

قال ابن أبي الحميد : قال أبو جعفر : وأبو هريرة مدخل عن شيوخنا غير مرضي الرواية . ضربه عمر بالدّرة ، وقال : قد أكثرت من الرواية ، وأخر بك أن تكون كاذبًا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ !

وروى سفيان الثوري عن منصور ، عن إبراهيم التيمي ، قال : كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلّا ما كان من ذكر جنة أو نار ! ^(١)

وروى أبو أسامة عن الأعمش ، قال : كان إبراهيم صحيح الحديث ، فكنت إذا سمعت الحديث أتيته فعرضته عليه ، فأتيته يوماً بأحاديث من حديث أبي صالح عن أبي هريرة ، فقال : دعني من أبي هريرة ، إنّهم كانوا يتذكون كثيراً من حديثه .

وقد روي عن عليّ عليه السلام ، أنه قال : « إلّا إنّ أكذب الناس - أو قال : أكذب الأحياء - على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبو هريرة الدوسي ».

وروى أبو يوسف ، قال : قلت لأبي حنيفة : الخبر يجيء عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يخالف قياسنا ، ما تصنع به ؟

قال : إذا جاءت به الرواية الثقات عملنا به وتركنا الرأي .

فقلت : ما تقول في رواية أبي بكر وعمر ؟

قال : ناهيك بها !

فقلت : عليّ وعثمان ؟

قال : كذلك ، فلما رأني أعدّ الصحابة ، قال والصحابة كلّهم عدول ما

(١) وانظر : سير أعلام النبلاء ٢ : ٦٠٩ .

عدارجالاً، ثم عدّ منهم : أبا هريرة ، وأنس بن مالك !

وروى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن عمر بن عبد الغفار : أنّ أبا هريرة لما قدم الكوفة كان يجلس بالعشياًت بباب كندة ، وجلس الناس إليه ، فجاءه شابٌ من الكوفة فجلس إليه ، فقال : يا أبا هريرة ، أنشدك الله ، أسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليّ بن أبي طالب : « اللهمّ والِّيْ مِنْ وَالاَّهِ ، وعادِيْ مِنْ عَادَاهُ » ؟
فقال : اللهمّ نعم .

قال : فأشهد بالله لقد واليت عدوه ، وعاديت وليه !
وروت الرواية أنّ أبا هريرة كان يخطب وهو أمير المدينة ، فيقول : الحمد لله الذي جعل الدين قياماً ، وأبا هريرة إماماً ، يُضحك الناس بذلك !
وكان يمشي - وهو أمير المدينة - في السوق ، فإذا انتهى إلى رجل يمشي أمامه ضرب برجليه الأرض ، ويقول : الطريق الطريق ، قد جاء الأمير ، يعني نفسه !

قال : وقد ذكر هذا كلّه ابن قتيبة في كتاب (المعرف)^(١) في ترجمة أبي هريرة ، و قوله فيه حجة لأنّه غير متّهم عليه^(٢) .
وقال ابن المسّيب : كان أبو هريرة إذا أعطاه معاوية سكت ، فإذا أمسك عنه تكلّم^(٣) !

عبد الله بن الزبير - أميراً :-
ولما وقعت الفتنة بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ارتحل

(١) المعرف : ١٥٨ ، وروى كثيراً منه ابن كثير في البداية والنهاية ٨ : ١١٧ .

(٢) ابن أبي الحديد ٤ : ٦٧ - ٦٩ .

(٣) البداية والنهاية ٨ : ١١٧ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٦١٥ .

عبد الله بن عباس و محمد بن الحنفية بأولادها ونسائهم حتى نزلوا مكة ، فبعث عبد الله بن الزبير إليهما يبأيعان ، فأبى ، وقال: أنت وشأنك ، لا نعرض لك ولا لغيرك .

فأبى ، وألح عليهما إلحاحاً شديداً ، فقال لها: تباععن ، أو لأحرقنكم بال النار !

فبعثا أبا الطفيلي إلى شيعتهم بالكوفة ، فانتدب أربعة آلاف ، فدخلوا مكة ، فكبّروا تكبيرةً سمعها أهل مكة وابن الزبير ، فانطلق هارباً حتى دخل دار الندوة ، وقيل وتعلق بأستار الكعبة ، وقال : أنا عائد بالبيت .

فمالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وأصحابها وهم في دورهم وقد جمع الحطب فأحاط بهم حتى بلغ رؤوس الجدر ، ولو أن ناراً تقع فيه ما رؤي منهم أحد ، فأخرجوهم ، وقالوا لابن عباس : ذرنا نُريح الناس منه .

قال : لا ، إن هذا بلد حرام ما أحله الله إلا لنبيه ساعةً ، ولكن أجironا .

فخرجوا بهم إلى الطائف ، فتوفي عبد الله بن عباس رضي الله عنه وأرضاه في مسيرة ذاك^(١) .

- وقيل لعبد الله بن عمر : ألا تُبَايِعُ أمير المؤمنين ؟ يعني ابن الزبير .
قال : والله ما شَبَهْتُ بيعتهم إلا بققة ، أتعرف ما الققة ؟ الصبي يُحدِث ويَضْعُ يَدَهُ في حَدِيثِهِ ، فتقول له أمه : قَفَّةٌ^(٢) .

سُمْرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ :

هو صاحب النخلة التي كانت في بستان الأنصاري ، وكان يؤذيه ، فشكاه

(١) أسد الغابة ٣: ١٩٤ - ١٩٥ - ترجمة عبد الله بن عباس -، تهذيب تاريخ دمشق ٧: ٤١١ - ٤١٢ .

(٢) النهاية لابن الأثير (فق) ٤: ٩٥ ، لسان العرب ١٠: ٣٢٣ .

الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فبعث إلى سمرة ، فقال له : « بع نخلك من هذا وخذ ثمنه » .

قال : لا أفعل ! قال صلى الله عليه وآله وسلم : « فخذ نخلاً مكان نخلك » .

قال : لا أفعل ! فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « فاشتر منه بستانه » .

قال : لا أفعل ! فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « فاترك لي هذا النخل ولوك الجنة » .

قال : لا أفعل !! فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقطع نخله^(١) .

وكان سمرة من شرطة زياد ، فاستخلفه زياد على البصرة ، فأكثر فيها القتل ، قال ابن سيرين : قتل سمرة في غيبة زياد هذه ثمانية ألف ! وقال أبو السوار العدوي : قتل سمرة من قومي في غداة واحدة سبعة وأربعين كلّهم قد جمع القرآن^(٢) !

وتقدّم ذكر وضعه الحديث في طعن علي عليه السلام ، وقد كان سمرة يحرّض الناس على الخروج إلى الحسين عليه السلام وقتاله^(٣) !

وروي عن أبي هريرة أنه قال : ما فعل سمرة ؟ قيل له : هو حي .

قال : ما أحد أحب إلى طول حياة منه . قيل : ولم ذاك ؟

قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي وله ولخديفة بن اليمان : « آخركم موتاً في النار » فسبّقنا حذيفة ، وأنا الآن أتمنى أن أسبقه !

(١) ابن أبي الحديد ٤ : ٧٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ٣ : ٤٦٢ - ٤٦٣ ، وانظر ابن أبي الحديد ٤ : ٧٧ - ٧٨ .

(٣) ابن أبي الحديد ٤ : ٧٩ .

فكان سمرة بن جندب آخرهم موتاً^(١).

معاوية بن حُدَيْج^(٢) :

له صحبة ورواية عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ^(٣).

وهو الذي تولى قتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه في مصر بعد أن تفرق عنه جيشه، فقبضوا عليه وقد كاد يموت عطشاً، وأقبلوا به نحو الفسطاط فقال له معاوية بن حُدَيْج: أتدرى ما أصنع بك؟ أدخلك جوف حمار، ثم أحرقه عليك بالنار.

فقتلته، ثم ألقاه في جيفة حمار، ثم أحرقه^(٤).

فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزاً شديداً، وجعلت تدعى على معاوية وعمرو بن العاص دُبُرَ الصلوات^(٥).

وماذا كان معاوية مع هذا؟ كان أسبُّ الناس لعليٍّ عليه السلام!

(١) ابن أبي الحديد ٤ : ٧٨ ، والحديث في : سير أعلام النبلاء ٣ : ١٨٤ - ١٨٥ ، ودلائل النبوة ٦ : ٤٥٨ - ٤٦٠ ، وجمع الزوائد ٨ : ٢٩٠ من عدة طرق تدل على أن الحديث تكرر في أكثر من موضع ، وفيها «أبو مخدورة» بدلاً من «حذيفة» ، ورواه أيضاً : ابن عبد البر في (الاستيعاب) - هامش الإصابة ٢ - ٧٨ ، والعسقلاني في (الإصابة) ٣ : ١٣١ ، وابن دريد في (الاشتقاق) في موضعين : ١٣٤ ، ٢٨٢ .

(٢) ذكر بعضهم (حدِيج) بالمعجمة.

(٣) الطبقات الكبرى ٧ : ٥٠٣ ، أسد الغابة ٤ : ٣٨٣ ، التاريخ الكبير للبخاري ٧ : ٢٢٨ / ١٤٠٧ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٣٧ .

(٤) الكامل في التاريخ ٣ : ٣٥٧ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٢٦ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٤٨٢ ، فتوح البلدان : ٣١٩ .

(٥) الكامل في التاريخ ٣ : ٣٥٧ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٢٧ .

قال الذهبي : حجّ معاوية ومعه معاوية بن حُديج ، وكان من أسبّ الناس لعليّ ، فمرّ في المدينة ، والحسن جالس في جماعة من أصحابه ، فأتاه رسول ، فقال : أجب الحسن . فأتاه فسلم عليه ، فقال له : أنت معاوية بن حُديج ؟ قال : نعم .

قال : فأنت السابُ علياً رضي الله عنه ؟

قال : فكأنه استحيَا . فقال له الحسن : أما والله لئن وردت عليه الموض
وما أراك ترده ، لتجدنه مُشمِّرَ الإزار على ساق ، يذود عنه رايات المنافقين ذَوَ
غَرِيبةِ الإبل ، قول الصادق المصدق ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾^(١) .

فتنة الجمل :

تلك الفتنة التي راح ضحيتها قرابة ثلاثين ألفاً من المسلمين !
دعنا نقف عندها فنتساءل : هل كان قادة الجمل على الحق يوم بايعوا
علياً بكل رضي واختيار ، أم يوم خرجوا عليه وجيّشوا لقتاله الجيوش ؟
أكانوا على الحق يوم حَرَضوا على عُثمان ، أم يوم خرجوا يطلبون بدمه ؟
أم نسينا نحن ما نسوه ، أو تناسوه من تحذير النبي الأعظم لهم من تلك
الفتنة ؟!

لنقرأ منها لمحات فقط ، ولنتذكّر :
أن أم المؤمنين عائشة كانت بمكّة ، خرجت إليها قبل أن يُقتل عثمان ،
فلما كانت في بعض طريقها راجعةً إلى المدينة لقيها ابن أم كلاب ، فقالت له :
ما فعل عثمان ؟

قال : قُتِلَ !

قالت : بُعْدًا وسحقاً ، فمن بايع الناس ؟

قال : طلحة .

قالت : إِلَيْهَا ذُو الْإِصْبَعِ .

ثُمَّ لقيها آخر ، فقالت : ما فعل الناس ؟

قال : بايعوا علَيْهَا .

قالت : والله ما كنتُ أُبَالِي أَنْ تقعْ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَّةَ^(١) .

فانصرفتْ إِلَى مَكَّةَ وَهِيَ تَقُولُ : قُتِلَ وَاللهُ عَشَانَ مُظْلِومًا ، وَاللهُ لَأَطْلَبَنَّ

بَدْمَهُ !

قال لها : وَلِمَ ؟ وَاللهِ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ أَمَّالَ حَرْفَهُ لَأَنْتِ ، وَلَقَدْ كُنْتِ تَقُولِينَ :
أَقْتُلُوكُمْ نَعْثَلًا فَقَدْ كَفَرْتُ .

قالت : إِنَّهُمْ اسْتَابُوهُ ، ثُمَّ قُتْلُوهُ ، وَقَدْ قُلْتُ وَقَالُوا ، وَقَوْلِي الْأَخِيرُ خَيْرٌ
مِنْ قَوْلِي الْأَوَّلِ .

فَقَالَ لَهَا ابْنُ أَمِّ كَلَابَ :

فِي الْبَدَاءِ وِمِنِ الْغِيَرِ
وَمِنِ الرِّيَاحِ وَمِنِ الْمَطَرِ
وَأَنْتِ أَمْرِتِ بِقَتْلِ الْإِمَامِ
وَقُلْتِ لَنَا : إِنَّهُ قَدْ كَفَرْ

(١) تاريخ الباقوري ٢ : ١٨٠ ، ابن أبي الحديد ٦ : ٢١٥ - ٢١٦ الإمامة والسياسة ١ : ٥٢.كتاب الأولائل:

فهبنا أطعناك في قتله
وقاتلُه عندنا من أمرِ
ولم يَسْقُط السقفُ من فوقنا
ولم ينَكِسِفْ شمسُنا والقمرُ
وقد بايع الناس ذو تدرٍ
يزيلُ الشبا ويُقيم الصغر
يلبس للحرب أثوابها
وما مَنْ وَفِي مثْلٍ مَنْ قَدْ غَدَرَ^(١)

هذا مع أن مروان كان قد دعاها أيام كان عثمان محاصراً، فقال لها : يا أم المؤمنين ، لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس .
قالت : قد فرغت من جهازي وأنا أريد الحجّ .
قال : فيدفع إليك بكل درهم أفقته درهرين .
قالت : لعلك ترى أني في شك من صاحبك ؟ أما والله لوددت أنه مقطّع
في غرارة من غرائري ، وأني أطيق حمله ، فأطرحه في البحر^(٢) !
وأقام على أياماً ، ثم أتاه طلحة والزبير ، فقالا : إننا نريد العمرة ، فاذن
لنا في الخروج ، فلحقا عائشة بمكة فحرضاها على الخروج ، فأتت أم سلمة ،
فكلّمتها في الخروج معهم ، فردت عليهما أم سلمة كلاماً ، منه قولها : ما أنت

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ١٧٢ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٠٦ ، الفتوح لابن أثيم ١ : ٤٣٤ ، الإمامة والسياسة ١ : ٥٢ .

١٧٦ - ١٧٥ : ٢) اليعقوبي .

قائلة لو أنّ رسول الله عارضك بأطراف الفلوات ، قد هتكت حجاباً قد ضربه عليك^(١)؟.

وقولها : أفادك ؟

قالت : نعم .

قالت أم سلامة : أتذكرين إذ أقبل عليه السلام ونحن معه ، فخلا بعليه يُناجيه ، فأطال ، فاردت أن تهجمين عليهما ، فنهيتُك فعصيَتني ، فهجمتِ عليهما ، فما ليشتِ أن رجعت باكيَّة ، فقلتُ : ما شأنك ؟

فقلت : إني هجمت عليهما وهما يتاجيان ، فقلتُ لعليَّ : ليس لي من رسول الله إلَّا يوم من تسعه أيام ، أفما تدعني يا ابن أبي طالب ويومي ! فأقبل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم علىَّ وهو غضبانٌ محمر الوجه ، فقال : « ارجعني وراءك ، والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلَّا وهو خارج من الإيمان » ؟

قالت عائشة : نعم أذكر .

قالت أم سلامة : وأذكر أيضاً ، كنت أنا وأنت مع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم في سفرٍ له ، فقعد في ظل سُمْرَة^(٢) ، وجاء أبوك وعمر فاستأذنا عليه ، فقمنا إلى الحجاب ، ودخلنا يحادثانه فيما أرادا ، ثم قالا : يا رسول الله ، إننا لا ندري قدر ما تصحبنا ، فلو أعلمنَا من يستخلف علينا ، ليكون بعده مُفْزعاً ؟ فقال لها : « أما إني قد أرى مكانه ، ولو فعلت لتفرقتم عنه ، كما تفرقـت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران » فسكتا ، ثم خرجا .

فلما خرجنا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم قلت له ، و كنت أجرأ عليه منا : من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم ؟

(١) تاريخ البغوي ٢ : ١٨١ ، ابن أبي الحديد ٦ : ٢١٩ - ٢٢٠ ، العقد الفريد ٥ : ٦٢ .

(٢) السُّمْرَة : من شجر الطلح . الصاحب (سمر) ٢ : ٦٨٩ .

فقال : « خاشف النعل ». .

فنظرنا ، فلم نر أحداً إلّا علياً ، فقلت : يا رسول الله ، ما أرى إلّا علياً.

فقال : « هو ذاك » ؟

فقالت عائشة : نعم ، أذكر ذلك .

فقالت لها : فأيّ خروج تخرجين بعد هذا^(١) ؟

وسار القوم قاصدين البصرة ، فلما بَلَغُوا ذات عرق لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه ، فقال لهم : أين تذهبون وتركون ثأركم على أعزاز الإبل وراءكم ؟ - يعني عائشة ، وطلحة ، والزبير - اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم .
قالوا : نسير لعَلَّنا نقتل قاتلة عثمان جميعاً^(٢) .

ومرّ القوم في الليل بباء يقاله له : الحوَّاب ، فنبحتهم كلابه ، فقالت : ما هذا الماء ؟

قال بعضهم : ماء الحوَّاب .

قالت : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، هذا الماء الذي قال لي رسول الله : « لا تكوني التي تبحك كلاب الحوَّاب ». .

فأتاهها القوم بأربعين رجلاً ، فأقسموا بالله أنه ليس بباء الحوَّاب !!
وأقى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلقته أول الليل ، وأتتها بيّنة زور من الأعراب فشهدوا بذلك .

فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها في الإسلام !

وجاءها محمد بن طلحة ، فقال لها : تقدّمي - يرحمك الله - ودعني هذا

القول^(٣) !

(١) ابن أبي الحديد ٦: ٢١٧ - ٢١٨ ، أعلام النساء ٣: ٣٨ ، وقريب منه في الفتوح ١: ٤٥٦ وفيه زيادة .

(٢) الكامل ٣: ٢٠٩ ، الإمامة والسياسة ١: ٦٣ ، تاريخ ابن خلدون ٢: ٦٠٨ .

(٣) قصة ماء الحوَّاب وحديث كلاب الحوَّاب متفق عليها عند أصحاب السير ، انظر : الكامل في التاريخ ←

وبلغوا البصرة ، وعامل عليّ عليه السلام عليها الصحابي عثمان بن حنيف الأنصاري ، فمنعهم من الدخول ، وقاتلهم ، ثم توادعوا ألا يجدهم أحداً حتى يقدم عليّ ، ثم كانت ليلة ذات ريح وظلمة ، فأقبل أصحاب طلحة فقتلوا حرس عثمان بن حنيف ، ودخلوا عليه ، فتفتوا لحيته وجفون عينيه ، وقالوا : لولا العهد لقتلناك ، وأخذوا بيت المال^(١) .

فلما حضر وقت الصلاة ، تنازع طلحة والزبير ، وجذب كل واحد منها صاحبه حتى فات وقتها ، فصاح الناس : الصلاة الصلاة ، يا أصحاب محمد ! فقالت عائشة : يصلى محمد بن طلحة يوماً ، وعبد الله بن الزبير يوماً ، فاصطلحوا على ذلك^(٢) .

ثم التقى الجمuan ، فخرج الزبير ، وخرج طلحة بين الصفين ، فخرج إليهما عليّ ، حتى اختلفت أنفاس دوابهم ، فقال عليّ : « لعمري قد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً ، فاتقيا الله ، ولا تكونوا **﴿كالتي نقضتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قَوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾**^(٣) .

ألم أكن أخاكما في دينكم ، تحرّمان دمي ، وأحرّم دمكم ، فهل من حدث أحلى لكما دمي ؟ ! » .

قال طلحة : ألبت على عثمان .

→ ٣ : ٢١٠ ، اليقoubi ٢ : ١٨١ ، الفتوح ١ : ٤٦٠ ، الإمامة والسياسة : ٦٣ ، ابن أبي الحديد ٦ : ٢٢٥ ، تاريخ ابن الوردي ١ : ٢٠٨ ، البداية والنهاية ٦ : ٢١٧ ، ٢١٨ ، وانظر : مسند أحمد ٦ : ٩٧ ، ٥٢ ، مسند أبي يعلى ٨ : ٢٨٢ ، ٥١٢ ، دلائل النبوة ٦ : ٤١٠ ، المستدرك ٣ : ١١٩ - ١٢٠ ، الخصائص الكبرى ٢ : ٢٣٢ - ٢٣٣ ، كنز العمال ج ١١ / ٣٦٦٧ .

(١) الكامل في التاريخ ٣ : ٢١٥ ، اليقoubi ٢ : ١٨١ ، الإمامة والسياسة : ٦٩ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٦١٠ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٣٢٢ .

(٢) تاريخ اليقoubi ٢ : ١٨١ ، الطبقات الكبرى ٥ : ٥٤ .

(٣) النحل : ٩٢ .

قال علي : « ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوقَيْهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ ﴾ يا طلحة ، تطلب بدم عثمان ؟! فلعن الله قتلة عثمان .
يا طلحة ، أجيئت بعرس رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم تقاتل بها ،
وخبأت عرسك في البيت ! أما باياعتنى ؟! ».
قال : باياعتك والسيف على عنقي !

قال علي للزبير : « يا زبير ، ما أخرجك ؟ قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ، ففرق بيننا » وذكره أشياء ، فقال : « أتذكرة يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم في بني غنم ، فنظر إلي ، فضحك ، وضحك إليه ، فقلت له : لا يدع ابن أبي طالب زهوة ، فقال لك : « ليس به زهو ، لتقاتلنه وأنت ظالم له ؟ ».
قال : اللهم نعم ، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا ، والله لا أقاتلك أبداً .
فانصرف الزبير إلى عائشة ، فقال لها : ما كنت في موطن منذ عقلت إلا
وأنا أعرف فيه أمري ، غير موطنني هذا .

قالت : فما تريده أن تصنع ؟
قال : أريد أن أدعهم وأذهب .
قال له ابنه عبد الله : جمعت بين هذين الغاربين ، حتى إذا حدد بعضهم
بعض أردت أن ترکهم وتذهب ؟! لكنك خشيت رايات ابن أبي طالب ، وعلمت
أنها تحملها فتية أنجاد ، وأن تحتها الموت الأحر ، فجبنت !
فأحفظه^(١) ذلك ، وقال : إني حلفت لا أقاتلهم .
قال : كفر عن يمينك ، وقاتلهم .
فأعتق غلامه (مكحولاً) ، وقيل (سرجيس) .

فقال عبد الرحمن بن سلمان التميمي :

لَمْ أَرْ كَالِيُومْ أَخَا إِخْوَانِيْ
أَعْجَبُ مِنْ مُكَفَّرِ الْإِيمَانِ
بِالْعَقْدِ فِي مَعْصِيَةِ الرَّحْمَنِ^(١)

وقيل : إنَّه رجع ، ولم يقاتل^(٤) .

تلك هي مسيرة الجمل ، مسيرة كل خطاهما كانت ظالمة ، فهل يومها قوم عُدول ؟ إنَّ حُكْمًا كهذا هو أشدَّ عَجَاباً من كل ذلك الخطى .

وفي تاريخ ابن عساكر : بعث علي عليه السلام إلى طلحة أن الفقيه ، فلَقِيَه ، فقال له : أَنْشَدَكَ اللَّهُ أَسْمَعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالَّمَّا مَنْ وَالَّهُ ، وَعَادَ مَنْ عَادَهُ » ؟

قال : نعم ، وذكره .

فقال له : ولم تقاتلني^(٣) .

وشهد شاهد من أهله :

قال ابن عساكر : قدم معاوية المدينة ، فأقام بها ، ثم توجَّه إلى الشام ، فتبعه من تبعه ، فأدركه ابن الزبير في أول الناس ، فسار إلى جنبه ليلاً وهو نائم ففزع له ، فقال : من هذا ؟

فقال ابن الزبير : أما إِنِّي لَوْ شَئْتُ أَنْ أَقْتُلَكَ لَقْتُلْتَكَ .

قال : لست هناك ، لست من قتال الملوك ، إنما يصيد كل طائر قدره .

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ٤٠٠ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٣٩ ، تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣٦٨ ، ٣٦٧ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٣٦٦ : ٣٦٧ - ٣٦٨ .
يدرك الشعر ، والحديث « لقتلنَّه وأنت ظالم له » أخرجه أيضاً البيهقي في (دلائل النبوة) ٦ : ٤١٤ ، والحاكم في المستدرك ٣ : ٣٦٦ .

(٢) الإمامة والسياسة : ٧٣ ، تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣٦٨ .

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ٧ : ٨٧ .

فقال ابن الزبير : أما والله لقد سرت تحت لواء أبي إلى عليّ بن أبي طالب وهو من تعلم .

فقال : لا جَرم ، والله لقد قتلتكم بشـــماله .

فقال : أما إنـــ ذلك في نصرة عثمان .

قال معاوية : والله ما كان بك نـــصرة عثمان ، ولو لا بـــغض عليّ بن أبي طالب لجررت برجلـــ عثمان مع الضـــبع^(١) .

يوم الخميس ، وما يوم الخميس !

قال الشهريـــاني في (الملل والنحل) في ذكر الاختلافات الواقعة بين الصحابة في حال مرضه ، وبعد وفاته صـــلى الله عليه وآلـــه وسلم :

فأـــول تنازع وقع في مرضه عليه السلام : فيما رواه الإمام أبو عبد الله محمد ابن إسحـــيل البخاريـــ ، بإسناده عن عبد الله بن عـــباس رضـــي الله عنه ، قال : لما اشتد بالنبيـــ صـــلى الله عليه وآلـــه وسلم مرضه الذي مات فيه ، قال : « أـــنتوني بدوـــة وقرطاس أـــكتب لكم كتاباً لا تضلـــوا بـــعدي ». .

فقال عمر : إنـــ رسول الله قد غـــلبه الوجع ، حـــسبـــنا كتاب الله . وكثير اللغط ، فقال النبيـــ صـــلى الله عليه وآلـــه وسلم : « قوموا عنـــي ، لا ينبغي عنـــي التنازع » .

قال ابن عـــباس : الرزنة كلـــ الرزنة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صـــلى الله عليه وآلـــه وسلم^(٢) !

وفي روایة أخرى : عن سعيد بن جـــبیر ، قال :

(١) المصدر ٧ : ٤١٠ .

(٢) الملل والنحل - المقدمة الرابعة : ٢٩ .

قال ابن عباس : يوم الخميس ، وما يوم الخميس ! ثم بكى حتى بلَّ دمعه الحصى . فقلت : يا ابن عباس ، وما يوم الخميس ؟

قال : اشتَدَّ برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وجده ، فقال : « اثنويني أكتب لكم كتاباً لا تضلُّوا بعدي » فتنازعوا ، وما ينبغي عند نبِيٍّ تنازع ، وقالوا : ما شأنه ، أهَجَرَ ؟ استفهُوهُ !

قال : « دعوني ، فالذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ »^(١) .

وفي رواية البخاري : فقال عمر : إنَّ رَسُولَ اللَّهِ قدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجْعَ ، وعندكم القرآن ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ .

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « قَوْمُوا » .

فكان ابن عباس يقول : إنَّ الرِّزْنَةَ كُلُّ الرِّزْنَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ ، مِنْ اختلافِهِمْ وَلِنَطْهَرَهُمْ^(٢) .

وفي مسنَدِ أَحْمَدَ ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريِّ ، قال : إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دعا عند موته بصحيفَةٍ ليكتب فيها كتاباً لا يضلُّونَ بعده ، فخالفَ عمرَ بْنَ الخطَّابَ حتَّى رضيَّ عنها^(٣) .

تُرِى أين ذهبوا بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقْدِمُوا بَيْنَ يَدِيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِ ﴾

(١) صحيح مسلم - كتاب الوصيَّةِ ٣ : ١٢٥٧ / ١٦٣٧ ، مسنَدِ أَحْمَدَ ١ : ٢٢٢ ، مسنَدِ أَبِي يَعْلَى ٤ : ٢٩٨ ، الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ ٥ : ٢٠٠ ، تارِيخُ الطَّبَرِيِّ ٣ : ١٩٣ ، تارِيخُ ابْنِ خَلْدُونَ ٢ : ٤٨٥ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب المرضي ٧ : ٢١٩ / ٣٠ ، مسلم ٣ : ١٢٥٩ / ٢٢ ، مسنَدِ أَحْمَدَ ١ : ٣٢٤ ، الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ ٥ : ٢٠٠ ، الْكَاملُ ٢ : ٣٢٠ ، السِّيرَةُ النَّبُوَّيَّةُ - للذَّهَبِيِّ - ٣٨٤ وَهَذِهِ أَحَادِيثُ مُتَقَّدِّمَةٍ عَلَيْهَا .

(٣) مسنَدِ أَحْمَدَ ٣ : ٣٤٦ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا ترْفَعُوا أَصواتُكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ .

إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُّرَاتِ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١) ؟

أم أنّهم نسوا فيمن نزلت تلك الآيات ؟
 سألت البخاري ، والترمذى ، والنّسائي ، وأصحاب أسباب النّزول ، وآخرين ،
 فأجابوا جميعاً : أنها نزلت في أبي بكر وعمر ، وقد اختصا ، وعلّت أصواتها في
 مجلس رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ، وهذه قصتها كما يروها البخاري :
 عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة ، قال : كاد الخيران أن يهلكا : أبا
 بكر ، وعمر ! رفعوا أصواتها عند النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم حين قدم عليه
 ركب بني تميم ، وأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع ، وأشار الآخر
 برجل آخر - قال نافع : لا أحفظ اسمه^(٢) .

فقال أبو بكر لعمر : ما أردت إلا خلافي .

قال : ما أردت خلافك . فارتتفعت أصواتها في ذلك ، فأنزل الله : ﴿ يَا
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا ترْفَعُوا أَصواتُكُمْ .. ﴾ الآيات .

قال ابن الزبير ، فها كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم
 بعد هذه الآية حتى يستفهمه ، ولم يذكر ذلك عن أبيه ، يعني أبو بكر^(٣) .

(١) سورة الحجرات : ١ - ٤ .

(٢) هو العقّاع بن ممّد ، كما في المصادر الأخرى .

(٣) صحيح البخاري - كتاب التفسير - ٦ : ٢٤٣ / ٣٣٩ و ٣٤١ ، سنن الترمذى ٥ : ٢٨٧ / ٢٢٦٦ ،
 سنن النّسائي - كتاب آداب القضاة - ٨ : ٢٢٦ ، الواحدى في أسباب النّزول : ٢١٥ ، السيوطي في
 لباب النّقول : ١٩٤ ، وفي الدر المتنور ٧ : ٥٤٦ و ٥٤٧ ، تفسير الشالبي ٤ : ١٨٥ ، تفسير الطبرى
 ←

فإن صح قول ابن الزبير هذا ، فماذا يقول في كلام عمر في هذه
«الرذيلة» ؟ !

وبأي شيء يعتذر معتبراً لعمر قوله هذا ، الذي راح بعضهم يستبدلها
بالفاظ قد تحتمل الألسن قراءتها ، وإن لم ترتضيها القلوب المؤمنة ، فيقول :
فقال عمر : غلبه الوجع ، أو كلمة بهذا المعنى !
فهل سيكفي هذا عذرًا له ؟

أم بماذا يفسرون قوله : عندكم القرآن ، وحسبنا كتاب الله ؟ !
هل أراد بهذا إلغاء السنة النبوية كلّياً ، والإعراض عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وحديثه ، اكتفاء بالقرآن ؟
لا أظن أن أحداً سيرضى لعمر مثل هذا ، فيتابعه عليه ، ولا أحسبه أراد
هذا ، لعلمه بأنه كفر صريح لا يخفى على أحد .
فماذا بقي ؟ ..

لم يبق سوى أنه أراد أن يصرف الأمر عمّا يتadar إلى أذهان الصحابة فوراً ،
وهم يسمعون قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا
بعده أبداً » فإنه يتadar إلى أذهانهم لأول وهلة حديث رسول الله في حجّة الوداع :
« إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدى أبداً : كتاب الله وعترتي
أهل بيتي ». .

وهذا وحده هو المعنى المقبول ، والذي يؤيده : موافقة الكثير منهم لعمر ،
حيث لا تخفي كراهة بعضهم أن يكون هذا الأمر في أهل بيت النبي ، كما
صرّحوا بذلك غير مرّة .

→ ٢٦ : وليس فيه كلام ابن الزبير ، وابن الأثير في جامع الأصول ٢ : ٤٣١ - ٤٣٣ .
وقول البخاري « عن أبيه ، يعني أبي بكر » هو عند غيره « عن جده » وهو الصواب ، فعبد الله هو
ابن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر .

ولقد صرّح عمر - نفسه - بهدفه هذا وأفشاه لعبد الله بن عباس ، إذ سأله يوماً وهما يتحدثان ، فقال : يا عبد الله ، عليك دماء الْبُدُن إن كتمنتها : هل بقي في نفس عليّ شيء من أمر الخلافة ؟

قال - ابن عباس - قلت : نعم .

قال : أيزعم أنّ رسول الله نصّ عليه ؟

قلت : نعم ، وأزيدك : سألت أبي عَمَّا يدعوه ، فقال : صدق .

فقال عمر : لقد كان في رسول الله من أمره ذرُّو من قول^(١) لا يثبت حجّةً ، ولا يقطع عذرًا ، ولقد كان يربّع في أمره وقتاً ما ، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه ، فمنعتُ من ذلك إشفاقاً ، وحيطةً على الإسلام ! وربّ هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً^(٢) ! فعلم رسول الله أني علمتُ ما في نفسه ، فأمسك !^(٣)

وقد ذكر هذه القصة الدكتور نوري جعفر في كتابه (عليّ ومناؤته) ثم علق عليها بقوله : وإذا صحت هذه الرواية فإنّ عمر يبدو كأنّه أحرص على الإسلام من نبيّه ، وهو أمر كان المفروض في عمر أن لا يهبط إليه^(٤) .

ولو فرضنا عدم صحة عذر عمر في هذه القصة ، وأن عمر لم يهبط إليه ، فقد هبط إليه كلّ من أراد أن يجد له عذرًا ، إذ لم يجدوا عذرًا غيره ، فاتفقوا على أنه قالها إشفاقاً وحرصاً على الإسلام ! وبلفظ يناسب طبعه الغليظ^(٥) !

وأما النصّ الذي اختاره الشهrestani^(٦) فهو قوله : هي اختلافات

(١) ذرُّو من قول : طرف منه - أقرب الموارد ١ : ٣٦٨ .

(٢) لماذا ؟ سيأتي جوابه في محله عن عمر أيضاً .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢ : ٢١ .

(٤) عليّ ومناؤته : ٣٩ .

(٥) انظر شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٨٣ .

(٦) في الملل والنحل - المقدمة الرابعة - ١ : ٢٩ .

اجتهادية كما قيل ، كان غرضهم منها : إقامة مراسم الشرع ، وإدامة مناهج الدين .

ولستُ أراه إلّا عذراً أُتيح من الفعل .

فهل إنَّ إقامة مراسم الشرع ، وإدامة مناهج الدين ستتم بغير ارضنا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، واتباع ما نجتهده من آرائنا ؟ ! أمَّنْ قوله - إِنَّهُ يَهْجُرُ ، حَسِبْنَا كِتَابَ اللهِ - أَبْقَى عَلَى شَيْءٍ مِّنْ مَرَاسِمِ الشَّرْعِ وَمَنَاهِجِ الدِّينِ ؟

وقد أوضح معناه ابن الأثير وهو يظنّ أنه قد تناول العذر ، فقال في مادة

- هجر - :

ومنه حديث مرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : قالوا : « ما شأنه ؟ أَهَبَرَ ؟ » أي اختلف كلامه بسبب المرض ، على سبيل الاستفهام . أي هل تغير كلامه واحتلط لأجل ما به من مرض ؟ وهذا أحسن ما يقال فيه ، ولا يجعل إخباراً ، فيكون : إِمَّا مِنَ الْفَحْشَ ، أو الْهَذِيَانَ . والسائل كان عمر ، ولا يُظْنَ به ذلك^(١) .

والأشدّ غرابةً ، أنَّ صاحب الملل والنحل قد ساق اعتذاره هذا - بأنها اختلافات اجتهادية - بعد خمس صفحات وبضعة أسطر فقط من كلام له جاء فيه : إعلم أنَّ أَوْلَ شَبَهَةَ وَقَعَتْ فِي الْخَلِيلَةَ : شَبَهَةُ إِبْلِيسَ لِعَنِ اللهِ ، ومصدرها : استبداده بالرأي في مقابلة النص^(٢) ؟

بل بعد أسطر فقط من استنكاره الشديد لاستعمال الرأي في مقابلة النص ، حيث قال في معرض ذكره ذا الخويصرة التميي واعتراضه على حكم

(١) النهاية ٥ : ٢٤٦ ، وعنده في لسان العرب - هجر - ٥ : ٢٥٤ .

(٢) الملل والنحل - المقدمة الثالثة - ١ : ٢٣ .

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي قَسْمَةٍ قَسَمَهَا ، فَرَدَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ احْتَجَ لِرَدَّهُ ،
فَقَالَ :

أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ - يَعْنِي قَوْلُ ذِي الْخَوَيْصِرَةِ - حَكِيمًا بِالْهَوَى فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ ،
وَاسْتِكْبَارًا عَلَى الْأَمْرِ بِقِيَاسِ الْعُقْلِ^(١) ؟ !
وَلَسْنَا نَغْفِلُ أَنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْمَقْرَبِينَ ، بَلْ هُوَ (طَاؤُسُ الْمَلَائِكَةِ)
وَإِذَا ذُكِرَ مَنْ لِهِ مَنْزِلَةٌ كَهْذِهِ يَقَالُ : عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى إِذَا اسْتَبَدَ بِرَأْيِهِ فِي مَقَابِلَةِ
النَّصِّ ، أَصْبَحَنَا نَقْوِلُ : لَعْنَهُ اللَّهُ !

وَأَنَّ ذِي الْخَوَيْصِرَةَ كَانَ صَحَابِيًّا يَنْبَغِي التَّرْضِيَّ عَنْهُ !
فَكِيفَ جَازَ لِأُولَئِكَ اسْتِعْلَاهُمُ الرَّأْيُ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ ، وَإِعْرَاضُهُمْ عَنْ
أَمْرِ النَّبِيِّ بِقِيَاسِ الْعُقْلِ ، بَيْنَمَا كَانَ هَذَا سَبِيلًا فِي حَلُولِ الْلُّعْنَةِ الْأَبْدِيَّةِ عَلَى إِبْلِيسِ ،
وَفِي هَلَكَ ذِي الْخَوَيْصِرَةِ الَّذِي كَانَ لَهُ مِنَ الصَّحْبَةِ مَا لَمْ يَكُنْ لِكَثِيرٍ مِّنْ نَتْرَضِيِّ
عَنْهُمْ^(٢) !

بعثة أسماء :

قَالَ فِي (الملل والنحل) : الْخَلَافُ الثَّانِي فِي مَرْضِهِ : أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : « جَهَّزُوا جَيْشَ أَسْمَاءَ ، لَعْنَهُ اللَّهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ». .
فَقَالَ قَوْمٌ : يَجِبُ عَلَيْنَا امْتِنَالُ أَمْرِهِ ، وَأَسْمَاءُ قَدْ بَرَزَ مِنَ الْمَدِينَةِ .
وَقَالَ قَوْمٌ : قَدْ اشْتَدَّ مَرْضُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا تَسْعِ قُلُوبَنَا مَفَارِقَتِهِ ،
وَالْحَالَةُ هَذِهِ^(٣) .

وَكَانَ سَبِبُ ذَلِكَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا وَأَمْرَ عَلَيْهِمْ أَسْمَاءَ

(١) فِي السُّطُرِ الثَّامِنِ مِنَ الصَّفَحَةِ ٢٨ .

(٢) الْمَصْدَرُ ١ : ٢٩ .

منهج في الانتقاء المذهبي

ابن زيد ، فطعن الناس في إمرته فغضب لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام فيهم خطيباً وقال : « إن تعذينا في إمرته ، فقد كنتم تعذينا في إمرة أبيه من قبل ، وأيّم الله إن كان لخليقاً للإمرة ، وإن كان من أحب الناس إلى ، وإن هذا من أحب الناس إلى بعده » ^(١) .

ودخلت أم أيمن ، فقالت : أي رسول الله ، لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتأثر ، فإن أسامة إن خرج على حالي هذه لم ينتفع بنفسه . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أنفذوا بعثة أسامة » .

وعسكر الجيش خارج المدينة ، وفيهم أبو بكر وعمر ، وتُقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبلغ ذلك أسامة ، فجاءه ، وطأطأ عليه يقبله ، فجعل الحبيب المصطفى يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة ، كالداعي له ، ثم أشار إليه بالرجوع إلى عسكره والتوجه لما بعثه فيه ، فرجع أسامة إلى عسكره . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبح بارئاً ، فدخل عليه أسامة من معسكره ، فأمره رسول الله بالخروج وتعجيل النفوذ ، وقال : « اغدو على بركة الله » وجعل يقول : « أنفذوا بعثة أسامة » ويكرر ذلك ^(٢) .

الآن ضع كلماته صلى الله عليه وآله وسلم : « جهزوا جيش أسامة » ، « أنفذوا بعثة أسامة » ، « لعن الله من تخالف عنه » ضعها إلى جنب قوله تعالى :

(١) صحيح البخاري ٥ : ٩٦ / ٢٢٣ و ٥ : ٢٩٠ / ٢٦٢ ، صحيح مسلم ٤ : ١٨٨٤ / ٢٤٢٦ ، مستند أحمد ٢ : ٢٠ ، سيرة ابن هشام ٤ : ٣٠٠ ، الطبقات الكبرى ٤ : ٦٥ ، ابن أبي الحديد ١ : ١٥٩ - السيرة النبوية - المسمى (عيون الأثر) ٢ - ٣٥٢ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٥٠٠ ، المغازي - للذهبي - ٧١٤ وقال : متفق على صحته .

(٢) الطبقات الكبرى ٤ : ٦٨ ، تهذيب تاريخ دمشق ١ : ١٢٢ ، ابن أبي الحديد ١ : ١٦٠ و ٦ : ٥٢ ، المغازي - للواقدي - ١١١٩ : ٣ ، عيون الأثر ٢ : ٣٥٢ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٤٨٤ وأورده موجزاً على عادته .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾^(١) .
 وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ حِلٍّ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا
 أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً
 مُبِينًا ﴾^(٢) .

وهل يشك أحد في كونه صلى الله عليه وآله وسلم أعلم بمصلحة الدين
 والأمة منهم ، وأنه أشفق على الإسلام والمسلمين من غيره ؟
 إذن كيف نفسّر ذلك منهم ؟
 منها كان فهو في خلاف ما أمر به رسول الله ، وشدد عليه ، والنصوص
 في ذلك صريحة .

وشواهد كثيرة يطول ذكرها تدلّ كلّها على عدم سلامته الرأي القائل
 بعدالة كلّ صاحبي .
 وتدلّ أيضاً على أنّ التاريخ السياسي لهذه الأمة له الأثر الأكبر فيما بلغنا
 حول بعض الصحابة ، وللموضوع تتمّة في الفصل الآتي .
 وأما باقي الصحابة وهم الأكثر عدداً ، فهم أنصار الله ورسوله ، وهم
 أفضل من على وجه الأرض حينئذ ، وهم قام هذا الدين وانتصر ، فجزاهم الله
 على ذلك أحسن الجزاء ، ورضي عنهم وأرضاهم ، وجعلنا من التابعين لهم بإحسان .

* * *

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) الأحزاب : ٣٦ .

حوار

أسئلة حرة:

أسئلة حرة ، تبُثُّ بها الفِطْرَة ، بحثاً عن موضع قدمٍ من بين تلك الْلُّجُج .
ولها أن تسأل لتهتدي ، وليس لأحدٍ إلْجَامُهَا بعدما أذنَ اللَّهُ لَهَا ، وأمرَهَا

بذلك :

فقال تعالى : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٢) .

وقال جلّ جلاله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾^(٣) .

وقال حبيبه المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « تَفْكِرْ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِّنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ »^(٤) .

وقال وليه ، أخو رسوله : « إِنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ لَا يُعْرَفَانِ بِالنَّاسِ ، وَلَكِنْ

(١) يوئيس : ٣ ، هود : ٢٤ ، ٣٠ ، النَّحْلُ : ١٧ ، المؤمنون : ٨٥ ، الصافات : ١٥٥ ، الجاثية : ٢٣ .

(٢) البقرة : ٤٤ ، ٧٦ ، آل عمران : ٦٥ ، الانعام : ٣٢ ، الأعراف : ١٦٩ ، يوئيس : ١٦ ، هود : ٥١
ومواضع أخرى .

(٣) سورة محمد (ص) : ٢٤ .

(٤) الكافي ٢ : ٤٥ / ٢ (باب التَّفْكِيرْ) ، كنز العمال ٣ ح / ٥٧١١ .

اعرف الحقّ تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أئمته »^(١) .

فلن إذن أن نفتّش عن كلمة الحقّ ، فنأخذها ، وعن المخطوطة الحقّ ، فننفّذ
أثرها ، وندع ما سوى ذلك لأهله ، ولكلّ إلى ربه معاد .

وقد لا يكون دقيقاً قولنا : إنَّ التعرّض لاصحاب النبيّ هو من خلاف
القوى إذ إنَّ الأمر هو من خلاف الدين ، أمّا القوى فمرحلة متقدمة من
مراحل الإثبات ، ذلك إن كان تعرّضاً لإجل التعرّض ليس إلا ، أو ملء الفراغ بما
ليس منه جدوى ، أو ركوبًا على مطية الهوى .

أمّا حين يكون بحثاً عن الهدى ، وإلاجل أن نعرف من هم أولياء الله حقّاً
ومن الذي انتحل هذا اللقب ، أو منْحه من غير ما استحقّاق ، فنواли الصالحين
ونجافى المعاندين ، فعندئذ يكون بحثنا من صلب الدين ، ومن مُخ العبادة .
وليس في هذا فرصة للخلاف ، وإلا فبأى معنى سنكون من أولياء الله
ونحن لا نعرف من هم أولياؤه حقّاً ، فنواليهم ، ولا ندرى من هم أعداؤه ،
فنعمادهم ؟

ولعله استدلّ بحديثٍ كثيرٍ على وجوب تحبّب ما من شأنه المساس بأى
من أدرك النبيّ ، وأسلم على عهده ، فصحّ أن يسمى (صحابياً) .
ومن ذلك :

الحديث : « احفظوني في أصحابي ». .

الحديث : « لا تسبّوا أصحابي ». .

الحديث : « أصحابي كالنجوم ، بأيّهم اقتديتم اهتديتم ». .

الحديث : « خير القرون قرني ، ثمَّ الذين يلونهم ، ثمَّ الذين يلونهم »
وأمثال هذا .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢١٠ .

تُرى - إن كان الأمر كذلك - فمن أين أتى هذا الطعن على الصحابة؟
ومن الذي وضع أَسْهَ ، وأشاد ببنائه ؟
أنحن ، أهل هذه الأجيال المتأخرة كُنَا وراء كُلَّ ذلك ، أَم سَبَقْنَا إِلَيْهِ قَوْمٌ
آخرون ؟

بحثت بجدٍ فلم أجد حادثةً في هذا الباب - بعد غياب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - سبقت ما كان من عمر بن الخطاب في سعد بن عبادة يوم السقيفة : اقتلوا سعداً ، قتل الله سعداً .

فكانت هذه هي أول سبّة عرفها المسلمون فيما بينهم ، وجثمان النبي الطاهر لم يُودع بعد !

والذى تلقاها هو أحد النقباء ، ومن أصحاب الشجرة ، ومن شهد الموضع كلها ، أو جلّها .

ثم أعقب هذا بقليل إحاطة بيت عليٍّ وفاطمة عليهما السلام ، وانتهاكه ، وما صحب ذلك من تفاصيل تعدى ذكر أهمها .

ثم ما وقع من عمرو بن العاص ، وجماعة من مسلمة الفتح بحق الأنصار من نيل ، وطعن ، وانتقاد كاد يثير فتنة كبيرة لو لا أن دفع الله ذلك على لسان عليٍّ بن أبي طالب ، والقشم بن العباس ، وخالد بن سعيد بن العاص ^(١) .

ثم جاءت (الدّرّة) التي لم ينج منها إلا من رحم ربِّي .
الدرّة التي كانت تقع على رؤوس المهاجرين ، والأنصار ، والبدريين ،

وأصحاب الشجرة ، فلا تردد في النيل من كرامة أحدهم ، أو أذاه !
وأحداث أخرى تعاقبت ، سنمرّ على بعضها بالإشارة دون التفصيل .
وربّما تعدى على أكثرها شهرةً وصدى مقالة أم المؤمنين عائشة في الخليفة

(١) ابن أبي الحديد ٦ : ٤٥ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٨ .

عثمان :

(هذا قميص رسول الله لم يبل بعد وقد أبل عثمان سنته !) .
 (اقتلوا نعمثلاً فقد كفر) .

ثم هل هناك أشهر من سبّهم علياً وحسناً وحسيناً عليهم السلام على المنابر عقوداً من الزمن ؟

حتى صار ذلك سنة توارثها الأجيال ، جيل عن جيل ، ولو لا أن سخر الله لها عمر بن عبد العزيز فمنعها لبقيت جارية في أمتنا إلى يومنا هذا ، ولأنفينا نعتقد أنها واحدة من سنن الدين !

وماذا عساه يستغرب المرء من هذا القول ، ألم يكن ذلك الاعتقاد سارياً بين أجدادنا من أبناء تلك العصور ، حتى كان خطباؤهم ، وعامتهم يتقرّبون به إلى الله ؟

حدّث أبو سلمة المثنى بن عبد الله الأنباري - أخو محمد بن عبد الله الأنباري - قال : قال لي رجل : كنت بالشام ، فجعلت لا أسمع أحداً يُسمّى : علياً ، ولا حسناً ، ولا حسيناً ، وإنما أسمع : معاوية ، ويزيد ، والوليد .
 قال : فمررت برجل جالس على باب داره ، وقد عطشت فاستسقيته ،
 فقال : يا حسن ، اسقه .

فقلت له : أسميت حسناً ؟

قال : إيه والله ، إنّ لي أولاداً أسماؤهم : حسن ، وحسين ، وجعفر ، فإنّ أهل الشام يُسمّون أولادهم بأسماء خلفاء الله ، ولا يزال أحدهنا يلعن ولده ويشتمه ، وإنما سُمِّيَ أولادي بأسماء أعداء الله ، فإذا لعنت فإنما العن أعداء الله .
 فقلت له : ظننتك خير أهل الشام ، وإذا جهّنْ ليس فيها شرّ منك ^(١) .

(١) معجم الادباء ١٤ : ١٢٩ - ١٢٨ ، ورواه الذبي في سير أعلام النبلاء ، الترجمة ١١٣ ج ١٠ : ٤٠٢ .

وأمثال هذا كثير ، فلقد كان بين أن ملَك معاوية فسنَّ هذه «السنة» سنة (٤٠) للهجرة ، وبين أن ولِي عمر بن عبد العزيز سنة (٩٩) فمنع منها ستين عاماً ، فكيف لا تدين بها أُمّة ما زالت تتلقّاها من أفواه أمّرائها وخطبائها ستين عاماً ؟ وكان ذلك واحداً من القرون الثلاثة التي ذُكرت في الحديث ، أنها خير القرون . فما الذي أُريد من تلك القرون ؟ أم أيّ يوم يُعظّمون ؟

أيوم قُتل فيه أمير المؤمنين وسيد الوصيّين ، وقائد الغرّ المحجلين ، أخو رسول رب العالمين ، لينزو بـنـوـأمـيـةـ علىـ منـابـرـ الـمـسـلـمـينـ ؟

أم يوم فتنـةـ الجـلـمـ ، وعـشـراتـ الـآـلـافـ منـ القـتـلـ ، كـلـهـمـ منـ أـهـلـ تـلـكـ

الـقـرـونـ ، بـيـنـ صـحـابـيـ وـتـابـعـيـ ؟ وـلـيـسـ بـخـفـيـ ماـ يـعـقـبـ القـتـلـ منـ تـرمـيلـ النـسـاءـ ،

وـإـتـامـ الـأـطـفـالـ ، وـالـشـدائـدـ وـالـضـيـاعـ .

أم يوم فتنـةـ الدـارـ ، وـمـقـتـلـ الـخـلـيـفـةـ عـنـبـانـ بـنـ عـفـانـ ؟

أم يوم أـغـيـرـ عـلـىـ آلـ رـسـولـ اللهـ بـعـيدـ وـفـاتـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ ؟

أـذـلـكـ الـقـرـنـ يـرـيـدونـ ، أـمـ قـرـنـاـ قـتـلـ فـيـهـ أـبـنـاءـ الـمـصـطـفـيـ وـفـيـهـ سـبـطـهـ

وـرـيحـانـتـهـ ، سـيـدـ شـبـابـ أـهـلـ الـجـنـةـ ، وـسـبـيـتـ بـنـاتـ الـزـهـرـاءـ : زـينـبـ ، وـأـمـ كـلـثـومـ ،

وـمـنـ مـعـهـنـ منـ نـسـاءـ أـهـلـ الـبـيـتـ ، وـآلـ أـبـيـ طـالـبـ ، حـتـىـ لـمـ يـقـ بـيـتـ لـهـ بـرـسـولـ

الـهـ صـلـةـ إـلـاـ وـضـجـتـ فـيـهـ النـوـائـحـ ، وـسـكـنـتـ الـأـحـزـانـ وـالـآـلـامـ ؟!

أم قـرـنـاـ أـبـيـحـتـ فـيـهـ مـدـيـنـةـ رـسـولـ اللهـ الـمـنـورـةـ فـيـ وـقـعـةـ الـحـرـةـ الشـهـيرـةـ ، فـقـتـلـ

الـأـصـحـابـ وـالـتـابـعـونـ ، وـنـهـيـتـ الـأـمـوـالـ ، وـبـقـرـتـ بـطـوـنـ الـحـوـاـمـ ، وـهـتـكـتـ

الـأـعـراـضـ حـتـىـ وـلـدـتـ الـأـبـكـارـ لـاـ يـعـرـفـ مـنـ أـولـدـهـنـ^(١) ؟!

(١) الإمامة والسياسة: ٢٠٩ - ٢٢٠ ، الكامل في التاريخ ٤: ١١١ - ١١٩ ، تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٥٣ - ترجمة يزيد بن العقد الفريد ٥: ١٢٨ ، الجواهر الشفين: ٧٩ - ٧٨ ، تعجّيل المنفعة للمسقلاني: ٧٩ - ٨٠.

فهل المراد من « خير القرون » تعظيم كل ذلك ، وتقديسه ، والاقتداء

به ؟

إن قيل هذا فليس لأحد أن يرد على مانعي الزكاة بعد وفاة النبي ، بل وحتى الذين ارتدوا عن الإسلام جهاراً ، لأنهم جميعاً من أهل القرن الأول ، ومن أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورآه ، وسمع حديثه !

فلياً لم يقل بهذا أحد من أهل القبلة علمنا أنه ليس المراد تعظيم كل ما حدث في تلك القرون ، كما أنه لا يصح تعظيم كل فرد من أهل تلك القرون وحفظ جانبه من أن يُنال بشيء .

وليس هذا فقط ، بل لا يصح أيضاً الاعتقاد بأن أولئك جميعاً هم أفضل من يأتي بعدهم ، ناهيك عن أنبياء وصديقين عاشوا قبلهم ورحلوا .

فهل يمكن أن يكون المراد أن الصالحين من أهل تلك القرون هم أفضل على الإطلاق من سيأتي بعدهم ؟

سوف لا أكون إلا مذكراً حين أقول : إن العكس أقرب للصواب - لما جاء في صحاح الأحاديث - باستثناء من جاءت النصوص بتفضيلهم .

فقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « طوبى لمن رأني وأمن بي ، ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني »^(١) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « طوبى لمن آمن بي ورأني مرّة ، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات »^(٢) .

(١) مسند أحمد ٣ : ٧١ ، كنز العمال ١ ح / ٢٤٩ .

(٢) مسند أحمد ٣ : ١٥٥ ، ١٥٥ : ٥ ، ٢٤٨ : ٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٧ ، كنز العمال ١ ح / ٢٥٠ ، مجمع الزوائد ١٠ : ٦٧ وقال : رواه أحمد والطبراني بأسانيد رجالها رجال الصحاح غير أيمان بن مالك الأشعري وهو ثقة .

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآل وسلّم: «وددت أني لقيت إخواني»
فقال أصحاب النبي : أليس نحن إخوانك ؟

قال : «أنتم أصحابي ، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني »^(١).

ثم يأتي هذا التفضيل صريحاً في حديث صحيح ، هذا نصه :
عن أبي جعفة ، قال : تغدىنا مع رسول الله صلى الله عليه وآل وسلّم ومعنا
أبو عبيدة بن الجراح ، فقال : يا رسول الله ، أحد أفضل منا ، أسلمنا معك ،
وجاهدنا معك ؟

قال : «نعم ، قوم يكونون من بعدي ، يؤمّنون بي ولم يروني »^(٢).
ويأتي مفصلاً في حديث آخر رجاله رجال الصحاح ، أخرجه الهيثمي عن
عمر بن الخطّاب ، قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وآل وسلّم جالساً ، فقال:
«أنبؤوني بأفضل أهل الإيمان إيماناً ».
قالوا : يا رسول الله ، الملائكة .

قال : «هم كذلك ، يحقّ لهم ذلك ، وما يمنعهم من ذلك وقد أنزلهم الله
المنزلة التي أنزلهم بها ؟ بل غيرهم ». .

قالوا : يا رسول الله ، الأنبياء الذين أكرمهم الله برسالته والنبوة .
قال : «هم كذلك ، ويحقّ لهم ذلك ، وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالنزلة
التي أنزلهم بها ؟ ». .

قالوا : يا رسول الله ، الشهداء الذين استشهدوا مع الأنبياء .
قال : «هم كذلك ، ويحقّ لهم ، وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالشهادة ؟ بل
غيرهم ». .

(١) مسنّد أحمد ٣ : ١٥٥ .

(٢) مسنّد أحمد ٤ : ١٠٦ - وأخرجه في الصفحة ذاتها من طريق أبي المغيرة -، مسنّد أبي يعلى ٣ : ١٢٨ ،
أسد الغابة ٥ : ١٥٩ ، مجمع الزوائد ١٠ : ٦٦ .

قالوا : فمن ، يا رسول الله ؟

قال : « أقوام في أصلاب الرجال ، يأتون من بعدى ، يؤمنون بي ولم يروني ، ويصدقونى ولم يروني ، يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه ، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً »^(١) .

ومرّة أخرى يأتي هذا التفضيل مشرقاً لا ضباب عليه ، فبينما تراه صلى الله عليه وآله وسلم بشيراً لمؤمنين « لم يأتوا بعد » تراه نذيراً بليغاً لمن كان حوله ! إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم يوماً وأصحابه من حوله ، قال : « وددت أنا قد رأينا إخواننا » .

فقالوا : يا رسول الله ، ألسنا بإخوانك ؟

قال : « بل أنتم أصحابي ، وإخواني الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فرطهم على الحوض » .

قالوا : يا رسول الله ، كيف تعرف من لم يأت من أمتك بعد ؟

قال : « أرأيت لو أنّ رجلاً كان له خيل غرّ محجلة^(٢) بين ظهراني خيل بهم دهم^(٣) ألم يكن يعرفها ؟ ». قالوا : بل .

قال : « فلهم يأتون يوم القيمة غرّاً محجلين من أثر الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض - ثم قال - ألا ليزادن رجال منكم عن حوضي كما يُزداد البعير الضال أناديهم : ألا هلم ، فيقال : إنهم بدلوا بعده ، فأقول : سحقاً سحقاً »^(٤) .

(١) مستند أبي يعلى ١ / ١٤٧ ، مجمع الزوائد ١٠ : ٦٥ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤ : ٨٥ في ذكر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين - وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يغره .

(٢) الغرّ : بياض الوجه ، والمحجل : الذي يرتفع البياض في قوانمه إلى موضع القيد . النهاية ١ : ٣٤٦ .

(٣) البَهْمَ : جمع البَهْمِ ، وهو الذي لا يختلط لونه لون سواه ، والدُّهْمَ : من الدُّهْمَةِ وهي السواد . انظر الصحاح : مادة (بهم) (دهم) .

(٤) هذا نصّ مستند أحمد ٢ : ٣٠٠ ، ومستند أبي يعلى ١١ : ٣٨٧ / ٦٦٢ - (٦٥٠٢) ، وهو في صحيح ←

فماذا بقي بعد ؟

نعم ، إن أحداً لا يشك في أن قرناً عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم هو خير القرون .

فأيّ زمن هذا الذي يضاهي زمناً أطلّ فيه نور المصطفى على العالمين !
زمناً فيه بهجة الخلائق ، والرحمة المهداء ، إمام الأنبياء ، وسيد المرسلين !
زمناً ما زالت رسائل السماء فيه تتوافد على رسول الله وأمينه في أرضه ،
ونور الإسلام ينتشر في الآفاق فيملاً قفارها خيراً وعطاءً وحباً وعزّةً وصفاء !
وحسبك فيه أنّه عهد المصطفى المختار ، وكفى .

فطوبى لمن أدركه ثم رعاه ، فإنّ صحبة المصطفى شرف لا يضاهى لمن
حفظ له حقّه ، ولكنه وبالُ على من فرّط فيه ، وضيّعه !

روى البخاري عن العلاء بن المسبّب ، عن أبيه ، قال : لقيت البراء بن
عاذب رضي الله عنهما فقلت : طوبى لك صحبت النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم
وابايعته تحت الشجرة .

فقال : يا بن أخي ، إنك لا تدرى ما أحدهتنا بعده ! صلى الله عليه وآلـه
 وسلم !

إذن ، هل يصحّ أن يكون كل رجل منهم بمنزلة النجم ، إذا اقتدينا به
اهتدينا ؟

إن كان الأمر كذلك فعلى أيّ شيء هرعوا مسرعين نحو سقيفةبني
ساعدة ليدركوا الأنصار قبل أن يبايعوا خليفةً من بينهم ؟

وكان الأنصار قد مالوا إلى سيدهم سعد بن عبادة ، ألم يكن سعد

→ مسلم ١ : ٢٤٩ / ٢١٨ - كتاب الطهارة ، وسنن ابن ماجة - كتاب الزهد - ٢ : ٤٣٠٦ / ١٤٣٩ ، والموطأ ١ : ٢٨ / ٢٨ - كتاب الطهارة باختلاف يسير في اللفظ .

(١) صحيح البخاري - باب غزوة الحديبية ٥ : ٢٦٤ ح / ١٩٧ .

كأحدهم ، وقد شهد الموضع كلّها مع النبيّ ؟ فلِمْ استنكروا البيعة له كُلَّ هذا الاستنكار ، وتصدّوا لها بكلّ ما يملكون من قوّة ، حتّى كادت تنشب الفتنة فلا تهدأ إلّا عن رماد وحطام ؟

ثمّ لم يحفظوا رسول الله في سعد !

قال عمر بن الخطاب وهو يصف بيعة السقيفة : ثمّ نزونا^(١) على سعد ، حتّى قال قاتلهم : قتلتم سعد بن عبادة ، فقلتُ : قتل الله سعداً^(٢) ! وسعد بن عبادة - هذا الذي وطّوه وشتموه - إنّا هو أحد النقباء ، ومن أصحاب بدر وبيعة الشجرة !

قال ابن عباس : كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المواطن كلّها رايتان : مع عليّ راية المهاجرين ، ومع سعد بن عبادة راية الأنصار . وروى أحمد عن قيس بن سعد ، قال : زارنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الحديث - ثمّ رفع يديه ، فقال : « اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة »^(٣) .

فلمَّا كُتب « الهدى » و « النجاة » لمن تابع عمر في بيته لأبي بكر ، ولم يُكتب من ذلك شيء لمن تابع سعداً الذي أعرض عنها ، ولم يُباع لأحد منها حتّى توفي على عهد عمر مخاصماً له^(٤) ؟

(١) أي وقعاً عليه ووطنه . انظر لسان العرب (نزا) ١٥ : ٣٢٠ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الحدود - ٨ : ٣٠٤ ح / ٢٥ ، تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠١ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٣٢٨ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٢٤ ، البداية والنهاية ٥ : ٢١٦ ، ابن أبي الحديد ٢ : ٢٥ ، الرياض النضرة ١ : ٢٣٤ ، سيرة ابن هشام ٤ : ٣١٠ ، جامع الأصول ٤ : ٤٧١ .

(٣) انظر ترجمة سعد بن عبادة في : أسد الغابة ٢ : ٢٨٣ ، الإصابة ٣ : ٣١٦٧ / ٨٠ ، الطبقات الكبرى ٣ : ٦١٣ ، تهذيب الكمال ١٠ : ٢٢٧ .

(٤) الكامل ٢ : ٣٣١ ، الطبرى ٣ : ٢١٠ ، أسد الغابة ٢ : ٢٨٤ ، الإصابة ٣ : ٨٠ ، تهذيب الكمال ١٠ : ٢٨١ ، تاريخ ابن خلدون ٢ : ٤٨٨ ، الطبقات الكبرى ٣ : ٦١٦ - ٦١٧ ، سير أعلام النبلاء ١ :

أليسوا جميعاً كالنجوم ، بأيّهم اقتدينا اهتدينا ؟
 - وهل ينافق كلام رسول الله بعضه بعضاً ؟
 فهو صلّى الله عليه وآلـه وسـلم القائل لعـمار بن يـاسر : « تقتلـك الفـئة
 البـاغـية » ^(١) .

والفـئة البـاغـية هـذه إـنـما كانـ يـقودـها صـاحـبـيـان : مـعاـوـيـة ، عـمـرـو بـنـ
 العـاصـم !

فـهل يـكونـ الـبـاغـيـ مـهـتـديـاً ؟
 إذـنـ كـيفـ سـيـعـرـفـ الـحـقـ ؟ وـأـينـ سـيـكـونـ الـدـينـ ؟
 - وإنـ كـانـ لـسـائـرـ الصـاحـابـةـ مـثـلـ هـذـهـ المـنـزـلـةـ ، فـكـيفـ جـازـ لـعـمرـ أـنـ يـقـبـلـ
 الدـعـوـىـ عـلـىـ الـمـغـيرـةـ بـالـزـنـاـ ، ثـمـ اـسـتـدـعـىـ الشـهـودـ ، وأـجـلـسـهـمـ لـلـخـصـومـةـ ،
 حـتـىـ شـهـدـ مـنـهـمـ ثـلـاثـةـ وـتـلـكـاـ الرـابـعـ ^(٢) ؟!
 وـلـمـاـ أـجـازـ شـهـادـتـهـمـ عـلـىـ قـدـامـةـ بـنـ مـظـعونـ الـأـنـصـارـيـ فيـ شـرـبـ الـخـمـرـ ،
 ثـمـ أـقـامـ عـلـىـ الـحـدـ ، فـجـلـدـهـ ^(٣) ؟

ولـمـاـ لـمـ يـسـتـبـعـدـ ذـلـكـ مـنـهـاـ ، وـيـحـكـمـ باـسـتـحـالـتـهـ عـلـيـهـاـ لـمـ كـانـ هـمـاـ مـنـ
 الصـحـبـةـ وـالـسـابـقـةـ ؟ فـقـدـ كـانـ قـدـامـةـ بـنـ مـظـعونـ مـنـ شـهـدـ بـدـراـ ^(٤) ، وـالـمـغـيرـةـ قـدـ

→ ٢٧٧ .

(١) صحيح البخاري - كتاب الصلاة ١: ١٩٤ ، صحيح مسلم - كتاب الفتنة ٤: ٢٢٣٥ / ٢٢٣٥ ، ٧٢ ، ٧٠ ، ٧٣ ، مسند أحمد ٢: ١٦١ ، ١٦٤ ، وعدة مواضع أخرى ، وترجمة عمار بن ياسر في جميع كتب التراجم والسير .

(٢) المستدرك ٣: ٤٤٨ ، الكامل في التاريخ - أحداث السنة السابعة عشر - ٢: ٥٤٠ ، تاريخ الطبرى ٤: ٢٠٦ ، البداية والنهاية ٧: ٨٣ ، ابن أبي الحديد ١٢: ٢٣١ .

(٣) أسد الغابة ٤: ١٩٩ ، الإصابة ٥: ٢٣٣ ، الطبقات الكبرى ٥: ٥٦٠ ، ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٣ ، سير أعلام النبلاء ١: ١٦١ ، البداية والنهاية ٧: ١٠٧ ، الرياض النضرة ٢: ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٤) أسد الغابة ٤: ١٩٨ ، الطبقات الكبرى ٥: ٤٠١ ، الإصابة ٥: ٢٣٢ ، سير أعلام النبلاء ١: ١٦١ .

شهد بيعة الشجرة^(١) !

فأين أصبح إذن حديث - أصحابي كالنجوم - ؟

هذا الحديث الذي لو صحّ على إطلاقه لامتلأت السنة بتناقض عجيب
واضطراب لا تثبت معه قدم ، إذ سيخلط الحق بالباطل ، والهدى بالضلal ،
ويصبح من الحال الفصل بينها ، غير أنه قد أراهننا من هذا العناء من أثبت
مرةً سقوط هذا الحديث عن المنزلة التي يصحّ معها الاحتياج به ، ومرةً أثبت
بطلاته :

فقد روى المتنقي الهندي الحديث في باب الاعتصام بالكتاب والسنة بهذا
النصّ : « منها أُتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه ، فإن لم
يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية ، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي ، إن
 أصحابي كالنجوم في السماء فأيّهم أخذتم اهتديتم ، واختلف أصحابي لكم
رحمة » .

ثم عَقَبَ عليه ، فقال : (ق) - أي أخرجه البهقي - في المدخل ، وأبو
نصر السجزي في الإبانة ، وقال : غريب .

وأخرجه الخطيب ، وابن عساكر ، والديلمي ، عن سليمان بن أبي كريمة
عن جوibr ، عن الضحاك ، عن ابن عباس - قال - وسليمان ضعيف ، وكذا
جوibr^(٢) .

فلل الحديث - إذاً - طریقان : أحدهما غريب ، وهذا لا يحتاج به .
والآخر فيه ضعيفان ، فهو مردود .



وقالوا : كان أحد السابقين الأولين هاجر المجرتين وشهد بدراً .

(١) أسد الغابة ٤ : ٤٠٦ ، الإصابة ٦ : ١٣١ وترجمة المغيرة في كافة مصادرها .

(٢) كنز العمال ١ : ١٩٨ / ١٠٠٢ .

وأخرجه ابن حجر في (لسان الميزان) : وقال : أخرجه الدارقطني في غرائب مالك ، وقال : لا يثبت عن مالك ، ورواته مجهولون . قلت : وذكره ابن أبي حاتم عن أبي شهاب الحنّاط ، وعنده أحمد بن عبدالله بن قيس بن سلمان بن شريك المروزي ، وقال : سألت أبي عنه ، فقال : لا أعرفه^(١) .

وأخرجه الذهبي وابن حجر أيضاً من حديث جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ، وبعد أن وصفاه بوضع الحديث قالا : ومن بلايه حدث أصحابي كالنجوم^(٢) .

نعم ، لو صح الحديث فإنه لا يكون إلا كما فسره الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حيث سُئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أصحابي كالنجوم بأيمهم اقتديتم به» وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «دعوا لي أصحابي» فقال : «هذا صحيح ، يُريد : من لم يُغَيِّرْ بعده ، ولم يُبَدِّلْ ! لما يررونـه من أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : لَيَذَادُنَّ بِرَجَالٍ مِّنْ أَصْحَابِي يوم القيمة عن حوضي كما تُزَادُ غرائب الإبل عن الماء ، فأقول : يا رب أصحابي ، أصحابي . فيقال لي : إنك لا تدرى ما أحـدثـوا بـعـدـك . فيؤخـذـ بهـمـ ذاتـ الشـمـالـ ، فـأـقـولـ : بـعـدـاـ لـهـمـ ، وـسـحـقاـ لـهـمـ» . أفتـرىـ هـذـاـ مـنـ لـمـ يـغـيـرـ لـمـ يـبـدـلـ^(٣) ؟

وحلـيـثـ العـشـرـةـ المـبـشـرـةـ :

هو أيضاً من تلك الأحاديث التي صُنعت لأجل نشر الغبار على الحقيقة !
فهذا الحديث الذي راج رواجاً عجيباً ليس له إلا طريقة : أحدهما

(١) لسان الميزان ٢ : ١٣٧ - ١٣٨ .

(٢) ميزان الاعتدال ١ : ٤١٣ ، لسان الميزان ٢ : ١١٧ - ١١٨ .

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ : ٣٣ / ٨٧ وفي إسناده من لم يعرف حاله .

ينتهي إلى عبد الرحمن بن عوف ، والآخر إلى سعيد بن زيد ، وكلها من بين العشرة !

أما الطريق الأول : فهو محصور بعد الرحمن بن حميد ، عن أبيه حميد
ابن عبد الرحمن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن عوف^(١) .

وهذا إسناد باطل لأنَّ حميد بن عبد الرحمن الزهرى لم يَر عبد الرحمن بن
عوف ، ولم يدركه ! إذ إنَّ عبد الرحمن بن عوف قد توفي سنة ٣٢ هـ^(٢) ، وإنَّ حميد
ابن عبد الرحمن الزهرى قد توفي سنة ١٠٥ هـ عن عمر ٧٣ سنة ، فيكون قد ولد
سنة ٣٢ ، وهي سنة وفاة عبد الرحمن بن عوف !

وعلى رواية أَنَّه توفي سنة ٩٥ عن مثل هذا العمر ، فعليه يكون قد بلغ
العاشرة من عمره سنة وفاة عبد الرحمن بن عوف . وهذه أيضاً لا تسعف الأمر ،
لأنَّ عمراً كهذا لا يرشحه هذه الرواية ، فكيف أصبح - بعمره هذا - الراوى
الأوحد ؟

أضف إلى ذلك أَنَّ أهل التصانيف في علم الرجال قد حكموا بأنَّ روایته
عن عثمان بن عفان منقطعة ، وأنَّ روایته عن عليٍّ عليه السلام مرسلة ، هذا وإنَّ
عثمان قد توفي بعد عبد الرحمن بثلاث سنين ، وعاش عليٌّ بن أبي طالب بعده
ثماني سنين . وأحصى ابن حجر من حدث عنهم حميد الزهرى من الصحابة ،
وليس فيهم عبد الرحمن بن عوف^(٣) ! . هذا هو إسنادهم الأول .

وأما الإسناد الثاني : فقد روی مرتَّةً من طريق عبد الله بن ظالم المازني
عن سعيد بن زيد .

(١) مستند أَحد ١ : ١٩٣ ، الترمذى ٥ : ٦٤٧ ، مصابيح السنة ٤ : ١٧٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١ : ٩٢ .

(٣) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣ : ٤٥ .

وعبد الله بن ظالم المازني هذا قال فيه ابن حجر : لينتهي البخاري^(١) .
وفي تاريخ البخاري الكبير ، قال : ليس له حديث إلا هذا - عشرة في الجنة - وبحسب أصحابي القتل !^(٢) .
وذكره العقيلي في الضعفاء ، وقال : قال البخاري : عبد الله بن ظالم ، عن سعيد بن زيد ، عن النبي (ص) : ولا يصح^(٣) .

ورواية أخرى عن عبد الرحمن بن الأحسن عن سعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن الأحسن قال عنه ابن حجر : مستور^(٤) .
ومرة عن عبد الرحمن بن حميد ، عن أبيه ، عن سعيد بن زيد^(٥) وفيها جيئاً مع ما تقدم :
١ - إنما لم تعرف إلا في عهد معاوية ، بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثين سنة ! فأين كانوا عنها ، والجواب يلائم نشرها ، بل كانوا في حاجة مثلها آنذاك في مواضع عديدة ؟
والشاهد على ظهورها أيام معاوية صدر الرواية نفسها ، ففي بعضها : لما قدم فلان الكوفة أقام فلاناً خطيباً ، فأخذ بيدي سعيد بن زيد ، فقال : إلا ترى إلى هذا الظالم - وذلك حين سمعه يسبّ علياً عليه السلام - فأشهد على التسعة أنهم في الجنة فعدّهم - قلت : ومن العاشر ؟
فتلكأ هنيةة ، ثم قال : أنا . وجاء في رواية أخرى ، أنه كان في المسجد في الكوفة - فذكر رجلٌ علياً فقام سعيد بن زيد ، الحديث .

(١) تغريب التهذيب ١ : ٤٢٤ / ٤٧٤ .

(٢) التاريخ الكبير ٥ : ١٢٤ / ٣٦٨ .

(٣) الضعفاء الكبير ٢ : ٢٦٧ / ٨٢٧ .

(٤) تغريب التهذيب ١ : ٤٧٢ / ٨٥٨ . وعد السرخسي المستور مع الفاسق والكافر والمعتوه وصاحب الموى ، وقال : قد نصّ محمد بن الحسن الشيباني على أنّ خبره كخبر الفاسق . أصول السرخسي ١ : ٣٧٠ .

(٥) الترمذى ٥ : ٦٤٨ .

هكذا إذن ظهرت هذه الروايات هنا لأول مرة ولم يسمع بها أحد من

قبل!

٢ - اضطرابها : فقد جاء في أكثرها ذكر النبي وتسعة معه ليس فيهم أبو عبيدة ، وذكر في بعضها أبو عبيدة ، ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ! وفي بعضها عبدالله بن مسعود بدلاً من أبي عبيدة^(١) .

٣ - أن أيّاً من طرقها لم يذكره الشیخان : البخاري ، ومسلم ، ولو وجد أحدهما إليها سبيلاً يُعتقد به لأنّيتها في مسنده ، ولأعاد ذكرها في شتى الأبواب .

٤ - أنّ الرواية لم تتوقف عند العشرة ، بل تعدّت إلى أحد عشر ، فمن

هو الحادي عشر ؟

لو سُئلت عن هذا لتبادر إلى ذهنك اسم : أبي ذر ، أو عمر بن ياسر ، أو ذي الشهادتين ، أو حمزة بن عبد المطلب ، أو جعفر الطيار ، أو معاذ بن جبل أو رجل من هذه المراتب ، ولكن الحقيقة غير هذه . فلندع الرواية تتكلّم ، لتكشف بنفسها عن هويتها :

ذكر المحبّ الطبرى - في الرياض النضرة - فصلاً في وصف كلّ واحد من العشرة يصفه حميدة ، وساق الحديث ، وذكر لكلّ واحد صفتة إلى أن قال : « ولكلّ نبى صاحب سرّ ، وصاحب سرّى : معاوية بن أبي سفيان ، فمن أحبّهم فقد نجا ، ومن أبغضهم فقد هلك »^(٢) .

فهل يستدعي الأمر - بعد هذا - أن نقول : إنّ هذه الروايات ومبيلاتها هي أيضاً من صنع الأمويين ، وأساطيرهم الكثيرة خدمةً لدولتهم التي لا تقوم إلا على مثل هذا ؟!

(١) الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٢ : ٣١٨.

(٢) الرياض النضرة ١ : ٣٦.

إنّها حقيقة من أوضح الواضحت .

٥ - وهذه الرواية أيضاً تقطع الطريق على تلك الروايات وهي أحسن منها إسناداً :

فعن معاذ بن جبل ، أَنَّه لَمَّا حُضِرَتِ الوفاة قَالَ: التَّمْسُوا الْعِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ: عَنْ عُويمِرَ أَبِي الدَّرَدَاءِ ، وَعَنْ سَلَمَانَ ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودَ ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامَ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّهُ عَاشَ عَشَرَ عَسْرَةً فِي الْجَنَّةِ^(١) .

وهذه الرواية صحّحها الحاكم والذهبـي ، فينبغي أن يكون عبد الله بن سلام أحد العشرة المبشرة ، وعليه فلا بدّ من إخراج واحد أو اثنين ممن ضمّتهم الروايات المتقدمة .

٦ - وأشدّ من هذا ما روـي عن سعد بن أبي وقاص ، أَنَّه قَالَ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَحِيًّا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لَعَبِدَ اللَّهَ بْنَ سَلَامَ^(٢) . فكيف غاب ذلك الحديث عن سعد وهو أحد العشرة ، وهو آخرهم موتاً !

٧ - وكيف يصحّ حديث العشرة وبعضاـهم قد أباح دم بعض ، واستحلّ قتله ؟ فهل كان أشدّ على عثمان من طلحة والزبير ؟
لقد كانوا هما والسيـدة عائشة أكثر من يؤلـب عليه ، ويحرـض الناس على قتله !

وكان طلحة يكتب الكتب إلى الأمصار يحثـهم على القيام على عثمان ،

(١) الترمذـي ٥ : ٦٧١ / ٣٨٠٤ ، مسند أـحمد ٥ : ٢٤٣ ، مصاـبـحـ السنـة ٤ : ٤٨٩٩ / ٢٢١ ، المستدرـك ٤١٦ وصحـحـه ، ووافقـه الذهبـيـ في التـلـخـيـصـ ، وأخـرـجهـ أـيـضاـ أـهـلـ التـراـجمـ في تـرـجـةـ عبدـ اللهـ بنـ سـلامـ .

(٢) مسندـ أـحمدـ ١ : ١٧٧ ، تـهـذـيبـ تـارـيـخـ دـمـشـقـ ٧ : ٤٤٩ ، الإـصـابـةـ ٤ : ٨١ .

منهج في الانتهاء المذهبي

وقد أظهر بعض كتبه أهل البصرة يوم قدم إليهم يختتمون على قتال علي عليه السلام ، والطلب بثار عثمان ، فقالوا له : أترى هذا الكتاب ؟ قال : نعم .

قالوا : فها ردك على ما كنت عليه ، وكنت بالأمس تكتب إلينا ، تولّينا على قتل عثمان ، وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه^(١) !؟

وكان عثمان وهو محصور في بيته يقول : هذا ما أمر به طلحة ، اللهم اكفي طلحة فإنه حمل علي هؤلاء وألّهم علي ، والله إني لأرجو أن يكون منها صرفاً وأن يُسْفِك دمه^(٢) .

وقد نكث طلحة والزبير بيعة عقادها راضين بها ، متحمّسين لها ! ثم انقلبا ، وخرجوا على إمام زمانها ! وجيّساً عليه الجيوش ! وقاتلاه أشد القتال ! وكانوا سبباً في قتل الألوف من المسلمين من أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله ! والغريب أن يعتذر لهذا أصحاب التاريخ فيقولون : إنهم خرجوا طليباً للإصلاح !! فهل كانت البصرة منقلبة على فتنة ؟ أم أنهم استشاروا الإمام بشأن هذا الإصلاح فأذن لهم ؟ لا هذا ولا ذاك !

وما روي من أحداث الجمل : أن علياً عليه السلام قد قال لطلحة - وقد تحدّثا قبل التحام العرب - : « أيها الشيخ ، أقبل النصّ ، وارض بالتوبيه مع العار ، قبل أن يكون العار والنار »^(٣) !

وقال عليه السلام في كتاب له بعثه إلى طلحة والزبير وهما في البصرة : « ارجعوا - أيها الشيّخان - عن رأيكما ، فإنّ الآن أعظم أمركم العار ، من قبل أن

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ١٧٩ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢١٦ ، الإمامة والسياسة : ٦٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ٣ : ١٧٤ .

(٣) الإمامة والسياسة : ٧٥ .

يحيّتم العار والنار»^(١).

و قبل أن يقع من ذلك كله شيء كان عمر قد أمر بقتل أصحاب الشورى جيئاً إن مضت عليهم ثلاثة أيام ولم يبايعوا من بينهم خليفة^(٢) ! وأصحاب الشورى الذي انتخبهم عمر هم ثمانة المذكورين في الحديث : عثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعلي بن أبي طالب ، ولم يبق من العشرة سوى سعيد بن زيد ، فكيف يأمر عمر بقتلهم جميعاً وهو يشهد لهم بالجنة ؟ أم كيف جهلت أم المؤمنين عائشة أن عثمان مبشر بالجنة فصرحت بأنه قد كفر ، وأمرت بقتله ؟! ولقد كانت أشد الناس بغضاً لعلي بن أبي طالب ، إلا ما قد يكون من معاوية وصاحبـه !

فأعجب إذن للمحبـ الطبرـي وهو يروي حديث العـشرة بإسنادـه المـبتور إلى عائشـة^(٣) !

ومن حـديث عائشـة أخرـج أـحمد في مـسنـده أـنـها قـالت : سـمعـت رـسـول الله يـقول : «رأـيت عبدـ الرـحـمن بنـ عـوف يـدخل الجـنـة حـبـواً»^(٤) فـهل هـذه هي مـنزلـة المـبشرـ بالـجـنـة منـ بـيـن سـائـر النـاسـ ، وـفيـهم الصـدـيقـون وـالـشـهـداء وـالـصـالـحـونـ ؟ وـمن العـشرـة المـذـكـورـين مـنـ أـنـزلـ فـيهـ اللهـ : «لـا تـرـفـعـوا أـصـواتـكـم فـوقـ صـوـتـ النـبـيـ وـلـا تـجـهـرـوا لـهـ بـالـقـوـلـ كـجـهـرـ بـعـضـكـم لـبـعـضـ إـنـ تـحـبـطـ أـعـمالـكـمـ

(١) نهجـ الـبـلـاغـةـ . الـكتـابـ رقمـ (٥٤) ، فـي شـرـحـ مـحـمـدـ عـبـدـةـ ٣: ١٢٣ ، صـبـحـيـ الصـالـحـ : ٤٤٦ . الـعـقـدـ الفـرـيدـ ٥: ٢٦ .

(٢) تاريخـ المـدـيـنـةـ ٣: ٩٢٥ ، الإـمـامـةـ وـالـسـيـاسـةـ ١: ٢٤ ، تاريخـ الـيـقـوـيـ ٢: ١٦ . الـكـاملـ فـيـ التـارـيخـ ٣: ٦٧ ، تاريخـ الطـبـرـيـ ٥: ٣٥ ، ابنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ ١: ١٨٧ .

(٣) الـرـياـضـ النـضـرةـ ١: ٣٥ .

(٤) مـسـنـدـ أـحـمـدـ ٦: ١١٥ ، حلـيةـ الـأـوـلـيـاءـ ١: ٩٨ .

منهج في الانتهاء المذهبي وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١﴾ .

ومنهم من نزل فيه قوله تعالى : « وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا » (٢) وهو طلحة (٣) .

فكيف تجتمع هذه المتناقضات ؟ !

أمّا إذا أضفت حادي عشرهم - معاوية - فتلك مصيبة لا بد أن ننزعه ديننا العظيم منها ، فإنه يكفي في معاوية محاربته « إمام المتّقين » و « سيد المسلمين » و « قائد الغرّ المحجّلين » (٤) .

أمّا يأت في الحديث الشريف : « مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً . . . وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرُبُ بِرَبِّهَا وَفَاجِرُهَا ، وَلَا يَتَحَشَّى مُؤْمِنَهَا ، وَلَا يَفْيِي بِعَهْدِ ذِي عَهْدِهَا فَلِيُّسْ مِنِّي وَلَسْتُ مَنْهُ » (٥) ؟

(١) تقدّم أنها نزلت في أبي بكر وعمر .

(٢) الأحزاب : ٥٣ .

(٣) انظر : تفسير الرازى ٢٥ : ٢٢٥ ، تفسير القرطبي ١٤ : ٢٢٨ ، فتح القدير ٤ : ٢٩٩ ، معالم التنزيل للبغوى ٤ : ٤٨٣ ، تفسير ابن كثير ٣ : ٥١٢ ، تفسير روح البيان ٧ : ٢١٦ ، الدر المنثور ٦ : ٦٤٣ - ٦٤٤ ، لباب النقول للسيوطى ١٧٩ ، البحر المعheet ٧ : ٢٤٧ .

فلا قيمة إذن لما اعتبر به الآلوسى من أنه قد يكون طلحة بن عبيد الله غير هذا المشهور ! وقد رد عليه أبو حيّان الأندلسى وفنده وأثبت أنها في طلحة المعروف لا غير وذكر قصة في نديمه على ما قال وقد أشار لها الآلوسى أيضاً إلا أنه احتاج بأن طلحة قد عصمه الله ! فمن أين أنته هذه الحضرة التي لا يعتقدها الآلوسى حتى ليسد المرسلين ؟

(٤) انظر : المستدرك ٣ : ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٣٨ ، أسد الغابة ٣ : ١١٦ ، الترجمة من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢ : ٢٥٧ ، ٤٨٦ ، الجامع الصغير ٢ : ١٧٧ / ٥٥٩١ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٢١ ، ابن أبي الحديد ٩ : ٨٧٩ ، الرياض النبرة ٣ : ١٣٨ ، الصواعق المحرقة : ١٢٥ ، وتقدّم ذكر مزيد من مصادرها .

(٥) صحيح مسلم - الإمارة - ٣ : ١٤٧٦ / ٥٣ ، سنن النسائي ٧ : ٩٢ ، جامع الأصول ٤ : ٤٥٦ . ٢٠٥٤

ألم يأت في الحديث الشريف : « إذا بُويع لخلفتين فاقتلو الآخر منها »^(١).

ألم يكن الصحابة هم أول المأمورين بهذا ، فلماذا لم ينطبق شيء من هذا على الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ، ونكثوا عهدهم معه ، وشققا صفت هذه الأمة يضر بون برها وفاجرها ولا يتحاשون مؤمناً ، ويعقدون بيعة بعد بيعة ، والإمام الأول قائم مكانه ؟!

ألم يأت في الحديث الشريف : « مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرَكُمْ جَمْعًا عَلَى رِجْلٍ وَاحِدٍ يُرِيدُ أَنْ يُشْقِّ عَصَاكُمْ وَيُفْرِقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مِّنْ كَانِ »^(٢) ؟ بل ، ولقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصييه عليه السلام بقتل ثلاث فرق ، فقال الوصي عليه السلام : « أُمِرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ النَّاكِثِينَ ، وَالْقَاسِطِينَ ، وَالْمَارِقِينَ »^(٣).

قال ابن الأثير : النكث : نقض العهد ، وأراد بهم أهل وقعة الجمل لأنهم كانوا بايعوا ثم نقضوا بيعته وقاتلوا . وأراد بالقاسطين أهل الشام ، وبالمارقين الحوارج^(٤) . فهذا بقي من روایة العشرة المبشرة إذن ؟!

(١) صحيح مسلم - الإمارة - ٣ : ٦١ / ١٤٨٠ ، جامع الأصول ٤ : ٤٤٢ / ٤٤٢ - ٢٠٢٤ .

(٢) صحيح مسلم - الإمارة - ٣ : ٦٠ / ١٤٧٩ - ٥٩ ، سنن النسائي - التحرير - ٧ : ٩٢ ، جامع الأصول ٤ : ٤٤٢ / ٤٤٢ - ٢٠٢٥ .

(٣) الاستيعاب ٣ : ٥٣ ، أسد الغابة ٤ : ٣٣ ، المستدرك ٣ : ١٣٩ ، ١٤٠ ، تاريخ بغداد ٨ : ٣٤١ - ٣٤١ ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٠٠ / ١٢١٩ - ١٢١٩ من أربعة عشر طريقاً عن علي وأم سلمة وابي أيوب الأنباري ، بجمع الزوائد ٦ : ٢٢٥ و ٧ : ٢٣٨ ، كنز العمال ١٣ : ١١٠ / ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٥١ ، وأصحاب المناقب كافة وغيرهم أيضاً . والمنتخب منه بهامش مستند أحمد ٥ : ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٥١ ، وأصحاب المناقب كافة وغيرهم أيضاً .

(٤) النهاية - في اللغة - ٥ : ١١٤ ، مثله في لسان العرب ٢ : ١٩٦ (نكت) ، ومفضلاً في مناقب الحوارزمي : ١٠٩ وما بعدها ، والمحاسن والمساوئ : ٤٥ ، وهو مما لا خلاف فيه .

مَعَالِمُ أُخْرَى:

لقد كان يكفي معاوية وأصحابه أيضاً حملتهم الجريئة في وضع الحديث المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكثieran ما أمروا بنشره والعمل به من الحق ، وقد صح الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ مَعْمَدًا فَلَيَتَوَوَّلْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ» !

فكيف بمن أمر بالكذب عليه ، ووظف له الرجال ، والأموال ، وسفوك دماء الصالحين الذين وقفوا بوجه حملته الجائرة، وإن كانوا من خيرة الأصحاب،
كَحْجُرُ بْنُ عَدَى و أصحابه؟

تلك السيول من الأحاديث التي وضعوها لتأني بعدهم أجيال تدين بدين الإسلام ، ولا ترى فضلاً لعليّ بن أبي طالب إمام المتّقين على معاوية، أو عمرو ابن العاص ، أو مروان !

وضعوها لنسكت حين نرى أبا ذر الغفارى طريداً من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنّ الذي يتولى إخراجه منها هو طريد رسول الله وابن طريده ، مروان بن الحكم ^(١) !

وعبد الله بن مسعود : حين يُجْرِي برجليه اللتين هما أنقل في الميزان من جبل أحد ^(٢) من مسجد رسول الله ، وتُضرب به الأرض حتى يُكسر له ضلعان ! وكلّ ما جناه أنه لم يفتح بيت مال المسلمين في البصرة . وكان أميناً عليه -

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٧١ - ١٧٣ ، تاريخ المدينة ٣ : ١٠٣٤ ، ابن أبي الحديد ١ : ١٩٩ ، ٢٨ : ٣ ، ٢٨ : ٢ ، ومنضلًا في صفحة ٥٤ ، أنساب الأشراف : القسم الرابع : ٥٤٢ - ٥٤٥ ، الرياض التضرة ٢ : ٨٣ - ٨٤.

(٢) هكذا وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه ، انظر : الاستيعاب بهامش الإصابة ٢ : ٣١٩ ، أسد الغابة ٣ : ٢٥٧ ، الإصابة ٤ : ١٢٩ ، الطبقات الكبرى ٣ : ١٥٥ .

لبني أمية ليأخذوا منه ما يشاؤون، حتى مات مغاضباً لعثمان ، وأوصى أن يصلّي عليه عمران بن ياسر^(١) !

أم يكن عبد الله بن مسعود من هاجر الهرترين ، وشهد الموضع كلّها مع رسول الله ، وشهد بيعة الرضوان^(٢) ؟

وعمار بن ياسر : وقد حكم فيه مروان في مجلس الخليفة ! فضربوه ، حتى فتقوا بطنه، فعشني عليه^(٣) !

وعبادة بن الصامت : وهو من شهد العقبة ، وأحد النقباء الاتني عشر ، شهد بدرأً والموضع كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم : قال الذهبي : كتب معاوية إلى عثمان : إنَّ عبادة بن الصامت قد أفسد على الشام ، فإِمَّا أَنْ تُكَفَّهُ إِلَيْكُ ، وَإِمَّا أَنْ أُخْلِيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّامِ !

فما هي قصته؟

قال : إنَّ عبادة مرّت عليه قطارة - من الإبل - وهو بالشام تحمل الخمر ، فقال : ما هذه ، أَرَيْتَ ؟

قيل : لا ، بل خر بيعاع لفلان ! فأخذ شفرةً من السوق ، فقام إليها ، فلم يَذْرُ فيها راوية إلاَّ بقرها ، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام ، فأرسل فلان إلى أبي هريرة ،

فقال : ألا تمسك عنا أخاك عبادة ..

(١) تاريخ المدينة ٣ : ١٠٤٩ ، الطبقات الكبرى ٣ : ١٥٠ - ١٥٨ ، أنساب الأشراف : القسم الرابع : ٥٢٤ - ٥٢٥ ، ابن أبي الحميد ١ : ١٩٩ و ٣ : ٤٣ ، الرياض النبرة ٣ : ٨٤ .

(٢) انظر ترجمة عبد الله بن مسعود في : الاستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة ، والطبقات الكبرى ، وغيرها

(٣) تاريخ المدينة ٣ : ١٠٩٩ و ١١٠٠ و ١١٠١ و ١١٠٢ ، أنساب الأشراف : القسم الرابع : ٣٥٨ ، الاستيعاب بهامش الاصابة ٢ : ٤٧٧ ، ابن أبي الحميد ٣ : ٥٠ ، الإمامة والسياسة ١ : ٣٢ - ٣٣ .

الرياض النبرة ٣ : ٨٥ .

منبع في الانتهاء المذهبي ..

فأتاه أبو هريرة ، فقال : ياعبادة ، ما لك ولعاویة ؟ ذرها وما حمل .
قال له عبادة : لم تكن معنا إذ بایعنا على السمع والطاعة ، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، وألا يأخذنا في الله لومة لائمه .
فسكت أبو هريرة .

وكتب فلان إلى عثمان : إن عبادة قد أفسد على الشام ^(١) !
أم يكن هؤلاء من خيرة أصحاب رسول الله ، فلماذا لا تذكري بحثهم
حديث «احفظوني في أصحابي»؟!
أم إن هذه الأحاديث جاءت خاصة في حفظ معاویة ومروان وأمثالهما دون
سائر الصحابة؟!

ولو توقف الأمر عند السكوت لكان أهون ، ولكن الداهية الدهواء ،
والطامة الكبرى حين ينبري علماء المسلمين ! ليبرروا كل جريمة حدثت بأنها
اجتهاد ، وأن الذي ارتكبها إنما هو مجتهد قد أخطأ في اجتهاده ، فله أجر
اجتهاده هذا !

يقول ابن حزم الأندلسى : وعمّار رضي الله عنه قتله أبو الغادية يسار بن
سبع السلمي ، شهد بيعة الرضوان ، فهو من شهداء الله له بأنه علم ما في قلبه
وأنزل السكينة عليه ورضي عنه ، فأباو الغادية ^(٢) - رضي الله عنه - متاؤل مجتهد
محظى فيه ، باع عليه ، مأجور أجرًا واحدا ^(٣) !
وقال : فصح أن علياً هو صاحب الحق ، والإمام المفترضة طاعته ، ومعاویة
محظى ، مأجور ، مجتهد .

وقال قبلها : فبهذا قطعنا على صواب علي رضي الله عنه ، وصحة إمامته

(١) سير أعلام النبلاء ٢ : ٩ - ١٠ ، الرياض النبرة ٣ : ٨٤ .

(٢) ورد في المصدر ، في الموضعين : أبو العادية - بالعين المهملة ، والصحيح ما اثبتناه عن الإصابة وغيرها .

(٣) الفصل في الملل والنحل ٤ : ١٦١ .

وأنّه صاحب الحقّ ، وأنّ له أجرين : أجر الاجتهاد ، وأجر الإصابة .
وقطعنا أنّ معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون ، مجتهدون مأجورون
أجراً واحداً^(١) . وأمّا في أمر قتلة عثمان فيقول : وليس هذا كقتلة عثمان رضي
الله عنه ، لأنّه لا مجال للإجتهاد في قتله^(٢) .

أمّا عمار بن ياسر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
«قاتلُه وسالبه في النار»^(٣) فلقاتلته أجر الاجتهاد ! أرأيت تحدّياً للدين أشدّ من
هذا ؟

وخلال بن الوليد حين قتل مالك بن نوبيرة - ومالك يقول له : أتفتلي وأنا
مسلم أصلّى إلى القبلة ؟! - ثمّ تزوج بامرأته من ليتلها ، ولم يأذن لها بعدّة ، اعتذر
بقوله : تأولت ، فأصبت وأخطأت^(٤) .

ولما أتي به إلى أبي بكر ، وقد أراد عمر أن يقام عليه الحدّ ، قال له أبو
بكر : هيه - يا عمر - تأولْ فأخطاً ، فارفع لسانك عن خالد^(٥) !
ويتمدّد الأمر ، حتى أصبح يرمي بالكفر ! أو بالفسق ! من تحرّر فأقال :
إنّ فلاناً منهم قد أخطأ في كذا . حتى صارت نزّتهم هذا عقيدة دخلت في الحدود
والأحكام ، والحلال والحرام .

روى الذهبيّ : قال ابن الجنيد : سمعت يحيى بن معين يقول : تحريم
النبيذ صحيح ، ولكن أقف ولا أحّرمه ، فقد شربه قوم صالحون بأحاديث صالح

(١) المصدر ٤ : ١٦١ ، ١٦٣ ، ومثله كلام ابن كثير في البداية والنهاية ٧ : ٢٩٠ .

(٢) المصدر ٤ : ١٦١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١ : ٤٢٠ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ . الطبقات الكبرى ٣ : ٢٦١ ، أسد الغابة ٤ : ٤٧ ، كنز
العال ١٣ : ٥٣١ / ٧٢٨٣ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٩٧ و قال : رجاله رجال الصحيح .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٣٢ .

(٥) الكامل في التاريخ ٢ : ٣٥٨ ، الفتوح لابن أثيم ١ : ٢٥ - ٢٦ .

وحرّمه قوم صالحون بأحاديث صحّاح^(١).
أليس هذا هو الغلوّ بعينه .

أليس من التناقض أنّنا نحاول أن نثبت لهم العصمة عملياً ، مع أنك لا تجد لمبدأ العصمة محلاً مع سيد الأنبياء والمرسلين ؟
ولماذا نستنكر أن يقال : إنَّ فلاناً منهم أخطأ في هذا الفعل ، أو ذاك القول ، وقد رضينا أن تخلُّ اللعنة الكبرى على « طاؤس الملائكة » !

وعلى العابد الزاهد الذي أُوقِي الاسم الأعظم ، أو بعضه ، حتّى جعله الله مثلاً لنا وعبرةً ، فقال في كتابه العزيز : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكَنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرْكِمْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَاصِصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٢).

أليس الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَنَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرُّ اللَّهُ شَيْئاً ﴾^(٣) ؟

أم تحدّثنا كتب السنن أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآلـه وسلَّم قد قال : « ألا وإنَّه سُجَاجِاء بـرجالـ من أُمّتي فـيؤخذـ بهـم ذاتـ الشـهـال ، فأقولـ : يا ربـ ، أـصحابـيـ . فيـقالـ : إنـكـ لاـ تـدرـيـ ماـ أحـدـثـواـ بـعـدـكـ . فأـقولـ كـماـ قـالـ العـبدـ الصـالـحـ : ﴿ وَكَتُّ عَلَيْهِمْ شَهـيـداًـ مـا دـمـتـ فـيـهـمـ فـلـمـ تـوـفـيـتـيـ كـنـتـ أـنتـ الرـقـيبـ عـلـيـهـمـ ﴾

(١) سير أعلام النبلاء ١١ : ٨٨.

(٢) الأعراف : ١٧٥ - ١٧٦ .

(٣) آل عمران : ٢٤٤ .

وأنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ
العزِيزُ الْحَكِيمُ ». فيقال لي : إنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذَ
فَارْقَاتِهِمْ »^(١) ؟

أَلَمْ يَرَأْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا صَنَعَ خَالِدٌ فِي بَنِي خَرِيْمَةَ
إِذَا لَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا ، فَقَالُوا : صَبَانَا ، فَأَخْذَهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا ، فَبَلَغَ ذَلِكَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ ، إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مَا صَنَعَ
خَالِدٌ » مَرَّتَيْنَ^(٢) ؟

فَمَا بَالَنَا لَا نَبْرَأُ مَا تَبَرَّأَ مِنْهُ نَبِيُّنَا ، وَمَنْ أَمْثَالُهُ ؟
بَلْ أَمْ الدَّوَاهِيُّ أَنَّا نَزَعْمُ أَنَّ سَكُونَتَنَا عَنْهَا وَرِضَانَا هُوَ التَّقْوَى ، وَأَمَّا
إِنْكَارُهَا فَهُوَ خَوْضٌ فِيهَا لَا يَصْحَّ الْخَوْضُ فِيهِ !!

وَنَرَدَّدَ الْمَقْوَلَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْأَصْحَابِ
مَعرِكَةُ الْجَمْلِ ، فَقَالَ : تَلَكَ وَقْعَةٌ لَمْ يُشَرِّكْ سَيِّفِي بِهَا ، فَلَا أَرِيدُ أَنْ أُشَرِّكَ لِسَانِي
بِهَا ! نَاسِينَ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَقْتَدِي بِرَسُولِ اللَّهِ ، لَا غَيْرَ !

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الآخِرِ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾^(٣).

وَلَقَدْ أَحَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَقْوَامًا ، فَوُجُوبُ عَلَيْنَا
حَبَّهُمْ ، وَمُوَالَتُهُمْ .

(١) صحيح مسلم ٤ : ٥٨ / ٢١٩٤ ، وتقدم مثله كثير في حديث الخوض .

(٢) صحيح البخاري - كتاب المغازي - ٥ : ٣٢١ / ٣٣٩ وـ كتاب الأحكام - ٩ : ٤٩ / ١٣٣ ، وذكره
أيضاً في كتاب الجزية وكتاب الدعوات من صحيحه ، وسنن النسائي - كتاب آداب القضاة - ٨ : ٢٣٦ .
ومسنده أحمد ٢ : ١٥١ ، وحياة الصحابة ٢ : ٤٢٢ ، وتاريخ الإسلام للذهبي - جزء المغازي - ٥٦٨ .

(٣) الأحزاب : ٢١ .

فقد قال صلّى الله عليه وآلـه وسلـمـ : « إـنـ الله أـمـرـنـي أـنـ أـحـبـ أـرـبـعـةـ ،
وأـخـرـي أـنـ يـحـبـهـمـ ». .

فـقـالـواـ : مـنـ هـمـ ، يـا رـسـولـ اللهـ ؟

فـقـالـ : « عـلـيـهـمـ ، عـلـيـهـمـ - يـكـرـرـهـاـ ثـلـاثـاـ - وـأـبـوـ ذـرـ ، وـالـمـقـدـادـ ،
وـسـلـمـانـ »^(١) .

وقد غضب لأقوام ، فوجب علينا أن نغضب لغضبه ، ونرضى لرضاه :
أخرج أحمد والحاكم : أنه كان بين خالد بن الوليد وعمار بن ياسر كلام ، فشكاه
خالد إلى النبي صلّى الله عليه وآلـه وسلـمـ ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآلـه
وسلـمـ : « مـنـ يـعـادـ عـمـارـاـ يـعـادـ اللهـ ، وـمـنـ يـغـضـ عـمـارـاـ يـغـضـ اللهـ »^(٢) هذا والشاكـيـ
هو خالد ! .

وأخرج مسلم في صحيحه أن سلمان ، وصهيباً ، وبلاً كانوا قعوداً ، فمرـ
بـهـمـ أبوـ سـفـيـانـ ، فـقـالـواـ : مـاـ أـخـذـتـ سـيـوفـ اللهـ مـنـ عـنـقـ عـدـوـ اللهـ مـأـخـذـهـاـ .
فـقـالـ لهمـ أبوـ بـكـرـ : أـتـقـولـونـ هـذـاـ لـشـيـخـ قـرـيـشـ وـسـيـدـهـاـ ؟ـ فـأـخـبـرـ النبيـ
صلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ بـذـلـكـ .

فـقـالـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ : « يـاـ أـبـاـ بـكـرـ لـعـلـكـ أـغـضـبـهـمـ ، لـثـنـ
أـغـضـبـهـمـ ، لـقـدـ أـغـضـبـتـ رـيـكـ »^(٣) هذا والشاكـيـ هو أبوـ بـكـرـ !

(١) سنن الترمذى ٥ : ٦٣٦ / ٣٧١٨ ، سنن ابن ماجة ١ : ٥٣ / ١٤٩ ، المستدرك ٣ : ١٣٠ ، مسند :

أحمد ٥ : ٣٥١ ، اسد الغابة ٤ : ٤١٠ ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ٢ : ١٧٢ / ٦٦٦ ، الإصابة ٦ :

٢ ، الصواعق المحرقة : باب ٩ : ١٢٢ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى : ١٣٤ ، سير أعلام النبلاء ٢ :

٦١ ، الرياض النضرة ٣ : ١٨٨ ، مناقب الحوارزمي : ٣٤ .

(٢) مسند أحمد ٤ : ٩٠ ، المستدرك ٣ : ٣٩١ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٤١٥ ، كنز العمال ١٣ : ٥٣٣ / ٣٧٣٨٨ .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ١٩٤٧ / ١٧٠ ، مصابيح السنة ٤ : ٤٨٧٣ / ٢١١ ، حياة الصحابة ٢ : ٤٤٣ :

سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٥ .

وتقدم الحديث في غضبه صلى الله عليه وآله وسلم على من طعن في إمرة
أُسامه .

أفإنْ غضبنا لغضبه صلى الله عليه وآله وسلم هنا وحفظنا كرامة أُسامه
وأبيه ، سنكون قد أخطأنا حين لم نوافق من طعن عليهما من الصحابة ؟
فإنْ أخطأنا ، فكفانا أنّنا مع رسول الله ، وحاشاه أن يخالطه الخطأ .
وإنْ أصبنا هنا ، فما لنا لا نكون قد أصبنا حين غضب من هو أعظم
منزلةً من زيد ، ومن أُسامه ؟!

أعني : علياً ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام .
قال سعد بن أبي وقاص : كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فنلنا
من عليٍّ ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُعرف في وجهه الغضب ،
فتعودت بالله من غضبه ، فقال : « ما لكم وما لي ؟! من آذى علياً فقد آذاني »^(١) .
ثم ألم نقرأ في (شكوى الأربعة) و (شكوى بُريدة) كيف غضب رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يشكون إليه علياً ، فرد عليهم - أرواحنا فداه -
فقال : « ما تريدون من عليٍّ ؟! ما تريدون من عليٍّ ؟! إنه مني وأنا منه ، وهو
وليكم بعدي » ؟

ولئن كان أُسامه قد تعرض لطعنٍ في إمارته وقد ولأه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في غزوةٍ ، فأثار ذلك من غضبه صلى الله عليه وآله وسلم ما
أخرجه مع شدة مرضه ، عاصباً رأسه ، يتهاوى بين رجلين^(٢) ورجاله تخطّان في
الأرض ، حتى قال مقالته الشهيرة تلك ، فأيّ غضبٍ سيغضب إذن لما أصاب
أخيه ، ووصيّه ، وزيره ، وخليفته الذي صرّح بولايته ، فشهدوا له بها وهنّؤوه ؟

(١) حياة الصحابة ٢ : ٤٨٤ ، البداية والنتيجة ٧ : ٣٤٦ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٢٩ ووثق رجاله .

(٢) هما : عليٌ والفضل بن العباس ، انظر : البخاري ١ : ١٠١ / ١١ ، مسلم ١ : ٣١١ / ٩٠ - ٩٢ .

أي غضبٍ سيغضب له وقد عقدوا البيعة فيما بينهم وتركوه منشغلًا بتجهيز جثمانه الطاهر؟ ويوم أحاطوا بيته، وهجموا عليه في داره! فأخرجوه منها بالعنف، وهو يقول: «أنا عبد الله، وأخو رسوله».

وحين يهدّدونه بالقتل، أو يباعون لهم!
فيقول: «إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله».

فيقولون: «أما أخو رسول الله، فلا!

وكم سيغضب لغضب بضنته فاطمة الزهراء البتول مرّةً بعد أخرى، حتى ماتت وهي غاضبة على رجال! وفاطمة التي يغضب الله لغضبها، ويتأذى رسول الله لأذاتها؟

كم سيغضب لظهورِه بعد ظاهره على أهل بيته، وخاصةًه، حتى قال عليه السلام يوم الشورى - وقد انتهت بالبيعة لعثمان بالخلافة - قال: «ليس هذا أول يوم تظاهرون فيه علينا» **﴿فَصَرْبُرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنُ عَلَى مَا تَصْفُون﴾**^(١)؟

ولقد كان التظاهر عليه متتابعاً.

في يوم السقيفة مشهور، وقد تمت فيه البيعة - بغيابه - لأبي بكر، فقام بعدها أبو بكر خطيباً في مسجد رسول الله، معرفاً بسيرته فقال قولهً لو نسب لغيره لقليل إنه لا يصلح أن يقوم على شيء من أمور المسلمين، إذ قال: «ألا وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم!»^(٢).

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٧١.

(٢) تاريخ الطبرى ٣: ٢١١، صفة الصفة ١: ٢٦١، تاريخ الخلفاء: ٥٤، البداية والنهاية ٦: ٣٠٧، الإمامة والسياسة: ١٦، ابن أبي الحديد ٦: ٢٠ و ١٧، ١٥٩، مجمع الروائد ٥: ١٨٣، كنز العمال ٥:

ومع هذا فقد قتلت ، تلك البيعة التي وصفها عمر - في خطبته التي اتفق عليها أصحاب السير - بأنّها كانت فلتة !

وذلك أنه سمع رجلاً يقول : لو قد مات عمر لبأيّعت فلاناً ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتّلت ، فأعدّ لأجل ذلك خطبته التي ألقاها في مسجد رسول الله مقدمه من الحجّ ، فقال فيها : لا يغترّ أمرؤ أن يقول إنّها كانت بيعة أبي بكر فلتة وقتلت ، إلا وإنّها قد كانت كذلك ولكنَّ الله وقى شرّها ، وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر .

من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يُبايع هو ولا الذي بايده تغرة أن يُقتلًا^(١) .

ثم جاء آخر أيام أبي بكر ، فماذا حصل ؟

كتب أبو بكر عهده بالخلافة من بعده لعمر ، من دون أدنى مشورة من المسلمين ! وجاء الصحابة ، وأبدوا سخطهم ، فقالوا : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا ، وقد ترى غلطته^(٢) ؟

وقتَّ البيعة !

حتى كان آخر أيام عمر ، فأخذ يتصفح الناس ، من يستخلف منهم !
فقال : لو كان أبو عبيدة حيَا لاستخلفته ، وقلت لربّي إن سألكي :
سمعتُ نبيّك يقول : « إنه أمين هذه الأمة ».

→ ٥٩٠ / ١٤٠٥.

(١) صحيح البخاري - كتاب المحدود - ٨ / ٣٠٢ : ٢٥ والنarration عنده ، مستند أحاديث ١ : ٥٦ ، الرياض الناصرة ١ : ٢٢٢ ، تاريخ الطبرى ٣ : ٢٠٠ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٣٢٦ ، سيرة ابن هاشم ٤ : ٣٠٨ - ٣٠٩ ، الملل والنحل للشمرستاني : الجزء الأول - الخلاف الخامس - ٣٠ - ٣١ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى : ٥١ ، ابن أبي الحديد ٢ : ٢٣ ، وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٤٦٧ ، ١٧٥ .

(٢) تاريخ الخلفاء : ٦٢ - ٦٣ ، تاريخ الطبرى ٤ : ٥٤ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٤٢٥ ، الإمامة والسياسة ١ : ١٩ ، السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ١٤٩ .

ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًّا لاستخلفته ، وقلت لربِّي إن سألهي :
سمعتُ نبِّيك يقول : «إن سالماً شديد الحبّ لله تعالى»^(١) .

وقال أيضًا : لو استخلفت معاذ بن جبل ، فسألني ربِّي : ما حملك على ذلك ؟ لقلت : سمعت نبِّيك يقول : «إنَّ الْعُلَمَاءِ إِذَا حَضَرُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَانُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ رَتْوَةً بِحَجَرٍ»^(٢) .

هكذا عَرَفْتُ إِذْنَ هَؤُلَاءِ مَنَازِلَهُمْ ، فَهَلْ جَهَلْ مَنْزَلَةَ عَلِيٍّ ؟
أَمْ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ يُقَاسِ بِهِ ؟
أَمْ يَكُنْ عَمْرُهُ الْقَائِلُ : بَخِيرٌ لَكَ يَا أَبَا الْمُحْسِنِ ، لَقَدْ أَصْبَحَتْ مَوْلَاي
وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةً^(٣) ؟

أليس هو القائل : لقد أُوقِيَ ابن أبي طالب ثلاث خصال لئن يكون لي
خصلة منها أحبُّ إلىَّ من أن أُعطي حمر النعم : تزوجها فاطمة بنت رسول الله ،
وسكناه المسجد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَحْلِلُ لَهُ مَا يَحْلِلُ لَهُ ، والراية
يوم خيبر^(٤) ؟

وهو الشاهد يوم أُعطي عليَّ الراية في خيبر ، ويوم قال رسول الله صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ مَنْكُمْ مَنْ يَقْاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلَتْ عَلَى
تَنْزِيلِهِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٌ : أَنَا هُوَ ؟
قَالَ : «لَا» .

(١) الطبرى ٥ : ٣٤ ، الكامل ٣ : ٦٥ ، صفة الصفة ١ : ٣٦٧ ، ٣٨٣ على الترتيب .

(٢) صفة الصفة ١ : ٤٩٤ ، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٢ : ١٨٨ ، والرَّتْوَةُ : الرمية ، والمعنى : أنه يتقدّم عليهم بمقدار رمية حجر .

(٣) تقدم ذكر العديد من مصادره في حديث الغدير .

(٤) الرياض النصرة ٣ : ١١٨ ، بجمع الزوائد ٩ : ١٣٠ ، فرائد السطرين ١ : ٣٤٥ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى : ١٣٦ ، الترجمة من تاريخ ابن عساكر ١ : ٢٢٠ / ٢٨٣ ، المستدرك ٣ : ١٢٥ ، الصواتق المحرقة : باب ٩ . فصل ١ : ١٢٧ .

قال عمر : أنا هو ؟

قال : « لا ، ولكن خاشف النعل » .

وهو أيضاً من أعرف الناس بأنّ منزلة عليٍّ من رسول الله هي منزلة هارون من موسى . أليس هو القائل في عليٍّ : أما إنْ وَلِيْهُمْ حَمْلَهُمْ على المحجة البيضاء والصراط المستقيم ؟

فأين ذهب عنه وهو يقول : لو سألني ربّي ، لو سألني ربّي ؟
ولقد كان له يوماً مع ابن عباس حوار ذكر فيه علياً عليه السلام ، وحقه في الخلافة ، فقال لابن عباس : أتدرى ما منع الناس منكم ؟
قال : لا .

قال : لكني أدرى .

قال : وما هو ، يا أمير المؤمنين ؟

قال : كرهت قريش أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة ، فتجحفوا جحفاً^(١)
فنظرت قريش لنفسها ، فاختارت ، ووقفت فأصابت .

قال ابن عباس : أيسيط أمير المؤمنين عنِّي غضبه ، فيسمع ؟
قال : قل ما تشاء .

قال : أمّا قولك : إنْ قریشاً كرهت ، فإنَّ الله تعالى قال لقوم : ﴿ ذلك
بأنَّهم كرھوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فَاحبْطُ أَعْمَالَهُم﴾^(٢) .

وأمّا قولك : إنّا كنا نجحف ، فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة ، ولكنّا
قوم أخلاقنا مشتقة من أخلاق رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلـم الذي قال له

(١) الجحف : التكبر .

(٢) سورة محمد (ص) : ٩.

الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(١) وقال له : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢).

وأما قوله : فإنَّ قريشاً اختارت ، فإنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُ الْخِيرَةُ ﴾^(٣).

وقد علمت - يا أمير المؤمنين - أنَّ الله اختار من خلقه لذلك من اختار ، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لُوفقت وأصابت .

فقال عمر : على رسلك - يا بن عباس - أبْتُ قلوبكم يا بني هاشم إلَّا غِشاً في أمر قريش لا يزول ، وحقداً عليها لا يحول .

فقال ابن عباس : مهلاً - يا أمير المؤمنين - لا تنسب هاشماً إلى الغش ، فإنَّ قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهَرَ الله وزَكَاهُ ، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرُّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(٤).

واما قوله : حقداً ، فكيف لا يحقد من غصب بشيئه ، ويراه في يد غيره ! ثم قال : وأمير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو ، ألم تتحجَّ العَربُ على العجم بحقِّ رسول الله ، واحتَجَتْ قريش على سائر العَرب بحقِّ رسول الله صلَّى الله عليه وآلِه وسَلَّمَ ؟ فنحن أحقُّ برسول الله من سائر قريش .

فقال له عمر : قم الآن ، فارجع إلى منزلك . فلما ذهب هتف به عمر : أيها المنصرف ، إني على ما كان منك لراعٍ حَقَّكَ !

فالتفت إليه ابن عباس ، فقال : إنَّ لي عليك ، وعلى كلِّ المسلمين حقاً

(١) القلم : ٤ .

(٢) الشعرا : ٢١٥ .

(٣) القصص : ٦٨ .

(٤) الأحزاب : ٣٣ .

برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَمَنْ حَفَظَهُ فَحَقُّ نَفْسِهِ حَفْظٌ ، وَمَنْ أَضَاعَهُ فَحَقُّ نَفْسِهِ أَضَاعٌ . ثُمَّ مَضَى^(١) .

وَنُقْلَ أَيْضًا عَنِ الزَّبِيرِ بْنِ بَكَارٍ^(٢) ، فِي كِتَابِ «الْمُوقَفَّيَاتِ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : إِنِّي لِأُمَاشِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ فِي سَكَّةِ مِنْ سَكَّةِ مَدِينَةِ إِذَا قَالَ لِي : يَا بْنَ عَبَّاسٍ ، مَا أَرَى صَاحِبَكَ إِلَّا مَظْلُومًاً .

فَقَلَتْ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لَا يُسْبِقُنِي بِهَا ، فَقَلَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَارْدَدْ إِلَيْهِ ظُلْمَاتِهِ !

فَانْتَزَعَ يَدُهُ مِنْ يَدِي ، وَمَضَى يُهْمِلُهُمْ سَاعَةً ، ثُمَّ وَقَفَ ، فَلَحِقْتُهُ ، فَقَالَ : يَا بْنَ عَبَّاسٍ ، مَا أَظَنْتُهُمْ مَنْعِهِمْ عَنِهِ إِلَّا أَنَّهُ اسْتَصْغَرَهُ قَوْمٌ !

فَقَلَتْ فِي نَفْسِي : هَذِهِ شُرُّ مِنَ الْأُولَى ! فَقَلَتْ : وَاللَّهِ مَا اسْتَصْغَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حِينَ أَمْرَاهُ أَنْ يَأْخُذْ بِرَاءَةَ صَاحِبِكَ^(٣) .

صَدِيقُ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَمَا اسْتَصْغَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَوْمَ ذَاكَ ، وَلَا يَوْمَ اخْتَارَهُ النَّبِيُّ لِلْمَنْزِلَةِ الْأُولَى بَعْدَهُ : «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى» .

وَلَا يَوْمَ أَخْذَ بِيَدِهِ ، وَهَتَّفَ بِاسْمِهِ عَلَى الْمَلَأِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ : «مَنْ كَنَّتْ مَوْلَاهُ فَهُدَا عَلَيْهِ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ وَالِّيْ مِنْ وَالِّاهِ ، وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ» . وَلَا اسْتَصْغَرَهُ قَوْمٌ - أَنْفَسَهُمْ - يَوْمَ «أُحْدٍ» إِذَا انْهَزَمُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَتَرَكُوهُ مَعَهُ ، وَيَوْمَ «حَنْتِنْ» وَلَا يَوْمَ «الْحَنْدِقَ» ! فَلِيَتَهُمْ لَمْ يَعْتَذِرُوا !

(١) تاريخ الطبرى ٥ : ٣١ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٦٣ - ٦٥ ، ابن أبي الحديد ١٢ : ٥٣ - ٥٤ .

(٢) هو الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدى، وهو شيخ ابن ماجة والبغوي وابن ناجية وأبي حاتم، وقد وثقه أحمد، وابن حبان، والدارقطنى، وبخت بن معين، والنمساني، و قالوا فيه: كان ثقة ثبتاً عالماً بالنسبة وأخبار المتقدمين ومآثر الماضين . توفي سنة ٢٥٦ هـ .

تهذيب الكمال ٩ : ٢٩٣ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٣١٢ / ٥٨٠ .

(٣) ابن أبي الحديد ٦ : ٤٥ ، ٤٦ : ١٢ .

ويجمع الروايتين جمِيعاً ما رواه عن أبي بكر الأنصاري في «أماليه» أنَّ علَيَّاً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد، وعنه ناس، فلما قام نسبه أحدهم إلى التيه والعجب ! فقال له عمر : حقَّ لملته أن يتيمه ! والله لو لا سيفه لما قام عمود الإسلام ، وهو بعد أقضى الأُمَّةَ ، ذو سابقتها ، ذو شرفها .

فقال له ذلك القائل : فما منعكم عنه ، يا أمير المؤمنين ؟

قال : كرهناه على حداثة السنن ، وحبه بني عبد المطلب ^(١) !

فليتهم عرموا : هل بلغوا العذر عند الله ورسوله بما اعتذروا ، بعدما علموا من منزلته ، وبعد أن أيقنوا أنه الأولى بلا منازع ؟
 فهو : ذو سابقتها ، ذو شرفها ، ولو لا سيفه لما قام عمود الإسلام ، وبعد
 فهو أقضى هذه الأُمَّةَ !

وهو عليه السلام القائل : «لقد تقمصها فلان وإنَّه ليعلم أنَّ محلي منها محلَّ القطب من الرحى» .

حتى إذا علموا أنه صلَّى الله عليه وآله وسلم سيكتب له كتاباً في مرضه الأخير لا يمكن بعد نقضه ، رفعوا أصواتهم فوق صوته ، وقالوا : إنَّه يهجر !!
حسبنا كتاب الله !!

والله إنَّها لكارثة لستُ أدرِي كيف نستطيع أن نُغضِّي عندها أسماءنا !!
أم كيف نغفل مدى غضب رسول الله ، وغضبه عندنا !!
أليس من حقنا - بل الواجب الذي يملئ إيماننا بالله ورسوله ودينه
 علينا - أن نغضِّب لغضب رسول الله ؟
أم إنَّ علينا أن نعتصر قلوبنا ، ونقطب جهازنا ، نفرةً من إثارة هذه
الأحاديث ، لا شيء إلا لأنَّها تمس بمعتقدات نشأنا عليها ؟!

لقد شر بناها متعطشين ، وارتشفناها والهين ، ولكنها كانت مشبعةً بتلك المالة المصطنعة ، التي أوصدت علينا منافذ الحرية .

إني - يا صديقي - قد ورثت مثلكم تلك القناعات، ولم أكن آلف سواها، بل إني مَا يخالفها لحذر نفور .

ولست أنسىكم كم كنا نحاول الغوص في أعماقها، حتى إذا تغلغلنا يسيراً، اصطدمنا بذلك الحاجز الموهوم ، لرتد على أدبارنا الفهري ! فكم مرةً بلغنا - والحرقة تكوي قلوبنا ، والدمعة لها بريق في أعينا - أن نقول : إن الإمام علياً كان مظلوماً .

لقد قلنها كلّنا غير مرّة ، ولكننا لم نتمكن - لما في أنفسنا من حواجز - أن نستفرغ النظر ، لنعرف مسؤولياتنا تجاه ذلك الظلم ، وتلك الظلامة !

لقد أنستنا تلك الحواجز أنّا مؤمنون ، علينا أن نتحرّى الحقّ فنتبعه ، ولنلتزم الموقف السليم الذي ينجو بنا يوم الموقف العسير ! ورجائي أن لا أكون مؤاخذاً عندك إن قلتها ، فهي حقيقة حاكمة مهما حاولنا التنكر لها ، إنّها العصبية والكبرياء ، هي التي تحجبنا عن تبني الموقف الشرعي أيّها وجدناه .

ولسنا أول المهزمين أمامها ، فلقد قهرت من هم أشدّ منا قوّةً، وأكثر جعاً! ولعلّ من بينهم : أبو حامد الغزالى ، الذي قال مرّةً - معتقداً بصحة ما يقول - : ولكن أسفرت الحجّة وجهها ، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته صلى الله عليه وآله وسلم في يوم غدير خمّ ، باتفاق الجميع ، وهو يقول : « من كنت مولاه فعلّي مولاه ». «

فقال عمر : بَخِ بَخِ لك يا أبا الحسن ، لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة .

فهذا تسلیم ، ورضی ، وتحکیم . ثمّ بعد هذا غالب الهوى بحبّ الرئاسة

وحمل عمود الخلافة ، وعقود البند ، وخفقان الهواء في قعقة الرایات ، واشتباك ازدحام الخيال ، وفتح الأمسار سقاهم كأس الهواء ، فعادوا إلى الخلاف الأول ، فنبذوا الحق وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما يشترون^(١) :

ولعلّ منهم في عصرنا هذا : شيخ الأزهر الأسبق الشيخ سليم البشري ، وقد صرّح هو بذلك في جوابه للسيد شرف الدين الموسوي ، بعد مناقشات وراسلات طويلة بينهما عرض عليه السيد الموسوي من خلاها أدلةً وبراهين قاطعة بأحقية مذهب أهل البيت ، وأنهم - عليهم السلام - أولى بالاتّباع من سواهم ، فأجابه الشيخ ، قائلاً :

وَهِيَ أَغْرِقَتُ فِي الْبَحْثِ فِي حِجَّتِكَ ، وَأَمْعَنْتُ فِي التَّنْقِيبِ عَنْ أَدَلَّتِكَ ،
رَأَيْتُنِي فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ :

أنظر في حججك فأراها ملزمة ، وفي بيّناتك فأراها مسلمة ، وأنظر في أئمّة العترة الطاهرة فإذا هم بمكانة من الله ورسوله يُخْفَضُ لها جناح الذلّ هيبة وإجلالاً ..

ثم أنظر إلى جمهور أهل القبلة ، والسود الأعظم من ممثلي هذه الملة فأراهم مع أهل البيت على خلاف لما توجّه ظواهر الأدلة !
فأنا أُوامر مني نفسين :

نَفْسٌ تَنْزَعُ إِلَى مَتَابِعَةِ الْأَدَلَّةِ ..

وآخر تفزع إلى الأكثريّة من أهل القبلة! قد بذلت لك الأولى قيادها ، فلا تتبّو في يديك ، ونبت عنك الأخرى بعنادها ، فاستعصت عليك ... !!^(٢)

يقول هذا وكأنّه نسي - غفر الله له - ما لقي أهل البيت منذ غياب

(١) كتاب سر العالمين - للغزالى - المقالة الرابعة - ٢٤ - ٢٠ ، ورواه عنه سبط ابن الجوزي في تذكرة المخواص :

. ٦٢

(٢) المراجعات : المراجعة ١١ ص ٣٢ .

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ مَا جَاءَ مِنْ دَوْرِ بْنِي أُمَّيَّةَ ، وَبْنِي العَبَّاسَ ،
وَالعَشَانِيَّينَ فِي نُشُرِ المَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ ، وَإِيقَافِ الْعَمَلِ عَلَيْهَا ، وَمُحَارَبَةِ مَا سَوَاهَا ،
وَلَا سِيَّماً مَذْهَبًا سَقَاهُ عَلَيْهِ الْحَسْنُ وَالْحَسِينُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ !

وَإِنِّي أَعْتَرُفُ عَلَى نَفْسِي أَنَّ لَوْلَمْ تَتَدَارِكَنِي رَحْمَةُ رَبِّي وَتَوْفِيقَاتُهُ لِصِرَاطِنِي
تَلْكَ النَّفْسِ (الْمَعَانِدَة) . وَلَقَدْ كَادَتْ ، وَنَجَحَتْ مَرَّةً ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعْانَنِي عَلَيْهَا ..
فَبَعْدَ أَنْ أَمْضَيْتُ الشَّهُورَ فِي الدِّرْسِ ، وَالتَّنْقِيبِ ، وَالْمَنَاظِرَ ، وَالْبَحْثِ ،
وَبَلَغْتُ كَامِلَ الْيَقِينِ ، وَاسْتَجَمَعْتُ قَوَاعِي فِي لَيْلَةٍ خَتَمْتُ فِيهَا مُجْلِسًا فِي بَحْثٍ
مَتَشَعَّبٍ عَمِيقٍ فِي هَذِهِ الْمَوْاضِيعِ ، فَخَرَجْتُ مِنْهُ وَأَنَا أَشَدُّ يَقِينًا ، وَأَثْبَتْ حَجَّةً ،
عَازِمًاً أَنْ أَبْدِأَ الْفَجْرَ الْجَدِيدَ بِالصَّلَةِ وَفَقَ مَذَهَبَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ..
وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَعِيشُ نَشْوَةَ الانتِصَارِ ، وَحَلاوةَ الْيَقِينِ ، إِذْ صَادَفَ أَنْ
اجْتَمَعَتْ مَعَ ثَلَّهُ مِنْ أَبْنَاءِ الشِّيَعَةِ ، فَتَنَاهُوا نَاطِرَافَ الْحَدِيثِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يَتَحَدَّثُونَ
وَمَلَؤُهُمُ الْفَخْرُ بِمَذَهَبِهِمْ ثَارَتْ فِيَّ تَلْكَ النَّفْسِ - الْمَعَانِدَةَ - مِنْ جَدِيدٍ ، وَأَبْتَأَتْ أَنْ
تَوَافِقُهُمْ !

فَخَضَتْ الْحَدِيثُ مَعَهُمْ أَغَالِطَ نَفْسِي عَلَى عِلْمٍ وَإِصْرَارٍ ، وَمَضَيْتُ هَكَذَا
حَتَّى سَئَمْتُ نَفْسِي ، وَاضْطَرَبْتُ فِي دَاخِلِي ، وَلَكِنِّي لَسْتُ مُسْتَعْدًا لِلِّانْقِيَادِ لَهُمْ !
فَعُدْتُ مُتَحِيرًا مِنْ نَفْسِي وَمَا فِيهَا ، وَنَمَتْ مَصْرُوعًا ثَقِيلًا .. وَعُدْتُ
أَقْضِي شَهُورًا أُخْرَى مُضْطَرِبًا ، بَيْنَ يَقِينِ عِرْفَتِهِ وَاعْتِقَدَتِهِ ، وَبَيْنَ عَنَادِ وَكُبْرَاءِ
لَهُمْ جَذُورٌ قَدِيمَةٌ !

وَبَقِيتُ هَكَذَا ، أَصْطَنَعَ الْعَلَلَ وَالْأَعْذَارَ ، وَأَجْعَلَهَا شَرِعِيَّةً طَبِيعًا ، وَلَكِنَّهَا
كَانَتْ كَبِيُوتَاتِ الصَّغَارِ ، يَشِيدُونَهَا عَلَى الرَّمَالِ ، فَتَنَقْشُ ، وَتَزُولُ آثارُهَا بَعْدَ سَاعَةٍ.
حَتَّى أَجْلَيْتُ مَا فِي صَدْرِي بِدَمْوعِ الْلَّيلِ ، وَزَفَرَاتِ الْخَلْوَةِ ، أَبْكَيْتُ حَبَّاً
وَشَوْقًا إِلَى سَادَةِ الْخَلْقِ ، وَأَنْوَارَ الْهَدِيَّ ، وَأَبْكَيْتُ نَفْسِي وَغَلَبَتِهَا .
حَتَّى أَحْسَسْتُ وَأَنَا فِي هَدَأَةِ الْلَّيلِ كَأنَّ قَطْرَةً مِنْ تَلْكَ الدَّمْوعِ قدْ أَتَتْ

على آخر عرق من عروق تلك الكبراء ، فاقتلتتها من محلها ، وسقطت مكانتها بذرةً ، بذرة الطاعة والولاء ، فافتفضت ، مُكْبِلًا أطلق لتوه ، خفيف الحمل كطائرٍ صغير ، مستبشرًا كضائع أشرف فجأةً على أحبته وذويه .. وأفقت مطمئنًا في أوسط سفينية النجاة ، أنهل من منها العذب الصافي ،وها أنا أحذثك من ظلال ربيعها الزاهر .

وما أن رأوا مني هذا ، حتى هجرني من كان يحبّني ، وجفاني من كان يقول فيَّ أني من أهل قوله تعالى : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُوْنَا﴾^(١) !

وليس لهم حجّة فيها حملوه إلّا الذي كان يغالطي من تلك النفس المعاندة . ولقد حاورني أحدهم ، ولعله من أفضلهم ، فقال : أتدري ماذا فعلت أنت ؟ !

قلت : نعم ، لقد أخذت بمذهب الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن زين العابدين ابن سيد شباب أهل الجنة ابن سيد الوصيّين ، وسيدة نساء العالمين ، وابن سيد المرسلين .

فقال : ولماذا تركتنا هكذا ، والناس تقول فينا ما تقول ؟

قلت : لأنّي أتبعت ما يقول الله ورسوله .

قال : أني قول تعني ؟

قلت : قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدى : كتاب الله ، وعترقي أهل بيتي ». وقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم أنّهم سفن النجاة التي من ركبها نجا .

قال وكأنّه يقاطعني : ومن تختلف عنه غرق ؟ أتعني أنّنا كلّنا غرقى ؟ !

قلت : لماذا ؟ ألا ترى أنك من المتمسّكين بهم ؟ !

قال : نحن نتمسّك بالخلفاء الراشدين بحسب ترتيبهم في الخلافة ، ثم

بالمذاهب الأربعة !

فقلت له : وما ذنبي إذن تعاتبني ؟ ذلك قول رسول الله صلّى الله عليه

وآله وسلم .

فمضى ..

* * *

خاتمة المسير

وقفة :

في هذا القسم - الأخير - أشياء كنت أضعها أمامي ، وأسئلة أثيرها ،
أستخرجها من بطون الحقائق ، وأسئلة كهذه لا بد أن تكون على درجة من
التحديد والقوة تؤهلها للنفوذ إلى الأعماق ، واستشارة المواقف السليمة الصافية
التي تكمن فيها ، والتي قد تحجبها أحياناً أغشية الميل والعواطف !
وإن عملية كهذه تتطلب قدرًا كافياً من الشجاعة والجرأة ، وهذا هو شأن
الحقيقة دائمًا ، لا يبلغها إلا من يملك الشجاعة الكافية في تحدي كلّ ما يتوسط
الطريق إليها ، والإرادة الثابتة في مواصلة الطريق ، واتخاذ الموقف الأقوى
والأسلم .

ومسيرة كهذه لا بد أن يقودها الفكر الحر إلى نهاية المطاف .

فهذا سؤال كان يُلزمني ، يقول :
الليس من الواجب علينا أن نتحرى مواضع رضا الله ورسوله ، فنعرفها ،
ونأخذ بها ، ونعرف من أرضاه ، فنوايه ؟
إذن ، كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول في آخر
أيامه : « هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً » فيقول قائلهم :

ما لَه ؟ أَهْجَر ؟ حسِبنا كتابَ الله !
أَتَرَى أَرْضاهُ هَذَا ، أَمْ أَسْخَطَه ؟

ولنا أن نسأل ، فنقول : لو أنّ عمرَ كان يظنّ أنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سيوصي له ، أو لآبي بكر ، أكان يقول ما قال ، أم سيكون أسرعَ الْمُلْبِينَ ، وسيهتِفُ بملءِ فيه : هَلْمُوا يكتبُ لكمَ رسولَ اللهِ ، فاسمعوا له وأطِيعوا ؟

وليس هذا تهكّماً مني ، أو سوءَ ظنّ ، بل هو ما حَدَثَ فعلاً يومَ عَهْدِهِ لـ أبو بكر بالخلافة في آخر أيامِ حياته ، وهو على فراشِ الموت ، وكان يُغمى عليه ثُمَّ يُفيقُ وهو يُملي الكتاب !

قال ابن الأثير : ثُمَّ إِنَّ أبا بكرَ أَحْضَرَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ لِيكتبَ عَهْدَهُ ، فقال له :

أُكْتَبْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، هَذَا مَا عَاهَدْتَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، أَمَّا بَعْدُ . ثُمَّ أَغْمَى عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ عُثْمَانَ : إِنِّي قَدْ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ ، وَلَمْ أَكُمْ خَيْرًا .

ثُمَّ أَفَاقَ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : أَقْرَأْ عَلَيْهِ .

فَقَرَأَ عَلَيْهِ ، فَكَبَرَ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ : أَرَاكَ خَفْتَ أَنْ يَخْتَلِفَ الْمُسْلِمُونَ إِنْ مَتَّ فِي غَشْيَتِي ؟

قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَنِ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ .

فَلَمَّا كَتَبَ الْعَهْدَ أَمْرَأَ أَنْ يُقْرَأَ عَلَى النَّاسِ ، فَجَمَعَهُمْ ، وَأَرْسَلَ الْكِتَابَ مَعَ مَوْلَى لَهُ ، وَمَعَهُ عَمَرَ ، فَكَانَ عَمَرَ يَقُولُ لِلنَّاسِ : أَنْصُتُوكُمْ وَاسْمُوكُمْ لِخَلِيفَةَ

رسول الله ، فإنَّه لِمَا كُنْتُ نُصْحَىً ! فَسَكَنَ النَّاسُ^(١) .

- أما كان أولى به أن يقول : اسمعوا برسول الله ؟ أو أن يسكت ؟

- أما كان الأولى أن يقال لأبي بكر إنَّه هَجَرَ ، إذ كان يُغْمِي عليه وهو

يُوصِي ؟

- أم لماذا كانوا يخشون وقوع الفتنة واختلاف المسلمين بعد أبي بكر فأتموا
له كتابه وهو مغمي عليه ، بينما قطعوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
كلامه ، وأكثروا اللغط والضجيج وهو يخاطبهم ، فلم يخشوا وقوع الاختلاف
بعده ؟!

فهل أرضوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أم أُسْخَطُوهُ ؟
ثم متى صح لمؤمن أن يقف حائراً ، لا يدرى أ يكون مع رضا رسول الله
أم مع سخطه ؟ وهكذا لو تتبع كل ما تقدم ذكره من أحداث ووضعتها تحت
هذا السؤال ، لوجدت الحقائق ناصعة جليةً ، ولا شيء أوضح منها ، ولا أقرب
إلى الأذهان .

أَفَرَسُولُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ بَعْدَهُ ؟

قال ابن عباس رضي الله عنه : أرأيتم سبها لكون ، أقول قال النبي صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ويقول : نهى أبو بكر وعمر^(٢) !

دروس ومواعظ :

فكم من موعظةٍ بالغةٍ بسطها النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بيننا
دليلًا إلى الهدى ؟

(١) الكامل في التاريخ ٢ : ٤٢٥ - ٤٢٦ ، وانظر تاريخ الطبراني ٤ : ٥٢ .

(٢) مسنـد أـحمد ١ : ٣٣٧ .

- ألم تكن في قصة تبليغ سورة براءة موعظة :

إذ بعث بها أبا بكر ، حتى إذا سار بها بعضاً من الطريق أرسل خلفه علياً ليأخذها منه ، ويرده ! فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : أَنْزَلَ فِي شَيْءٍ ؟

قال : « لا ، ولكن أُمِرْتُ أَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أنا ، أو رَجُلٌ مِّنِي ». .

هكذا كان في تبليغ أربعة أحكام من القرآن الكريم ، فرده الله تعالى ، وانتخب لها علياً عليه السلام ، ثم زاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمرَ وضوحاً ببيانه المُحْكَم : « أُمِرْتُ أَلَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أنا أو رَجُلٌ مِّنِي ». .
فكيف في تبليغ الإسلام كلّه ، والقيام عليه وحمايته ، أَيْرَتضى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إِلَّا رَجُلٌ مِّنْهُ ؟

- وموعظة أخرى :

في راية خيبر ، إذ بعث بها أبا بكر ، فعاد ولم يصنع شيئاً ، فأرسل بعده عمر ، فعاد ولم يفتح^(١) - أما الطبرى فقال : فعاد يُجْبِنُ أَصْحَابَه وَيُجْبِنُونَه^(٢) - فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ، فقال : « لَأُعْطِيَنَّ الرَايَةَ غَدَّاً رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، كَرَّارٌ غَيْرَ فَرَّارٍ » وفي رواية : « لَا يَخْزِيهِ اللَّهُ أَبْدَاً ، وَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ عَلَيْهِ »^(٣) .

(١) الكامل في التاريخ : ٢١٩ ، أسد الغابة : ٤ ، ٢١ ، الحصانص للنسائي : ٥ ، البداية والنهاية : ٧ ، ٣٤٩ ، حلية الأولياء : ١ ، ٦٢ ، دلائل النبوة : ٤ : ٢٠٩.

(٢) تاريخ الطبرى : ٣ : ٩٣ ، وصححة الحاكم في المستدرك : ٣ : ٣٧ ، ووافقه الذهبي .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الفضائل - ٥ : ٨٧ / ١٩٧ و ١٩٨ - كتاب المغازى - ٥ : ٢٢١ / ٢٧٩ ، صحيح مسلم - كتاب الفضائل - ٤ : ٣٤ / ١٨٧١ ، سنن الترمذى : ٥ : ٦٣٨ / ٣٧٢٤ ، سنن ابن ماجة : ١ / ٤٣ : ١١٧ / ٤٣ ، مسند أحمد : ١ / ١٨٥ : ٥ ، المسدرك : ٣ / ١٠٩ ، مصايح السنة : ٤ / ٩٣ : ٤٦٠١ ، الحصانص للنسائي : ٤ - ٨ ، تاريخ الإسلام للذهبي - جزء المغازى - ٤٠٧ ،

فهل أبقى هذا الحديث المتفق عليه على شيء مما يقال له (فضائل الشيفين) !

- وموعظة أخرى :

يوم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جمْع من الصحابة : « إنَّ منكم مَن يقاتلُ على تأویل القرآنِ كَمَا قاتلتُ على تنزيله ». فاستشرف له القوم ، وفيهم أبو بكر وعمر ، فقال أبو بكر : أنا هو ؟ قال : « لا ». قال عمر : أنا هو ؟

قال : « لا ، ولكن خاصِّ النعل » وكان على يخصِّ نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قال أبو سعيد الخدري : فأتيناه فبَشَرَناه ، فلم يرفع به رأسه كأنَّه قد كان سمعَه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ^(١) .

و قريب منه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لبني لَهِيَة - وفي رواية لوفد ثقيف - : « لَتُسلِّمُنَّ أَو لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ رجلاً مِنِّي - أو قال : مثل نفسي - ليضرِّنَّ أعناقكم ، وليسَّبِّنَّ ذراريَّكم ، ولِيأخذَنَّ أموالَكم ». قال عمر : فوالله ما تَنَيَّتِ الإِمَارَة إِلَّا يَوْمَئِذٍ فجعلتُ أنصُبُ صدرِي رجاء

→ دلائل النبوة ٤ : ٢٠٥ - ٢٠٦ ، الاستيعاب ٣ : ٣٦ ، الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ : ٤٣ - ٦٨٩٦ وكافة أصحاب السير والمناقب هذا غير ما تقدَّم في هامش (١) (٢) المتقدمين .

(١) مسنَدُ أَحْمَدَ ٣ : ٨٢ ، فضائل الصحابة ٢ : ٦٢٧ / ١٠٧١ ، المستدرك ٣ : ١٢٣ وصححه على شرط الشيفين ، أَسْدُ الْغَافِيَة ٤ : ٣٢ - ٣٣ ، الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩ : ٤٦ / ٦٨٩٨ ، البداية والنهاية ٧ : ٣٧٥ ، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ٣ : ١٦٣ ، جمع الزوائد ٥ : ١٨٦ و ١٣٣ : ٩ ، تاريخ بغداد ٨ : ٤٣٣ ، الصواعق المحرقة باب ٩ : ١٢٣ ، الرياض النبرة ٣ : ١٥٧ ، حلية الأولياء ١ : ٦٧ ، كنز العمال ١٣ : ١٠٧ / ٣٦٣٥١ وسائر أصحاب المناقب .

أن يقول : هو هذا ، فالتفت إلى عليّ ، فأخذ بيده ، وقال : « هو هذا ، هو هذا »^(١) .

- وهذه الموعظة :

عن أم المؤمنين عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما حضرته الوفاة :

« ادعوا لي حبيبي » فدعوا له أبو بكر ، فنظر إليه ، ثم وضع رأسه ، ثم قال :

« ادعوا لي حبيبي » فدعوا له عمر ، فلما نظر إليه وضع رأسه ، ثم قال :
 « ادعوا لي حبيبي » فدعوا له عليّاً ، فلما رأه أدخله في الثوب الذي كان
 عليه ، فلم يزل يحتضنه حتى قُبض ويده عليه^(٢) .

ولست هنا بمقام المفصل لهذا البيان المفصل ، ولكن لنتذكّر فقط أنّ هذا
 إنما جاء بعدما أبوا أن يكتبوا عهده الأخير إليهم وإلى أمته من بعدهم !
 وإنما كان لما حضرته الوفاة ، فلم يزل يحتضنه حتى قُبض ويده عليه !
 إذا تذكّرنا هذا فسوف ينكشف لنا الكثير ، ويزول عنّا إبهام كثير ، فهو بلاغه
 الأخير صلى الله عليه وآله وسلم في لحظات لا يمكن لمن شهدّها أو سمع بها أن
 ينساها .

(١) سنن الترمذى ٥ : ٦٣٤ / ٣٧١٥ ، فضائل الصحابة ٢ : ٩٦٦ / ٥٧١ ، الاستيعاب ٣ : ٤٦ ، أسد
 الغابة ٤ : ٢٦ ، الرياض النضرة ٣ : ١١٩ ، الحصائر للنسائي : ١٩ ، ١٠ ، كنز العمال ١٣ : ١١٥ /
 ٣٦٣٧٣ .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه كما في ترجمة الإمام علي ٣ : ١٧ / ١٠٣٦ ، والمحبّ الطبرى : في
 الرياض النضرة ٣ : ١٤١ ، وفي ذخائر العقبى : ٧٢ ، والخوارزمي : في المناقب : ٢٩ ، وفي مقتل الحسين
 ١ : ٣٨ ، والكتنوجي الشافعى في كفاية الطالب : ٢٦٣ . والملا فى سيرته : ج ٥ - ق ٢ - ١٧٤ .

ومع كل تلك المواقع ونظائرها ، نقول : سبحان الذي قضى ألا يَدْعُ
الأمور تجري عَبَثاً ، حتى يَبْيَنَ لِلنَّاسِ حُكْمَهُ فِيهَا ﴿لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدِ الرَّسُولِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا﴾^(١) .

لا بد من جواب :

لعل أول القضايا كلّها هي قضية الإمامة ، وقضية الإمامة تواجهنا
بسؤالين أساسين لا بد من إيجاد الجواب الصحيح عنها ، وهما :
١ - هل ترك الله جل جلاله أمر خاتم الأديان مُبَهِّماً بعد نبيه صَلَّى اللهُ
عليه وآله وسَلَّمَ ، وهل ترك أمر عباده إلى يوم الدين هكذا بخلاف سائر الأمم
قبل الإسلام ، إذ كان يخُلُفُ كُلَّ نَبِيٍّ عدداً من الأووصياء ؟!
أم أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ترك هذه الأُمَّةَ تختار في أمرها
من بعده ، فلا تجد منه عهداً تحكم إليه ، ولا قولًا تتمسّك به ، ولا ركناً تتوكّأ
عليه ، فتتعود أُمَّةٌ تموّج وتضطرب ، تتقاذفها الآراء ، والاجتهادات والأهواء ، وكأنّ
سيد المرسلين لم يُبعث فيها ، وكأن خاتمة رسالات السَّماء لم تتم بعد ؟!
أم يصح أن يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للمسلمين : «من
مات وليس في عُنْقِهِ بيعة مات ميتة جاهلية» وهو لم يعيّن لهم من يبايعون ؟
أو يقول : «من مات ولم يعرف إمام زمانه - وليس عليه إمام - مات ميتة
جاهلية» وهو لم يرشدهم إلى الأئمة الحقّ الذين وجب اتّباعهم ؟
هل يصح أن يكون المراد بهذا مجرد البيعة ، وإن كانت لأهل البدع
والأهواء ، أو لكلّ من تغلّب بالسيف ، وإن أقام الباطل وقهر أهل العدل
والصلاح ؟

كيف يتم هذا وهو صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا طاعة في معصية الله »^(١) .

وهو صلى الله عليه وآله وسلم عندما حث المؤمن على طاعة الأمير اشترط لذلك ، فقال : « ما لم يُؤمر بمعصية ، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »^(٢) . إن هذا كله يدل دلالةً لا شك فيها على ضرورة تعيين الإمام وال الخليفة بعد النبي ، والنصح عليه ، هذه الضرورة التي لم يغفل عنهانبي من الأنبياء ولا ملك من الملوك ، ولا قائد من القادة لأجل حفظ شريعته واستمرار نهجه ، فهل يتركها خاتم الأنبياء وحده ؟

ثم لماذا لا ننتبه - ونحن ندعى عدم وجود النص على الإمام - إلى قضية خطيرة أخرى ، وهي :

ما هو مصير من سيموت بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبل أن تتم البيعة لل الخليفة ؟

إن سيموت وليس عليه إمام ، وليس في عُنْقِه بيعة ! فما الذي جناه هذا ليموت ميتةً جاهلية ؟

وهكذا في كل فترة بين خليفتين ، إذ من المعروف أن المسلمين قد بقوا ثلاثة أيام بعد موت عمر وليس عليهم إمام ، وعدة أيام بعد موت عثمان ، ثم هو أمر جار بلا ريب ، بحسب هذا الفرض ! فإذا أيقنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقول إلا حقاً ، وأنه

(١) صحيح مسلم - الامارة - ٣ : ١٤٦٩ ، سنن النسائي - البيعة - ٧ : ١٦٠ ، سنن ابن ماجة - الجihad - ٢ : ٩٥٦ / ٢٨٦٥ ، مستند أحمد ١ : ٩٤ وعده مواضع أخرى .

(٢) البخاري - الجihad - ٤ : ١٢٦ / ١٦٢ ، - الاحكام - ٩ : ١١٣ / ٨ ، مسلم - الامارة - ٣ : ١٤٦٩ / ٣٨ سنن الترمذى - الجihad - ٤ : ٢٠٩ / ١٧٠٧ ، سنن النسائي - البيعة - ٧ : ١٦٠ ، سنن ابن ماجة - الجihad ٢ : ٩٥٦ / ٢٨٦٤ ، مستند أحمد ٢ : ١٧ .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرْحَمَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يَسْوَقُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ مِنْ غَيْرِ مَا ذَنَبَ جَنُوْهُ ، وَإِنَّا أَرْسَلْنَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، أَيَقْنَا عِنْدَئِذٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَثَلَّا يُعَرَّضُ أُمَّتَهُ لِمَحْنَةٍ مَحْتُومَةٍ كَهَذِهِ ، وَلَثَلَّا يَتَرَكُ أُمَّتَهُ عَرْضَةً لِلاضْطَرَابِ وَالْاِخْتِلَافِ وَالْفِتْنَ ، وَلَثَلَّا يَدْعُ شَرِيعَتَهُ - وَهِيَ خَاتَمَ شَرَائِعِ السَّمَاوَاتِ - غَرَضاً لِأَهْلِ الْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ ، وَ﴿لَثَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ﴾ لِأَجْلِ هَذَا كُلَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَوْصَى ، وَنَصَّ عَلَى الْإِمَامِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعَلَى إِمَامٍ بَعْدَ إِمَامٍ .

وَهَذِهِ هِيَ الْحَقْيَقَةُ الَّتِي لَا يَسْتَقِيمُ غَيْرُهَا مَعَ مَا وَرَدَ مِنْ نَصُوصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنْنَةِ فِي أَمْرِ الْإِمَامَةِ .

٢ - تَقْدِيمُ الْكَلَامِ فِي وَجْوَبِ الْإِمَامَةِ ، وَمَا فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَوْجَبَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ مِنْ وَجْوَبِ وُجُودِ إِمَامٍ تُعْقَدُ لَهُ الْبَيْعَةُ فِي كُلِّ زَمَانٍ .

فَلِيُسْ خَفِيًّا - مَعَ هَذَا - عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنَّهُ سُوفَ يُسْأَلُ غَدَّاً عَنِ إِمَامِ زَمَانِهِ الَّذِي كَانَ يَعْتَقِدُ إِمَامَتَهُ ، وَيَعْقُدُ لَهُ الْبَيْعَةَ وَالْوَلَاءَ .
وَبِدِيْهِيَّ أَنَّ مَنْ بَاعَ لِإِمَامٍ مُعْتَقِداً إِمَامَتَهُ كَانَ وَرَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنَّمَا أَنَّ يَكُونُ هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقْدُمُ قَوْمُهُ فِي وَرَدِهِمُ الْجَنَّةَ وَالرَّضْوَانَ ، وَإِنَّمَا أَنَّ يَكُونُ غَيْرُهُ ، فِي وَرَدِهِمُ النَّارَ ! أَعَادَ اللَّهُ أُمَّةً حَبِيبَهُ الْمُصْطَفَى مِنْهَا وَمِنْ أَهْوَاهَا .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا وَإِنَّ أَئِمَّتَكُمْ وَفَدَكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَانظُرُوا مَنْ تَوَفِّدُونَ »^(١) .

فَلَنُعرِضَ هَذَا السُّؤَالُ الْخَطِيرُ الْيَوْمَ عَلَى أَنفُسِنَا ، قَبْلَ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ

(١) الصَّوَاعِقُ الْمَرْقَفَةُ : بَابُ ١١ : ١٥٠ .

غداً :

فمن هو الإمام الذي تجب معرفته ، وتجب مواليته في زماننا هذا ؟ إنك منها بحثت فلن تجد جواباً لذلك إلا لدى الشيعة الإمامية ، ففي عقائدهم : أنَّ إمام هذه الأزمان هو : الإمام المهدى المنتظر ، ابن الإمام الحسن العسكري ، ابن الإمام علي الهادى ، ابن الإمام محمد الجواد ، ابن الإمام علي الرضا ، ابن الإمام موسى الكاظم ، ابن الإمام جعفر الصادق ، ابن الإمام محمد الباقر ، ابن الإمام علي زين العابدين ، ابن الإمام الحسين الذي هو أخو الإمام الحسن ، سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وريحاناته ، وسيدا شباب أهل الجنة ، ابنا الإمام علي بن أبي طالب أخو رسول الله ووصيه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فهو الإمام الثاني عشر - من الأئمة الاثني عشر القرشيين ، الهاشميين ، الهاذيين المهدويين - المولود في سنة ٢٥٥ هـ في سامراء من أرض العراق . وهو الإمام المنتظر الموعود الذي تُبشر به مذاهينا الإسلامية كافة^(١) . وهذا هو الجواب الوحيد الذي يستقيم مع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتفق عليها في الإمامة ، وأشهرها :

١ - قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إني تارك فيكم الثقلين - خليفتين - كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، وإنما لـن يفترقا حتى يردا على الموضع »^(٢) .

(١) انظر سنن أبي داود - كتاب المهدى - ٤ : ١٠٦ ، سنن الترمذى - باب ما جاء في المهدى - ٤ : ٥٠٥ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ و ١٨٧٤ ، سنن الترمذى ٥ : ٦٦٢ / ٣٧٨٦ و ٦٦٣ / ٣٧٨٨ ، مسند

الإمام أحمد ٣ : ١٤ ، ١٧ ، ٣٦٧ و ٤ : ٣٧١ و ٥ : ١٨٩ ، ١٨٢ ، مصايب

السنة ٤ : ١٨٥ / ٤٨٠٠ و ١٩٠ / ٤٨١٦ ، فضائل الصحابة ٢ : ٦٠٣ / ١٠٣٥ ، الخصائص للنسائي :

السيرة الخلبية ٣ : ٣٣٦ ، تاريخ اليعقوبى ٢ : ١١٢ ، تفسير الرازى ٨ : ١٦٣ ، تفسير ابن

كثير ٤ : ١٢٢ ، العقد الفريد ٤ : ١٢٦ وتقديم ذكر مزيد من مصادره .

قال ابن حجر الهيثمي : وفيه إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيمة كما أنَّ الكتاب العزيز كذلك^(١) .

٢ - قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقُضُهُ حَتَّى يَمْضِي فِيهِمْ أَثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ »^(٢) .

وفي لفظ : « الْخَلِفَاءُ بَعْدِي أَثْنَا عَشَرَ كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ »^(٣) .

ولقد رأينا من هُمْ أئمَّةُ أهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فَهُمُ الْمُصْطَفَوْنَ مِنْ آلِ الْمُصْطَفَى ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ : « لَا تَتَقَدَّمُوهُمْ فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تَتَأْخُرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تَعْلَمُوهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مَنْ كُمْ » .

وقال : « وَإِنِّي سَأَتَّلُكُمْ غَدَّاً عَنِ التَّقْلِينِ ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا » .

« اذْكُرُوكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، اذْكُرُوكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » .

لماذا هذا الجفاء ؟

لقد كنت زِمَنًا أَعْجَبَ لِمَنْ يَقُولُ بِمِبْدَأِ (السلفية) فَيُسْتَنِكرُ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ يُكُنْ قَدْ عُمِلَ بِهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَحَتَّى مَكْبَرَاتِ الصوت في المساجد، قالوا : إنَّهَا بَدْعَةٌ لَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ! وأَمْتَاهَا كَثِيرٌ، تُرَى فَلِمَذَا لَا يُسْتَنِكرُونَ السُّجُودَ عَلَى الْفِرَاشِ ، ثُمَّ السُّجُادَ السَّمِيكِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهُ خَلَافَ مَا كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَالصَّاحِبَةِ ، وَحَتَّى التَّابِعِينَ ؟

فَلِمَ يَبْتَدِئُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُجُودُهُ عَلَى غَيْرِ التَّرَابِ وَالْحَصْنِ ، أَوْ الْحَصِيرِ الْمُتَّخَذِ مِنَ الْجَرِيدِ .

(١) الصواعق المحرقة - باب ١١ فصل ١ : ١٥١ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأحكام - ح / ٧٩ ، صحيح مسلم - كتاب الإمارة - ح / ١٨٢١ ، سنن الترمذى ٤ : ٥٠١ / ٢٢٢٣ وتقديم ذكر مزيد من مصادره .

لقد كنت أسرع شيء للاقتناع بهذا ، فهو من أكثر الأشياء وضوحاً .
وكنت رغم ما بلغته من الاطمئنان إلى مسألة (مسح القدمين) في الموضوع ،
ورغم أنني قد قرأت ما حكاه الرازى فيها مفصلاً في تفسيره ، وقد ذكر عدداً
من قال بوجوبه ، وعدداً من قال بالتخيير بين المسح والغسل ، وعدداً من جمع
بينها^(١) ، رغم هذا كنت أتشوّق لرؤيه مزيد من الأحاديث الصحيحة في هذا
عند أصحاب التصانيف المعتبرة ، حتى وقفت على ذلك في عدة مصادر ، منها :

* سنن أبي داود :

بإسناد عن علي عليه السلام قال: «لو كان الدين بالرأي لكان باطن
القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما» .

وهذا نصّ صريح بالمسح على القدمين في الموضوع دون الغسل .
ثم رواه بإسناد آخر - تحت نفس الرقم - عن علي عليه السلام أنه
قال: «كنت أرى أنّ باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح ظاهرهما»^(٢) .

والغريب أنه بعد أن ذكر الحديثين قال : قال وكيع : يعني الخفين !
وهذا تحكم ظاهر لا قيمة له ولا دليل عليه ، ولا مجرد إشارة .

* وفي سنن ابن ماجة :

عن ابن عباس رضي الله عنها، قال: إن الناس أبوا إلا الغسل، ولا أجد
في كتاب الله إلا المسح^(٤) .

(١) تفسير الرازى ١١: ١٦١ وبعدها .

(٢) سنن أبي داود - كتاب الطهارة - ح / ١٦٤ .

(٣) سنن ابن ماجة ١: ١٥٦ / ٤٥٨ .

* وفي مسنـد أـحمد بن حـنـبل : عـن عـلـيٰ عـلـيـهـ السـلـامـ أـنـهـ قـالـ : «ـ كـنـتـ أـرـىـ أـنـ بـاطـنـ الـقـدـمـيـنـ أـحـقـ بـالـمـسـحـ مـنـ ظـاهـرـهـاـ ،ـ حـتـىـ رـأـيـتـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ يـمـسـحـ ظـاهـرـهـاـ »^(١) .

* مسنـد الـحـمـيدـيـ : روـيـ حـدـيـثـ أـحـمـدـ المـتـقـدـمـ بـنـصـهـ ،ـ وـذـكـرـ لـهـ مـصـادـرـ أـخـرـىـ^(٢) .

* مسنـد أـبـيـ يـعـلـيـ الـمـوـصـلـيـ : روـيـ حـدـيـثـ مـنـ طـرـيقـيـنـ عـنـ عـلـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ : «ـ كـنـتـ أـرـىـ أـنـ بـاطـنـ الـقـدـمـيـنـ أـحـقـ بـالـمـسـحـ مـنـ ظـاهـرـهـاـ حـتـىـ رـأـيـتـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ يـمـسـحـ ظـاهـرـهـاـ »^(٣) .

* السنـنـ الـكـبـرـيـ لـلـبـيـهـقـيـ : عـنـ رـفـاعـةـ بـنـ رـافـعـ : أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ قـالـ لـلـمـسـيـءـ صـلـاتـهـ : «ـ إـنـهـ لـاـ تـمـضـ صـلـاـةـ أـحـدـكـمـ حـتـىـ يـسـبـغـ الـوـضـوـءـ كـمـاـ أـمـرـهـ اللـهـ :ـ يـغـسلـ وـجـهـ وـيـدـيـهـ إـلـىـ الـمـرـفـقـيـنـ ،ـ وـيـمـسـحـ بـرـأـسـهـ وـرـجـلـيـهـ إـلـىـ الـكـعـبـيـنـ »^(٤) .

* وفي الدـرـ المـثـورـ:

- أـخـرـجـ اـبـنـ أـبـيـ حـاتـمـ عـنـ اـبـنـ عـبـّاسـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :

﴿ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ قـالـ :ـ هـوـ الـمـسـحـ .

- أـخـرـجـ عـبـدـ الرـزـاقـ ،ـ وـابـنـ أـبـيـ شـيـبةـ ،ـ وـابـنـ مـاجـةـ ،ـ عـنـ اـبـنـ عـبـّاسـ ،ـ قـالـ :ـ أـبـيـ النـاسـ إـلـاـ الـغـسلـ ،ـ وـلـاـ أـجـدـ فـيـ كـتـابـ اللـهـ إـلـاـ الـمـسـحـ .

- أـخـرـجـ عـبـدـ الرـزـاقـ ،ـ وـابـنـ جـرـيرـ ،ـ عـنـ اـبـنـ عـبـّاسـ ،ـ قـالـ :ـ الـوـضـوـءـ غـسلـتـانـ وـمـسـحتـانـ .

(١) مـسـنـدـ أـحـمـدـ ١ : ٩٥ .

(٢) مـسـنـدـ الـحـمـيدـيـ : ٢٦ / ٤٧ .

(٣) مـسـنـدـ أـبـيـ يـعـلـيـ ١ : ٢٨٧ / ٢٨٦ - (٣٤٦) وـ ١ : ٤٥٣ / ٣٥٣ - (٦١٣) .

(٤) السنـنـ الـكـبـرـيـ ١ : ٤٤ .

- وأخرج ابن أبي شيبة ، عن عكرمة ، مثله .
 - وأخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، عن ابن عباس ، قال : افترض الله غسلتين ومسحتين ، ألا ترى أنه ذكر التيمم ، فجعل مكان الغسلتين مسحتين وترك المسحتين .

- وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، عن قتادة ، مثله .
 - وأخرج سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، عن أنس ، أنه قيل له : إن الحاجاج خطبنا ، فقال : ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ ﴿وامْسَحُوا بُرُؤْسَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ وأنه ليس شيء من ابن آدم أقرب إلى الخبث من قدميه ، فاغسلوا بطونها وظهورها وعراقيبها .
 فقال أنس : صدق الله ، وكذب الحاجاج ، قال الله : ﴿وامْسَحُوا بُرُؤْسَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ .

قال : وكان أنس إذا مسح قدميه بلهما .

- وأخرج عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، عن الشعبي ، قال : نزل جبريل بالمسح على القدمين ، ألا ترى أن التيمم أن يمسح ما كان غسلاً ، ويُلْقِي ما كان مسحاً^(١) .

وهذه كلّها أحاديث تمتّع بأسانيد هي من أقوى الأسانيد وأصحّها .
 وهكذا لو تناولنا جميع المسائل بالدرس الموضوعي المجرّد عن الميل لتوصلنا إلى مثل هذه النتائج الواضحة .

ولو دخلنا في باب العقائد ، وأول الأصول فيها ، الذي هو أصل «التوحيد» :

لما وجدنا التوحيد الخالص الذي يطمئن له القلب ، ويتنوّق حلاوته إلّا

(١) الدر المنشور ٣ : ٢٨ - ٢٩ عند الآية (٦) من سورة المائدة .

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، إذ لا حيرة بين التشبيه والتعطيل ، ولا اضطراب بين الجبر والتفسير ، لا هذا ولا ذاك ، بل هو التوحيد الحالص الذي ينسجم مع عظمة المخالق جل جلاله ، وينزّه عن كل الأوهام والظنون . ولقد عجبت خطب نهج البلاغة بما يصور أرقى معانٍ للتوحيد وأكملها ، وامتلأت كلمات الإمام زين العابدين عليه السلام في صحفته الرائعة (الصحيفة السجادية) بتلك المعاني .

وإنماً للمعنى فقد انتخينا بعض المقاطع من خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة بخطبة الأشباح ، يروها الإمام الصادق عليه السلام ، فيقول : إن رجلاً أتاه فقال له : يا أمير المؤمنين ، صُف لنا ربنا مثلما نراه عياناً لنزداد له حباً وبه معرفة ، فغضِبَ ونادى : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس حتى غصَ المسجد بأهله ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلَّى على النبي صلى الله عليه وآلـه وسلـم ، ثم قال :

« الحمد لله الذي لا يفره المتنع والجمود ، ولا يُكديه الإعطاء والجُود ... الأول الذي لم يكن له قبْلٌ فيكون شيء قبله ، والآخر الذي ليس له بعْدٌ فيكون شيء بعده ، والرايُّ أنَّا نَسِيَ الأَبْصَارَ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرَكَهُ ... فانظر أيها السائل : فما ذلك القرآن عليه من صفتِه فائتم به واسترضي بنور هدايته ، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ، ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآلـه وسلـم وأئمـة الهدى أثـرـه ، فـكـلـ علمـهـ إلىـ اللهـ سبحانـهـ ... »

هو القادرُ الذي إذا ارْغَتِ الأوهام لتدريـكـ مُنـقـطـعـ قـدـرـتهـ ، وحاولـ الفـكـ المـبـرـأـ من خـطـرـاتـ الوـساـوسـ أنـ يـقـعـ عـلـيـهـ فيـ عـمـيقـاتـ غـيـوبـ مـلـكـوـتـهـ ، وـتـوـلـتـ القـلـوبـ إـلـيـهـ لـتـجـرـيـ فيـ كـيـفـيـةـ صـفـاتـهـ ، وـغـمـضـتـ مـدـاـخـلـ العـقـولـ فيـ حـيـثـ لـاـ تـبـلـغـ الصـفـاتـ لـتـنـاـوـلـ عـلـمـ ذاتـهـ ، رـدـعـهاـ وـهـيـ تـجـوـبـ مـهـاوـيـ سـدـفـ الغـيـوبـ ، مـُتـخلـصـةـ

إِلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرَفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الْاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ ، وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولَى الرُّوَيَاتِ خَاطِرَةً مَنْ تَقْدِيرُ جَلَلَ عَزِيزِهِ . . . فَأَشَهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَهَكَ بِتَبَيَّنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ ، وَتَلَاحِمُ حِقَاقَ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْجَبَةِ لِتَدْبِيرِ حُكْمِكَ ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا يَنْدَدُ لَكَ . . .

كَذَبُ الْعَادِلُونَ ، إِذْ شَبَهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ ، وَنَحْلُوكَ حَلِيةَ الْمَخْلوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَجَزِّاؤُوكَ تَجْزِئَةَ الْمَجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ . . .

وَأَشَهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مَنْ خَلَقَكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ ، وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنْزَلَتْ بِهِ مَحْكَمَاتُ آيَاتِكَ ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَّجِ بَيْنَاتِكَ ، وَإِنَّكَ أَنْتَ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَا فِي الْعُقُولِ فَتَكُونُ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفًا ، وَلَا فِي رَوَيَاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونُ مَحْدُودًا مُصَرَّفًا . . . إِلَى آخر خطبته عليه السلام^(١) .

وَفِي أَصْلِ «النَّبُوَّةِ» مِمَّا بَحْثَنَا لَا نَجَدُ عَقِيَّدَةً تُنْزَهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالرَّسُولُ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ غَيْرُ عَقِيَّدَةِ الشِّيَعَةِ الإِلَامِيَّةِ ، وَأَمَّا عِنْدِ سُواهُمْ فَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا مُحْمَلُونَ بِالْأَخْطَاءِ وَالآثَامِ ! وَهَذَا مَا يُنْفِرُ مِنْهُمْ وَلَا يُقْرَبُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُسْتَقِيمُ إِطْلَاقًا مَعَ كُوْنِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَمْنَاءُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رِسَالَاتِهِ ، وَلَا مَعَ كُوْنِ الْاِقْتَداءِ بِهِمْ أَمْرًا إِلَزَامِيًّا .

إِذْ كَيْفَ يَكُونُ أَمِينًا عَلَى وَحِيِّ اللَّهِ تَعَالَى وَرِسَالَاتِهِ مَنْ يُحْتَمِلُ مِنْهُ الْخَطَا وَالاشْتِيَاءُ ؟ !

أَمْ كَيْفَ يُؤْمِرُ الْعِبَادُ بِالْتَّأْسِيِّ بِهِمْ ، بِكُلِّ أَعْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢) ، و﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

(١) نهج البلاغة - شرح الدكتور صبحي الصالح : ١٢٤ - ١٣٦ - خطبة رقم : ٩١ - .

(٢) المشر : ٧ .

الله أسوة حسنة ^(١).

وكيف يكون ذلك وهم يقعون في الخطأ والاشتباه؟!
أما عصمة الأنبياء، وزناهتهم من الآثام والأخطاء فلا تجدها إلا في عقائد
الإمامية.

والبحث في هذا يطول ..

ولكن أم المسائل في هذا الباب يمكن صياغتها بالسؤال التالي :

- لماذا هذا الإعراض عن فقه أهل البيت عليهم السلام؟!

فهل كان غيرهم من أئمة الفقه أعلم منهم؟

لقد كان رائد مدرسة أهل البيت في الفقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقد عاصره من أئمة الفقه الذين اعتمد فقههم ، وأوقف العمل على فتاواهم : أبو حنيفة ، ومالك بن أنس ، ثم تلامهم الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، فهل كان معاصروه ، أو التابعون له أعلم منه وأفضل؟

قال ابن أبي حاتم : سمعت أبا حاتم يقول : جعفر لا يسأل عن مثله .

وقال : سمعت أبا زرعة ، وسئل عن [حدث] جعفر بن محمد عن أبيه

وسهيل عن أبيه ^(٢) ، والعلاء عن أبيه ^(٣) ، أيها أصح؟

فقال : لا يقرن جعفر إلى هؤلاء ^(٤).

(١) الأحزاب : ٢١.

(٢) قال الذهي : سهيل بن أبي صالح ، الإمام المحدث الكبير الصادق .. حدث عن أبيه أبي صالح ذكره السبان .. وحدث عنه الأعمش ، وربيعة ، وموسى بن عقبة وهم من التابعين .. وكان من كبار الحفاظ .. أشنى عليه الترمذى ، وأحمد ، وابن معين وغيرهم . سير أعلام النبلاء ٥ : ٤٥٨ .

(٣) قال الذهي : العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، الإمام المحدث الصدوق .. حدث عن والده عبد الرحمن صاحب أبي هريرة ، وعن أنس بن مالك .. وحدث عنه : مالك ، وشعبة ، وسفيان ، وابن عيينة .

سير أعلام النبلاء ٦ : ١٨٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٥٧ - ٢٥٨ .

وقال يعقوبي: كان جعفر بن محمد - الصادق - أفضل الناس، وأعلمهم بدين الله .

وكان من أهل العلم الذين سمعوا منه إذا رروا عنه قالوا : أخبرنا العالم^(١) .

وقال ابن خلkan : أبو عبد الله جعفر الصادق ، أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية ، وكان من سادات أهل البيت - عليهم السلام - ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله أشهر من أن يذكر .

وله كلام في صنعة الكيمياء .. وكان تلميذه جابر بن حيان قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق - عليه السلام - وهي خمسة رسائل^(٢) .

وقال أبو جعفر المنصور : إنّ جعفراً كان من قال الله فيه : ﴿ثُمَّ أُورِثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وكان من اصطفى الله ، وكان من السابقين بالخيرات^(٣) .

وقال الذهبي : جعفر الصادق عليه السلام كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور^(٤) .

وسُئل أبو حنيفة : من أفقه من رأيت ؟

قال : ما رأيت أحداً أفقه من جعفر بن محمد .

لما أقدمه المنصور الحيرة بعث إلى ، فقال : يا أبا حنيفة ، إنّ الناس قد

(١) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٨١ .

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٣٢٧ .

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ : ٣٨٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣ : ١٢٠ .

فُتنوا بجعفر بن محمد ! فهَيَّ لِهِ مِنْ مَسَائِلَكَ الصُّعَابَ .
فَهَيَّا لَهُ أَرْبَعينَ مَسَأَلَةً ، ثُمَّ أَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرَ ، وَجَعْفَرُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ ،
فَلَمَّا بَصَرْتُ بِهِمَا دَخَلْنِي لِجَعْفَرِ مِنَ الْهَبِيَّةِ مَا لَا يَدْخُلُنِي لِأَبِي جَعْفَرِ - إِلَى أَنْ قَالَ -
فَقَالَ لِي أَبُو جَعْفَرَ : هَاتِ مِنْ مَسَائِلَكَ .

فَابْتَدَأَتِ أَسْأَلَهُ ، فَكَانَ يَقُولُ فِي الْمَسَأَلَةِ : أَنْتُمْ تَقُولُونَ فِيهَا كَذَا وَكَذَا ،
وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا ، وَنَحْنُ نَقُولُ كَذَا وَكَذَا . فَرِبَّا تَابَعَا ، وَرِبَّا تَابَعَ
أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، وَرِبَّا خَالَقَنَا جَمِيعًا ، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى أَرْبَعينَ مَسَأَلَةً مَا أَخْرَمَ مِنْهَا
مَسَأَلَةً .

ثُمَّ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : أَلِيسْ قَدْ رَوَيْنَا أَنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ أَعْلَمُهُمْ بِالْخَتْلَافِ
النَّاسُ^(١) ؟

فَلِمَّا إِذْنَ لَيُؤْخَذَ الْفَقِهُ مِنْ أَفْضَلِ النَّاسِ ، وَأَعْلَمُهُمْ ، وَأَعْلَمُهُمْ
بِالْخَتْلَافِ النَّاسُ ؟ دَعْ عَنِكَ الْخَلَافَ فِي أَمْرِ الْإِمَامَةِ ، وَإِنْ بَاعُوا مَنْ بَاعُوا وَوَالَّا
مَنْ وَالَّا ، وَلَكِنْ هَذِهِ مَسَائِلُ الْفَقِهِ ، وَالْحَلَالُ وَالْحَرَامُ ، فِيمَا الَّذِي يَمْنَعُ أَنْ نَأْخُذَهَا
مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ !

أَلِيسْ السِّيَاسَةُ هِيَ الَّتِي صَنَعَتْ هَذَا الْجَفَاءَ ؟

أَمْ لَمْ يَصُحَّ التَّعْبُدُ طَبَقَ مَذَهَبِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ؟ !

فَحَتَّى إِذَا لَنْتَفْتَ إِلَى كُلِّ مَا جَاءَ بِحَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ مِنْ أَحَادِيثِ
الْمَصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَشَهَادَاتِ مَعَاشِرِهِمْ ، فَإِنَّ بَيْنَنَا الْيَوْمَ مِنْ
فَنَاوِي الْمَتَأْخِرِينَ مَا يُمْكِنُ اللِّجوَءُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ أَفْتَى شِيوُخُ الْأَزْهَرِ - ابْتِدَاءً مِنْ
الشَّيْخِ مُحَمَّدِ شَلَتوْتَ - بِجُوازِ التَّعْبُدِ طَبَقَ مَذَهَبَ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامِ .
وَلَوْ لَمْ تَكُنِ السِّيَاسَةُ ، وَشَهْوَةُ «الْسُّلْطَانِ» هِيَ الَّتِي صَنَعَتْ هَذَا ، فَهَلْ

(١) سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٥٧ - ٢٥٨ ، تهذيب الكمال ٥ : ٧٩ .

ترى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجفو أهل بيته الأطهار ، وهي ترى فيهم أعلى الفضل ، والشرف ، والسيادة ، والشجاعة ، والعلم ، والفقه ، والكرم ، والحكمة ، وكلّ الفضائل ومكارات الأخلاق ، أترى هذا يكون لولا ذاك ؟

أم يقال : إنّ الشيعة قد كذبوا على أئمّة أهل البيت ؟

إنّ من أغرب ما أرأه يتكرّر تحت ناظري ، وعلى مسامعي هي هذه الدعوى ، التي ما قيلت إلا لأجل قطع الطريق على الباحث أن يبلغ الحقيقة ، وقطع الطريق على الحقائق أن تبلغنا !

دع عنك كلّ ما تقدم ذكره من قصة الوضع في الحديث ، وما مُنِي به أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ومحبيهم من فنون الأذى مدى الأيام ، دع عنك هذا كلّه ، وهبْ أن شيئاً منه لم يكن ، وتعال نواجه هذه الدعوى بالسؤال التالي : إذا كانت هذه الطائفة من المسلمين قد كذبت على أئمّة أهل البيت ، وابتعدت لها طریقاً نسبته إليهم ، فما بال أصحاب هذه الدعوى من طلاب الحقّ لم يأخذوا الصحيح عنهم عليهم السلام ويتمسّكون به ويحفظوه لنا لنعرف فقه أهل بيت نبینا عليه وعليهم الصلاة والسلام ؟!

إن كانوا يتحرّرون الحقّ ، ويولون أهله ، فما باهمل لم يأخذوا دينهم - يأسوله وفروعه - عن إئمّة الهدى ، وزعماء الدين ، ورواد العلم ، والفقه ، والشرف ، والتقوى ؟!

لماذا تركوهم ، وأعرضوا عنهم ، وراحوا يلتمسون العقائد والأصول والفروع وكلّ شيءٍ من هو دونهم بلا ريب ؟!

وليس هذا فقط ، بل إذا رأوا من يحفظ حديثهم عليهم السلام قالوا : هذا راضي . وتركوه !

هذه هي حقيقة تلك الدعوى ، فلو صدقوا فيها زعموا لا تبعوهم وهم يشهدون لهم بالفضل .

وتقديم قول ابن حجر : إن في أحاديث التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيمة^(١) .

وقال : هم معدن للعلوم اللدنية ، والأسرار والحكم العلية ، والأحكام الشرعية ، ولذا حثّ صلّى الله عليه وآلـه وسـلم على الاقتداء والتمسك بهـم ، والتعلـم منـهم ، وقال : « الحمد لله الذي جعل فـيتـنا الحـكـمةـ أـهـلـ الـبـيـتـ »^(٢) .

فـلـمـاـذـاـ هـذـاـ إـلـإـ عـرـاضـ عـنـهـمـ ،ـ وـ التـمـسـكـ بـمـنـ هوـ دـوـنـهـمـ فـيـ الـدـرـجـاتـ ؟ـ !ـ

أـكـتـبـ هـذـهـ الـكـلـمـاتـ وـتـرـدـدـ فـيـ ذـهـنـيـ مـقـولـةـ أمـيرـ المؤـمنـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ ،ـ الـقـيـامـةـ

يـقـولـ فـيـهـاـ :

« فـأـيـنـ تـذـهـبـونـ ؟ـ وـأـنـ تـؤـفـكـونـ ؟ـ وـالـأـعـلـامـ قـائـمـةـ ،ـ وـالـنـارـ مـنـصـوبـةـ ،ـ

فـأـيـنـ يـتـاهـ بـكـمـ ؟ـ !ـ

وـكـيـفـ تـعـمـهـوـنـ وـبـيـنـكـمـ عـتـرـةـ نـبـيـكـمـ ؟ـ وـالـأـعـلـامـ قـائـمـةـ ،ـ وـالـنـارـ مـنـصـوبـةـ ،ـ

وـأـلـسـنـةـ الصـدـقـ^(٣) ؟ـ !ـ

ثـمـ أـلـاـ يـكـفـيـنـاـ حـجـةـ لـلـتـمـسـكـ بـهـمـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ أـنـهـمـ الشـقـلـ المـلـازـمـ لـلـقـرـآنـ ،ـ

فـلـاـ هـمـ يـفـرـقـانـ ،ـ وـلـاـ يـضـلـ مـتـمـسـكـ بـهـمـ أـبـداـ ؟ـ

وـبـعـدـ ،ـ فـنـحـنـ مـسـؤـلـوـنـ غـدـاـ عـنـ ذـلـكـ :ـ «ـ فـانـظـرـواـ كـيـفـ تـخـلـفـوـنـ فـيـهـمـاـ »ـ

«ـ اذـكـرـكـمـ اللهـ فـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ ،ـ اذـكـرـكـمـ اللهـ فـيـ أـهـلـ بـيـتـيـ »ـ ؟ـ

-ـ وـأـنـهـمـ هـمـ الـذـينـ وـصـفـهـمـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ بـسـفـيـنةـ

نجـاهـ هـذـهـ الـأـمـةـ «ـ فـمـنـ تـعـلـقـ بـهـاـ نـجـاـ ،ـ وـمـنـ تـخـلـفـ عـنـهـاـ غـرـقـ »ـ ؟ـ

-ـ وـهـمـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ «ـ أـمـانـ لـأـهـلـ الدـنـيـاـ ،ـ فـإـذـاـ خـالـفـتـهـمـ قـبـيلـةـ مـنـ الـعـربـ

اـخـتـلـفـواـ ،ـ فـصـارـواـ حـزـبـ إـبـلـيـسـ »ـ .ـ

(١) (٢) الصواعق المحرقة : ١٥١.

(٣) شرح نهج البلاغة - للدكتور صبحي الصالح : ١١٩ - الخطبة رقم ٨٧ - .

فماذا بعد؟

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

« وَنَاظِرُ قَلْبِ الْلَّيْبِ بِهِ يُبَصِّرُ أَمَدَهُ ، وَيُعْرَفُ غَورَهُ وَنَجْدَهُ .

دَاعٍ دَعَا ، وَرَاعٍ رَعَى ، فَاسْتَجِيبُوا لِلْدَّاعِي ، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي :

نَحْنُ الشَّعَارُ وَالْأَصْحَابُ ، وَالخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ ، وَلَا تُؤْتِنِي الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا ، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً .

فَلِيَصُدُّقَ رَائِدُ أَهْلَهُ ، وَلِيُحَضِّرَ عَقْلَهُ .

وَلِيُكُنَّ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِيمٌ ، وَإِلَيْهَا يَنْتَلِبُ .

فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأًا عَمَلَهُ أَنْ يَعْلَمْ : أَعَمَلْهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ !

فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضِيٌ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقْفٌ عَنْهُ .

فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ ، فَلَا يُزِيدُهُ بَعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ !

وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ .

فَلِيَنْظُرْ ناظِرٌ : أَسَائِرُ هُوَ ، أَمْ راجِعٌ ! »^(١).

شَرَحُ اللهِ صُدُورُنَا لِلْحَقِّ أَجْمَعِينَ ..

وَالْحَمْدُ لِللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ..

١٦ مُحَرَّمُ الْحَرَامِ ١٤١٢

(١) نهج البلاغة - الدكتور صبحي الصالح - ٢١٥ - ٢١٦ (خطبة : ١٥٤).

الفهارس

- * **الأيات**
- * **الآحاديث**
- * **الاعلام**
- * **الأشعار**
- * **المصادر**
- * **المحتوى**

فهرس الآيات القرآنية

الآية		رقمها	السورة	الصفحة
	أفلا تعقلون	٧٦، ٤٤	البقرة	٢٧٣
	ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه	٢٠٤	البقرة	٢١١، ٢١٠
	وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها ويملك الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد	٢٠٥	البقرة	٢١١
	ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاته الله إن الله اصطفى آدم ونوحًا وأل إبراهيم وأل	٢٠٧	البقرة	٢١١
	عمران على العالمين	٣٣	آل عمران	١٨٦
	ذريّة بعضاً من بعض والله سميح عليم ربنا أمّنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا	٣٤	آل عمران	١٨٦
	مع الشاهدين فمن حاججك فيه من يُعَدِّ ما جاءك من العلم	٥٣	آل عمران	١٦٥
	قل تعالوا ندع أبناءنا قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم	٦١	آل عمران	٣٥
	أفلا تعقلون واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا	٦٥	آل عمران	٢٧٣
		١٠٣	آل عمران	٢٤

			و لا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءكم
٢٤	آل عمران	١٠٥	و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
٢٩٨	آل عمران	١٤٤	أفن مات أو قتل انقلبتم يا أئمها الذين آمنوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول
٢٦٩، ٥٤، ٥٠	النساء	٥٩	و أولى الأمر منكم
٣٢٥، ٣٢٣	النساء	١٦٥	لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل
١٤٨، ١٤٧	النساء	١٧٦	ويستفونك قل الله يفتיקم في الكلالة
١٤٤، ٩٦، ٩٤	المائدة	٣	اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
١٤٩، ١٤٨، ١٤٥	المائدة	٣	اليوم أكملت لكم دينكم
٣٣٠	المائدة	٦	اغسلوا وجوهكم وأيديكم
٣٣٠، ٣٢٩	المائدة	٦	وامسحوا برازو سكم وأرجلكم
١٣١، ١٢٨، ٥٠	المائدة	٥٥	إيّا وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا
٥٠	المائدة	٥٦	ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا
١٠٦، ٨١	المائدة	٦٧	يا أئمها الرسول يبلغ ما أنزل إليك
١٣٤، ١٣٣			والله يعصمك من الناس
١٣٤، ٨٤	المائدة	٦٧	وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهـم
١٣٧، ١٣٦			رضي الله عنـهم ورضوا عنهـ
٢٩٨	المائدة	١١٧	أفلا تعقلـون
٢٣٦	المائدة	١١٩	ولا تسبـوا الذين يدعـون من دون الله
٢٧٣	الأنعام	٣٢	
١٤١	الأنعام	١٠٨	

٧٥	الأعراف	١٤٢	وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي
١٧٨	الأعراف	١٥٠	ابن أمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي
٣٩	الأعراف	١٥٨	وَاتَّبَعُوهُ لَعْلَكُمْ تَهَذَّدُونَ
٢٧١	الأعراف	١٦٩	أَفَلَا تَعْقِلُونَ
وَاتَّلَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَا آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا			
٢٩٨	الأعراف	١٧٦ - ١٧٥	فَأَتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ
إِنَّ وَلِيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ بِتَوْلِي			
١٩٧	الأعراف	١٩٦	الصالحين
٢٨	الأنفال	٦٣	وَأَنْفَقُوا مِنْ قُلُوبِهِمْ
٢٧٣	يونس	٣	أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
٢٧٣	يونس	١٦	أَفَلَا تَعْقِلُونَ
٤٩	يونس	٣٥	يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ
فَاجْمِعُوهُ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ			
١٩٧	يونس	٧١	عَلَيْكُمْ غَنَّةٌ
٢٤٥	يونس	٩١	آلَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ
٢٧٣	هود	٢٤	أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيَهَا وَمَرْسِيَهَا إِنَّ			
١٥٤	هود	٤١	رَبِّي لِنَفْرَرِ رَحِيمٍ
١٥٤	هود	٤٢	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجَبَالِ
١٥٥	هود	٤٣	سَأَوَيْ إِلَى جَبَلٍ يَعْصُمِنِي مِنَ الْمَاءِ
٢٧٣	هود	٥١	أَفَلَا تَعْقِلُونَ

٣٠٠	يوسف	١٨	فَصِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَى عَلَى مَا تَصْفُونَ
٢٧١	النحل	١٧	أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
٢٥٨	النحل	٩٦	كَالَّتِي نَقْضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قَوْةٍ أَنْكَاثًا
٥٠	الاسراء	٧١	يَوْمَ نَدْعُ كُلَّ أَنْسَى إِلَيْهِمْ يَأْمَمُهُمْ
١٧١	طه	٢٥	رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي
١٣٠	طه	٣٥ - ٢٥	رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
٧٥	طه	٣٢ - ٢٩	وَاجْعَلْ لِي وزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي
١٣٠	طه	٣٦	قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَإِنِّي لِفَقَارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ
١٥٤	طه	٨٢	اهْتَدِي
٢٧٣	المؤمنون	٨٥	أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
٤٦	النور	٣٦	فِي بَيْوِتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيَذْكُرُ فِيهَا اسْمَهُ
٣٩	النور	٦٣	فَلَا يُحِدِّرُ الذِّينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ
٧٥	الفرقان	٣٥	هَارُونَ وَزِيرًا
٣١٢	الفرقان	٦٣	وَعَبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُنَّا
٨٣، ٨٠، ٧٩	الشعراء	٢١٤	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
٣٠٦	الشعراء	٢١٥	وَأَخْفَضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ أَتَيْكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
٢٣	النمل	٦٤	قُلْ هَاتُوا بِرَهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
٣٠٦	القصص	٦٨	وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْحِيَّةُ تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ
١٦٩	القصص	٨٣	عَلَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادُ

٣٠	العنكبوت	٦٩	والذين جاهدوا فينا لنهديتهم سبلا
٢٧	الروم	٣٢ - ٣١	منبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة
٤٩	السجدة	٢٤	وجعلنا منهن أئمة يهدون بأمرنا
١١٤	الأحزاب	٦	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
٢٩٩، ٣٠، ٢٩	الأحزاب	٢١	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
٣٠٦، ٣٨، ٣٧	الأحزاب	٢٣	إما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وما كان المؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله
٢٦٩	الأحزاب	٣٦	أمراً أن يكون لهم الخيرة ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا
٢٩٢	الأحزاب	٥٣	أزواجه من بعده أبداً
٤٠	الأحزاب	٥٦	إن الله وملائكته يصلون على النبي
٢٢٨	الأحزاب	٥٧	إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
١٤١	الأحزاب	٥٩	يا أيها النبي قل لأزواجك
٢٣٤	فاطر	٢٢	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا
٤٥	يس	٢٠	يا قوم اتبعوا المرسلين
١٢٤	الصفات	٢٤	وقفوهم إنهم مسؤولون
١٢٤	الصفات	١٥٥	أفلا تذكرون
٤٥	غافر	٢٨	أنقتلون رجالاً أن يقول ربى الله وما يستوي الأعمى وال بصير والذين آمنوا
٢٣٧	غافر	٥٨	وعملوا الصالحات
٣٩	الشوري	٢٣	قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى
٢٧١	الجائحة	٢٣	أفلا تذكرون

٣٠٥	محمد(ص)	٩	ذلك بأنهم كرهو ما أنزل الله فأحبط أعمالهم
١١٠	محمد(ص)	١١	ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا
٢٧٣	محمد(ص)	٢٤	أفلا يتدبرون القرآن
٢٣٧	الفتح	١٠	إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ
١٤٢	الفتح	٢٧	المسجد الحرام إِن شاء اللَّهُ
٢٢٣	الفتح	٢٩	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
٢٣٦	الفتح	٢٩	كَزَرَعْ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَازَرَهُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ
٢٣٦	الفتح	٢٩	مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدِي اللَّهِ
٢٦٢	الحجارات	١	وَرَسُولِهِ وَاقُوا اللَّهُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ
٢٩١,٢٦٣	الحجارات	٢	صوت النَّبِيِّ
٢٦٣	الحجارات	٤	إِنَّ الَّذِينَ يَنادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرَاتِ
٦٧	النَّجْم	٣	وَمَا يَنْطَقُ عَنِ الْهَوْيِ
٦٨,٦٧	النَّجْم	٤	إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى
٢٣	النَّجْم	٢٣	إِنْ يَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوِي الْأَنْفُسُ
١١٣,١١٢,١١١	ال الحديد	١٥	مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مُوَلَّاكُمْ
١١٥,١١١,١١٠	ال الحديد	١٥	هِيَ مُوَلَّاكُمْ
٢٣٦	المجادلة	٢٢	رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
٢٣٦	المجادلة	٢٢	أُولَئِكَ حَزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حَزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

٣٢٢	الحشر	٧	وَمَا آتاكُم الرَّسُول فَخُذُوهُ
٣٠٦	القلم	٤	وَأَنْكَ لَعْلَى حُلُبٍ عَظِيمٍ
			فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرًّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَلَقَاهُمْ نَصْرًا
٤١	الدُّهْر	١٢-١١	وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا
٢١٣	التَّكْبِير	٢٩	وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الحدث
٢٥١	آخركم موتاً في النار
٢٦٢	اثنتيني أكب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي
٢١٢	اثنتيني بدواءٍ وبياضٍ أكتب فيه لأبي بكر ...
٢١٢	اثنتيني بدواءٍ وبياضٍ أكتب لكم ...
٢٦١	اثنتيني بدواءٍ وقرطاسٍ أكتب لكم ...
٥٣	اثنا عشر ، كعدة نقباء بنى إسرائيل
٨٣	اجلس (قالها لعلي عليه السلام في حديث الدار برواية)
٢٩٦، ٢٧٤	احفظوني في أصحابي
٣٢٢	ادعوا لي حبيبي
٩٩	اذا التقىتم فعلى على الناس
٢٩٣	اذا بويح لخلفيتي فاقتلونا الآخر منها.
٢٨٠	أرأيت لو أنّ رجلاً كان له خيل ...
٢٥٦	ارجعي وراءك ، والله لا يبغضه أحد ...
١٢٦	استوصوا بأهل بيتي خيراً فاتني أخاصمكم ...
٢٨٥، ٢٧٤، ١٠	أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم
٨٠	اصنع لي شاة بصاع من طعام ...
٢٦٨	أغد على بركة الله (قاله لأسمة بن زيد في بعثته)

- ٢٨٠ أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي...
 ٢٢١ لا أدلكم على خير الناس جداً وجدة...
 ١٠١ لا هل بلغت...
 ٣٢٥ ألا وان أثنتكم وفديكم الى الله
 ٢٩٨ ألا وانه سبّحاء برجال من أمتي
 ٧٧ الحق، فرداً عليّ ابا بكر
 ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١٠٤، ٩٨، ٩٢ ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم
 ٩٣ ألسنت تعلمون أيي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
 ١٣٦ الله عزّ وجلّ. (في ردّه على القائل: من يمنعك مني)
 ١٣٦ الله يمنعني منك
 ٤٢ اللهم انتي يا حب الخلق اليك ليأكل معي هذا الطير.
 ٢١٣ اللهم اجعل الخليفة بعدي علي...
 ٢٨٠ اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة.
 ١٠١، ٩١ اللهم اشهد
 ١٣٠ اللهم آن أخني موسى سالك...
 ٢٩٩ اللهم اني أبراً اليك مما صنع خالد.
 ٢٢٩ اللهم عادٍ من عاداهم، ووالٍ من والاهم.
 ٩٣ اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه.
 ٣٧ اللهم هؤلاء أهل بيتي.
 ٣٨ اللهم هؤلاء أهلي.
 ١٠٥، ١٠١، ٩٦، ٩٤، ٩٢ اللهم والٍ من والاه، عادٍ من عاداه.
 ٢٤٩، ١٤٣، ١١٨، ١١٦، ١٠٧

- أما إنك ستلقى بعدي جهاداً...
١٨٩
- أما أني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه..
٢٥٦
- أما أنت يا علي أنت صفيبي وأميني
٧٦
- أما بعد، ألا أيها الناس، إنما أنا بشر يوشك...
٧٢،٦٨
- الأنباء عند الله ثلاثة.
٢١٤
- ان تعطونا في امرته فقد كنتم تعطون
٢٦٨
- في امرة أبيه...
٢٠٩
- إن آل أبي طالب ليسوا...
١٩٠
- إن الأمة ستغدر بك بعدي...
٢٨٤
- إن أصحابي كالنجوم في السماء...
٣٠٤
- إن سالماً شديد الحب لله تعالى.
٣٠٥
- إن العلماء اذا حضروا ربهم...
١٢١
- إن علياً مني وانا منه وهو ولي...
٢٢٢ - ٢٢١
- إن الله اطلع على أهل الدنيا...
٣٠٠
- إن الله أمرني أن احب أربعة...
٢١٣
- إن الله جعل أبا بكر خليفي على دين الله...
٩٣
- إن الله عز وجل مولاي، وانا ولي كل مؤمن...
٢٠٩
- إن لكلنبي حرماً...
٢١٣
- إن لكلنبي خليلاً من أمتي...
٣٠٤
- إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن
١٢١،٧٩
- إن هذا أخي ووصي وخليفي...
٣٢٧،٥٣
- إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم...
.

- ٢٢٩ أنا حرب لمن حاربتم...
١٥٢ أنا دار الحكمة وعلى بابها.
٢١٢ أنا راضٌ عنك، فهل أنت عنِي راض.
٢٣٨ أنا فرطكم على الحوض، ليرفمنَ إلَّي رجال...
٢٣٨ أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب...
٢٣٩ أنا فرطكم على الحوض، لأنَّا زَأْنَ عنْ أقواماً...
٢٢٠، ١٥٢ أنا مدينة العلم وعلى بابها.
١٨١ أنا عشر الأنبياء لا نورث...
٢٧٩ أنبُونِي بأفضل أهل الإيمان إيماناً...
٨١ أنت؟ (قالها علَيَّ في حديث الدار برواية)
١٧٨، ٨٤ أنت أخي في الدنيا والآخرة...
١٧٩ أنت أخي وأنا أخوك...
٣٠٧، ٧٤ أنت مَنِي بمنزلة هارون من موسى...
٧٦ أنت مَنِي وأنا منك.
١٢٢ أنت ولِيٌ كل مؤمن بعدي
١٢١ أنت ولِيٌ كل مؤمن بعدي ومؤمنة
١٢١ أنت ولِيٌ في كل مؤمن بعدي
٨٢ أنت ياعليٌ، أنت يا علَيَّ (في حديث الدار برواية)
٢٧٩ أنتم اصحابي، ولكنَّ اخوانى الذين...
٢١٣ أنتما وزيراي في الدنيا والآخرة
١٣٧ انصرفوا إلى رحالكم فإنَّ الله قد عصمني
٢٦٨ أنفذوا بعثُ أُسَامَة

- | | |
|-------------------|--|
| ٣٧ | إِنْكَ عَلَىٰ خَيْرٍ (قالَهُ لَأُمَّ سَلَمَةَ) |
| ١٠١، ٩١ | إِنْكُم مَسْؤُلُونَ فَلِيَلْعُمُ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبُ |
| ١١٩ | إِنِّي أَتَمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ أُدْعِي... . |
| ٢٠١ | إِنَّهُ أَمِينٌ هَذِهِ الْأَمَةِ |
| ٢٨٩ | إِنَّهُ عَاصِرٌ عَشْرَ عَشْرَةً فِي الْجَنَّةِ |
| ١٨٩ | إِنَّهُ لَنْ يَمُوتُ إِلَّا مَقْتُولًا... . |
| ٣٢٩ | إِنَّهَا لَا تَمِنُ صَلَاتَهُ أَحَدٌ كُمْ حَتَّى... . |
| ٢٢٩ | إِنَّهُمْ مُنِيَّ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثَوْا بَعْدَكِ... . |
| ٢٣٩ | إِنِّي أَتَيْهَا النَّاسَ فِرْطَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ... . |
| ٣٢٦ | إِنِّي تَارِكٌ فِيمَكُمُ التَّقْلِينِ. |
| ٣٢٦، ٧٢ - ٦٨ | إِنِّي تَارِكٌ فِيمَكُمُ الْخَلِيفَتَيْنِ. |
| ٣١٢، ٢٦٤، ٧٢ - ٦٨ | إِنِّي تَارِكٌ فِيمَكُمْ مَا أَنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا |
| ٧٠ | إِنِّي سَأَلْتُ ذَلِكَ لَهْمَاءً، فَلَا تَقْدِمُوهُمَا فَتَهْلِكُوهُمَا... . |
| ١٦٤ | إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مَا أَنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا... . |
| ١٠٦ | إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيمَكُمُ التَّقْلِينِ... . |
| ١٥١ | أُوحِيَ إِلَيَّ فِي عَلَيِّ ثَلَاثَ... . |
| ١٢٦ | أُوصِي مِنْ آمِنِ بَيِّ وَصَدِيقِي |
| ٢١٥ | أُولُو هَذِهِ الْأَمَةِ وَرُوَادُهَا عَلَى نَبِيِّهَا... . |
| ٨٢، ٨٠ | إِيَّكُمْ يَقْضِي عَنِّي دَيْنِي... . |
| ٨٠ | إِيَّكُمْ يُؤَازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ... . |
| ١١٥ | إِيَّمَا امْرَأَةٌ نُكْحَتْ بِغَيْرِ اذْنِ مُولَاهَا |
| ٢٢٩ | أَنْبَنْ أَبُو الْحَسْنِ؟ |

..... منهاج في الانتهاء المذهبى	
١٠٣، ١٠٢	أيتها الناس، احفظوني في أصحابي وأصحابي...
١٠٢	أيتها الناس، ارفعوا المستنكم عن المسلمين...
١٠٢	أيتها الناس، ان أبا يكر لم يسوئني فقط...
١٠٧	أيتها الناس، أتي تارك فيكم أمرین
٩٢	أيتها الناس، أتي فرطكم على الحوض.
٦٩	أيتها الناس، أتي فرطكم وأنتم واردي...
٢٣٩	أيتها الناس، بينما أنا على الحوض...
٩٨	أيتها الناس، لا تشکوا عليه...
٩٢	أيتها الناس، من ولیکم...
٢٥١	بع نخلک من هذا...
٢٨٠	بل أنتم أصحابي ، وآخوانی الذين لم يأتوا بعد ...
٢٤٠	بلی ، ولكن لا أدری ما تحدثون بعدي.
٢٧٣	تفگر ساعة خیر من قیام ليلة
٢٨٣	تقتلک الفقة الباعية
٩٢	الشفل الأکبر كتاب الله...
٢٦٨، ٢٦٧	جهزوا جیش اسامة، لعن الله من تخلف عنه
١٣٦	حال الله بينك وبين ما تُرید.
٢٢٨	الحسن والحسین ابني، من أحبهما أحبّني ...
١٩٥	حسین متی، وأنا من حسین ...
٣٣٧	الحمد لله الذي جعل فینا الحکمة أهل البيت
٢٥٧	خاصف النعل.
٢١٣	خدوا شطر دینکم عن الحمیراء.

٣٥٥	
٣٢٧	الخلفاء بعدي اثنا عشر ...
٢٧٤، ١٠	خير القرون قرنٍ ...
٢٨٥	دعوا لي أصحابي .
٢٦٢	دعوني فالذى أنا فيه خير .
٢٩١	رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً
١٨٣، ١٨٢	رضا فاطمة من رضاي ...
٤٥	السبق ثلاثة ...
٤٤	سدوا الأبواب الآ باب عليّ
٢٤٧	سيُقتل بعدراء أناس يغضب الله لهم ...
٢٠١	شهدت قتل الحسين آنفًا
٤٥	الصديقون ثلاثة ...
١٩٠	ضيائين في صدور أنفاس ...
٢٧٨	طوبى لمن آمن بي ورأني ...
٢٧٨	طوبى لمن رأني وآمن بي، ثم طوبى ...
١٢٩	على اي حال أعطاك
٤٢	علّمني رسول الله ألف باب ...
١٥٠	عليّ أمير البررة ...
٣٠٠	عليّ منهم ... وأبو ذر ...
٨٢	عليّ مولى من كنت مولاه
٣٩	عليّ وفاطمة وابنها
٢٢١	عليكم بالحسن والحسين
٢٥١	فاترك لي هذا النخل ولك الجنة

- فإذا خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا...
٣٣٧، ١٥٦
- فأشتر منه بستانه.
٢٥١
- فاطمة بضعة متى...
٢٢٨، ٣٩
- فان وصي ووارثي...
٩٠
- فانظروا كيف تختلفونى فيما
فأنت متى وأنا منه، وهو وليكم بعدي.
٣٣٧
- فأنتهم يأتون يوم القيمة غرّ محجّلين...
١٢١، ١٠٠
- فأياكم بيايني على أن يكون أخي...
٢٨٠
- فخذ نخلاً مكان نخلك
٢٥١
- فلا ترجعوا بعدي كفاراً...
٢٣٨
- فلا تقدموهم فتهلكوا...
١٩٥
- فمن كنت مولاه فعلّي مولاه...
١٠٥، ٩٢
- فهل أعطاك أحد شيئاً.
١٢٨
- في سلام من دينك (قاله لعلي (ع) حين أخبره أنه مقتول)
قاتله وسالبه في النار (في عمّار بن ياسر).
١٨٩
- قام من عندي جبريل فحدّثني أن الحسين يُقتل...
٢٩٥
- قل ببركة الله تعالى (قاله لحسان بن ثابت يوم غدير خمّ).
٢٠٠
- قولوا: اللهم صلّى على محمدٍ وعلى آل محمد...
٩٤
- قوموا. (قالها للصحابية حين اختلفوا عند
أمره: انتوني بدواه وبياض)
٤٠، ٣٩
- قوموا عنّي، لا ينبغي عندي التنازع.
٢٦٢
- كانني دعّيت فأجّيب، وأتّي تارك فيكم الثقلين...
٢٦١
- ٩٣

٢٥٧ كاتني قد دعّيت فأجيب... كتاب الله وستني.
١٠٦	كتاب الله وعترتي أهل بيتي.
٧٢، ٧٠	كنت اذا سألت رسول الله (ص) اعطاني... على (ع).
١٩٥	لأعطيَنَ الرَايَةَ غَدًّا... لا أُشْبِعَ اللَّهَ بِطْنَكَ.
٤٢	لاتقدموهم فتهلكوا.
٣٢٠	لا ترجعوا بعدي كفَارًا... لا تسبوا أصحابي... لا تنفع في علي... لا تكوني التي تبحث كلاب الحوائب.
٢٢٥	لا طاعة في معصية الله لا ها الله لاتجتمع ابنة ولد الله... لا، ولكن أمرت الآية يؤذني عني... لا، ولكن أمرت أن لا يبلغها... لا، ولكن خاصف النعل.
٣٢٧	لا يبلغ عنِي إلا أنا أو رجل مني. لا يحجَّ بعد العام مشرك... لا يزال الدين قائماً... لتُسلِّمَنَ أو لا بعثَنَ عَلَيْكُمْ رجلاً مُنِي... لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْهَا.
٩٠	لكل نبيٌّ وصيٌّ ووارث... لَا تَرْجِعُنَ الْمُهَاجِرَاتِ.
١٠٠	لَا تَرْجِعُنَ الْمُهَاجِرَاتِ.
٢٥٧	لَا تَرْجِعُنَ الْمُهَاجِرَاتِ.
٣٢٤	لَا تَرْجِعُنَ الْمُهَاجِرَاتِ.
٢٠٩	لَا ها الله لاتجتمع ابنة ولد الله... لَا، ولكن أمرت الآية يؤذني عني... لَا، ولكن أمرت أن لا يبلغها... لَا، ولكن خاصف النعل.
٣٢٠	لَا ها الله لاتجتمع ابنة ولد الله... لَا، ولكن أمرت الآية يؤذني عني... لَا، ولكن أمرت أن لا يبلغها... لَا، ولكن خاصف النعل.
٧٧	لَا ها الله لاتجتمع ابنة ولد الله... لَا، ولكن أمرت الآية يؤذني عني... لَا، ولكن أمرت أن لا يبلغها... لَا، ولكن خاصف النعل.
٣٢١، ٣٠٧	لَا، ولكن خاصف النعل.
٧٨	لَا يَرْجِعُنَ الْمُهَاجِرَاتِ.
٧٧	لَا يَرْجِعُنَ الْمُهَاجِرَاتِ.
٥٣	لَا يَرْجِعُنَ الْمُهَاجِرَاتِ.
٣٢١	لَا يَرْجِعُنَ الْمُهَاجِرَاتِ.
١٩٠	لَا يَرْجِعُنَ الْمُهَاجِرَاتِ.

- ٤٣ لَمْ رددتَ؟ (قاله لأنس في حديث الطير المشوى).
- ٢٢٩ لَوْ أَنْ رجلاً صُفِنَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ...
- ١٠ لَوْ أَنْفَقْتُ أَحَدَكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ...
- ٢١٢ لَوْ كُنْتَ مُتَخَذِّداً خَلِيلًا لَا تَخْذُنَتْ أَبَا بَكْرٍ...
- ٢١٣ لَوْ لَمْ أُبَعِثْ فِيكُمْ لَبُثُّ عَمَرٍ.
- ٢٨٥ لِيُذَادَنَ بِرِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٢٣٩ لِيُرَدَّنَ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِنْ صَحْبِيِّ...
- ٢٥٩ لَبِسَ بِهِ زَهْرٌ، لِتَقَاتَلَنَّهُ وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ.
- ٤٣ مَا أَنَا انتَجِيَتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ انتَجَاهُ.
- ٧٨ مَا انتَجِيَتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ انتَجَاهُ.
- ٣٠١ مَا تَرِيدُونَ مِنْ عَلَيَّ؟
- ٤٢ مَا حَبْسَكَ عَنِّي؟
- ٢١٤ مَا نَفِيَ الْجَنَّةُ شَجَرَةً إِلَّا مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ...
- ٣٠١ مَا لَكُمْ، وَمَا لِي؟! مَنْ آذَى عَلَيَّ فَقَدْ آذَانِي.
- ٣٢٤ مَا لَمْ يُؤْمِرْ بِمَعْصِيَةِ...
- ١١٤ مَا مِنْ مُؤْمِنٌ إِلَّا وَأَنَا أُولَئِكَ بِهِ...
- ١٥٣ مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِيِّ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحِ...
- ١٥٤ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحْبَبَ
- ١٨٢ الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وَلَدِهِ.
- ١٥٠ مَرْحَباً بِسَيِّدِ الْمُسْلِمِينَ...
- ٢٢٩،٢٢٨ مَنْ آذَى عَلَيَّ فَقَدْ آذَانِي
- ٢٢٧ مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ اسْتَحْلَّ مَحَارِبِي.

٣٥٩	الفهارس
٢٩٣	من أتاكم و أمركم جمّع على رجل واحد ...	
١٢٧	من أحب أن يحيا حيّاتي ...	
١٢١	من أطاعني فقد أطاع الله ...	
٢٩٢	من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ...	
١٩٦	من رأى سلطاناً جائراً ...	
٢٢٨	من سبّ علياً فقد سبّي ...	
١٢٨	من سره أن يحيا حيّاتي ...	
٩٣	من كان الله و رسوله ولّيه فهذا ولّيه ...	
٢٩٤، ٢٢٧	من كذب علي متممداً فليتبوا ...	
١٠٧، ٩٨، ٩٦، ٩٥، ٤٣	من كنت مولاه فعلّي مولاه	
٣١١، ١٧٩، ١٢٣، ١١٩		
٣٠٩	من كنت مولاه فهذا على مولاه ...	
١٠٧	من كنت مولاه فهذا ولّيه ...	
٩٣	من كنت ولّيه فهذا ولّيه	
٥١	من مات بغير أمام ...	
٣٢٣، ٥١	من مات ولم يعرف أمام زمانه ...	
٣٢٣، ٥١	من مات وليس عليه أمام ...	
٣٢٣، ٥٢	من مات وليس في عنقه بيعة ...	
١٥١	من هذا يا أنس؟	
٣٠٠	من يعاد عماراً يعاده الله.	
٨١	من يقضى عنّي ديني ...	
	مهما أُتيتكم من كتاب الله فالعمل به	

- منهج في الانتهاء المذهبى ٣٦٠
- ٢٨٤ لا عذر لأحد في تركه...
النجوم أمان لأهل الأرض...
نحن أهل البيت اختار الله لنا الآخرة.
نعم، قوم يكعونون من بعدي يؤمّنون بي ولم يروني...
نعم، من أفضّلها. (في جوابه (ص) لسائل عن
بيت علي (ع) أهوا من البيوت التي أذنَ الله أن تُرفع
هؤلاء أشهد عليهم، (قاله في شهداء أحد).
هذا مد الحسين وأصحابه، لم أزل أتفقهه...
هل بلغت؟ اللهم اشهد.
ملموا أكب لكم كتاباً...
هم كذلك، ويحقّ لهم ذلك...
هو ذلك.
وإثنا مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة...
وأني سائلكم غالباً عن الثقلين...
وتركت فيكم ما ان اعتصمت به فلن تضلوا...
وددت أنا قد رأينا أخواننا.
وددت أني لقيت أخوانني.
والذي نفس محمد بيده أن على الأرض مؤمن
الآ وأنا أولى به...
﴿وقفوا هم أنتم مسؤولون ﴾ عن ولاية علي.
الولد للفراش، وللعاهر الحجر.
ولقد صلت الملائكة عليّ وعلى عليّ...
١١٤
١٢٤
٢٤٧
٢١٥

- ٢٨٨ ولكلّ نبِيٍّ صاحب سرّ...
- ٩٩ وما تريدون من عليّ...
- ١٥١ وما يمنعني وأنت تؤدي عنّي...
- ١٠٠ وهو ولَّكم بعدي
- ٩٠ ووصيّي خير الأوصياء وهو بعلك.
- ٣٠٠ يا أبا بكر لعلك أغضبتم؟
- ٢١٣ يا أبا الحسن أحبهما...
- ١٥١ يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين...
- ٩٨ يا بُريدة، ألسْت أولى بالمؤمنين من أنفسهم...
- ٧٩ يا بني عبد المطلب والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه...
- ٩٠ يا سلمان من كان وصيّ موسى؟
- ٢٠٨ يا عائشة إن هذين يموتان...
- ١٢٦ يا عليّ أنت تبيّن لأمّتي...
- ٢٢٨ يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك...
- ١٥٤ يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم...
- ٥٣ يكون بعدي اثنا عشر أميراً...

فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
آدم	٢٠٧، ٢٠٦، ١٨٦
الألوسي	١١٩، ١١٨، ١٠٧، ١٠٦
أبراهيم عليه السلام	١٣٤، ١٢٨، ١٢٠
ابراهيم التببي	١٨٦، ٤١
أبي بن كعب	٢٤٨
ابن الأثير: الجزري	١٧٦
أحمد بن حنبل	٢٩٣، ٢٦٦، ١٣١
أحمد بن سعيد	٨١، ٧٧، ٧٢، ٦٨، ٢٦، ٥٣
أحمد بن صالح	٢١٩، ٢١٢، ٢٠٥، ٩٨، ٩٠
أحمد بن عبد الله بن أحمـد النـيـري	٢٨٢، ٢٦٢، ٢٣٩، ٢٢٤
أحمد بن عبد الله بن قيس المروزي	٣٢٩، ٣٠٠، ٢٩١
أحمد بن سيـارـ بنـ آـيـوب	٢١٩
أحمد بن كامل	٨١
أحمد بن محمد بن رمـيـحـ النـسوـيـ:ـ أبوـ سـعـيدـ	٩٦
أحمد بن سعيد	٢٨٥
أحمد بن محمد بن رمـيـحـ النـسوـيـ:ـ أبوـ سـعـيدـ	١٤٦
أحمد بن محمد بن رمـيـحـ النـسوـيـ:ـ أبوـ سـعـيدـ	٢١٩

٢١٩	أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام
١١٤	الأخطل
١٠٧	الأزرق بن علي
١٤٩	الأزهري
٢٠١، ٢٦٨، ٢٦٧	أُسامة بن زيد
٢٤٨	أبو أُسامة - عن الأعمش -
٢٤٦	اسحاق
٧٢	ابن اسحاق
٢٢٥، ٢٤٤، ٢٢٣، ٨٣، ٧٧	أبو اسحاق السبئي: عمرو بن عبد الله
١٥٣، ٧٧	اسرائيل
٥٥	الاسفرايني
١٤٦	أسماء بنت عميس
١٤٦	أسماء بنت يزيد
١٨٦	اسماعيل عليه السلام
٥٥، ٥٤	الاصم
١٣٦	أعرابي
١٦٨	الأعشى
٢٠٥، ١٣٣، ٨١، ٨٠	الأعمش: اسماعيل بن مهران
٢٤٨، ٢٣٩، ٢٢٥ - ٢١٨	الأقرع بن حابس
٢٦٣	امام الحرمين
٢٢٦	ابن الأنباري
١١١	

الفهارس ٣٦٥

أنس بن مالك	١٥١، ٩٦، ٩٠، ٤٣، ٤٢
	٢٢٢، ٢١٧، ٢١٥، ٢١٣
	٢٣٠، ٢٤٩، ٢٢٣
أم أيمن	٢٦٨، ١٨٢
البخاري: أبو عبد الله محمد بن أسماعيل.	١١٣، ٨١، ٧٣، ٧٢، ٥٢
	٢٦١، ٢٣٨، ٢١٨، ٢٠٩، ١٤٥
	٢٨٨، ٢٨٧، ٢٨١، ٢٦٧
البراء بن عازب	١٤٧، ١٤٣، ١٠٣، ٩٣، ٨٣
	٢٨١، ١٧٦، ١٧٥، ١٤٨
أبو البركات عمر بن إبراهيم العلوى	٨٢
بريدة الأسليمي	١١٦، ٩٩، ٩٨
البغوي	١٤٠، ١١٣
أبو بكر	٧٧، ٧١، ٦٢، ٦١، ٤٦
	١٧٧، ١٧٦، ١٧٥، ١٠٣، ١٠٢
	١٨٥، ١٨٤، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩
	٢٤٢ - ٢٤٠، ٢١٥ - ٢١٢، ١٨٩
	٢٨٢، ٢٦٣، ٢٦٣، ٢٥٦، ٢٤٨
	٣٠٤ - ٣٠٢، ٣٠٠، ٢٩٧
	٣٢٢ - ٣١٨
أبو بكر الأنباري: محمد بن القاسم	٣١٠
أبو بكر بن اسحاق	١٠٧
أبو بكر بن شيبة	٢٣٩

منج في الإنماء المذهبى	أبو بكر مكرم بن أحمد القاضي
٢١٩	ابن أبي بكر الهيشمي
٢٧٩، ١٤٦، ١٤٥	البيضاوى
١١٣	البيهقي
٣٢٩، ٢٨٤، ١٨٤	التاج السبكي
٢٢٦، ٢٢٥	ابو تراب، وانظر علي عليه السلام
٢٠٣	الترمذى
٢٦٣، ٢١٨، ٢١٧، ٦٨، ٣٧	أبو تمام
١٦٠، ١٥٩	ابن تيمية
٢٢٧	ابن التيهان: أبو الهيثم بن التيهان
٢٣٤، ٨٦	ثابت البانى
١٥٤	الشعالبى
١٣٥، ١١٣	شلب
١١٢	الغعلىبى
١٣٠	جابر بن حيان
٣٣٠	جابر بن سمرة
٥٢	جابر بن عبد الله الأنصارى
٢٦٢، ١٩٧، ١٦٨، ٤٣	جبرئيل عليه السلام
٢١٤، ٢٠٠	ابن جرير = الطبرى
٢٧٦	الجزري = ابن الأثير
	جعفر: اسم لابن رجل شامي
	أبو جعفر = محمد بن علي (ع)

٣٦٧	أبو جعفر الاسكافي
٢٤٨، ٢٠٨	جعفر الصادق: جعفر بن محمد عليه السلام
٣٣٣، ٣٣١، ٣٢٦، ٣١٤، ١٤٨	
٣٣٥، ٣٣٤	
٢٨٨، ٢١٠، ١٩٧	جعفر بن أبي طالب
٣٣٤، ٢٢٢، ٢٢٠، ٦١	أبو جعفر المنصور
٢٩٧	ابن الجنيد
٢٠٩	ابنة أبي جهل
٢٢٤، ٧٣	الجوزجاني
٢١٣	الجوزقي
٢١٧، ١٢٩	ابن الجوزي
١١٢	الجوهرى
٢٨٤	جوير
٣٣٣، ٧٤، ٧٣	أبو حاتم الرازى
٢٢٩، ٢٨٥، ١٣٣، ٨٠	ابن أبي حاتم
١٣٦	الحارث بن التجار
٢٣٨	أبو حازم
١٧٨	حافظ ابراهيم
١٣٤، ٨٣	الحاكم الحسكنى
١٨٩، ١٣١، ١٠٧، ١٠٦، ٦٨	الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله
٣٠٠، ٢٨٩، ٢٣٩، ٢٢٥، ٢١٨	
٣١١، ٢٢٦	أبو حامد الغزالى
٢١٤، ٢١٣، ١٤٥	ابن حبان

١٤٩، ٩٦	جيشون الخلال
٤٥	حبيب التجار: مؤمن آل ياسين
٢٠٤، ٢٠١	الحجاج
٢٢٧	أبو الحجاج المزّي
١٩٨	حجّار بن أبيحر
٢٩٤، ٢٤٧، ٢٤٦، ٨٨	حُبْرَ بْنُ عَدَيْ
٢٨٦، ٢٨٥، ٨١	ابن حجر العسقلاني
٢٢٤، ٢١٤، ٢٨٧	
١٥٣، ١٢٦، ١٢٤، ٧٠	ابن حجر الهيثمي
٣٢٧، ٢٢٨، ١٥٦	
١٩٣، ١٨٢، ١٦١، ١٥٩، ٨٥	ابن أبي الحديد
٢٤٨، ٢١٢، ٢٠٨، ٢٠٤، ٢٠٢	
٢٥٢	حذيفة بن اليمان
٢١٠	حرizer بن عثمان
٦٢	حرملة - صاحب الشافعي -
٤٥	حرقيل
٢٩٦، ٥٤	ابن حزم
١٠٧	حسان بن ابراهيم الكرمانى
٢٤١، ١٢٩، ٩٤	حسان بن ثابت
٥٥	أبو الحسن الأشعري
٢٩٩، ٢٤٧، ٢٢٢، ٢٠٦	الحسن البصري
٣٢٦	الحسن العسكري عليه السلام

٣٦٩	الحسن بن علي بن شبيب المعمري
	الحسن بن علي عليهما السلام
٨٣	الحسن بن أبي القاسم
	الحسن المشتى
٨١	الحسين بن الحسن الفزاري
	الحسين بن علي عليها السلام
٢١٩	الحسين بن عيسى بن ميسرة الحارثي
	حمزة بن عبد المطلب
٢٠١	ابن حميد: محمد بن حميد الرازي
	حميد بن عبد الرحمن الزهري
٢٨٦	أبو حنيفة
	حيان: اسم رجل في شعر الأعشى
١٤٧	أبو حيان الأندلسي
٢٠٠	أبو خالد الأحمر
٢٧٥	خالد بن سعيد بن العاص
٦٤، ٤٦، ٤١، ٣٩ - ٣٦	
٢١٧، ٢٠٤، ١٩٥، ١٩٤، ١٦١	
٢٥٣، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢١، ٢١٧	
٣٢٦، ٣١١، ٣٠١	
١٢٠، ١١٦	
١٦١، ٦٥، ٦٤، ٤٦، ٤١	
٢٠١ - ١٩٨، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤	
٢٥١، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢١، ٢٠٤	
٣٢٦، ٣١٢، ٣١١، ٣٠١، ٢٧٥	
٧٤، ٧٣، ٧٢	
٣٣٥، ٣٤٨، ٦١، ٦٠، ٥٩، ١٦	
١٦٨	
١٤٧، ١١٣	

..... منهج في الانتهاء المذهبى	
٣٠٠،٢٩٩،٢٩٧،١١٦،٩٩	خالد بن الوليد
٢٤٠،٢٢٠،٢١٤	خديجة أم المؤمنين
٧٤	ابن خراش - أبو محمد الحافظ -
٢٨٨،٢٣٥،٨٨	خربيمة بن ثابت: ذو الشهادتين
٧٣	ابن خريمة - محمد بن اسحاق الامام المحدث -
٢٠٦،٢٠١،١٥٠	الخطيب - البغدادي -
٢٨٤،٢١٩،٢١٣	
٧٢	ابن خلدون
٣٣٤	ابن خلكان
٢٢٠،٩٤	الخوارزمي
٢٨٥،٢٦٨،١٤٦	الدارقطني
٩٨	أبو داود الحراني - عنه النسائي -
٣٢٦	أبو داود - السجستاني
٦٠	داود بن أبي هند
٢٨٩	ابو الدرداء
١٠٧	دعنج بن أحمد السجزي
٢٨٤،١٢٤	الديلمي
١٥٣،١٤٨،١٣١،١٣٠،٤٥	أبو ذر الغفارى
٢١٥،١٨٦،١٧٦	
٣٠٠،٢٩٤،٢٨٨	
٢١٩،٢١٤،١٥٠،١٠١،٩٦	الذهبى: أبو عبد الله
٢٨٩،٢٥٢،٢٢٧ - ٢٢٤	

٣٧١	الخوبصرة ذو
٢٩٧، ٢٩٥		
٢٦٧، ٢٦٦		الرازي
١١٣، ٧٣، ٣٩، ٣٧، ٣٦		
١٤٧، ١٤١، ١٤٠، ١١٥		الربيع بن أنس
١٤٦		
٨٢، ٨١		ريعة بن ناجذ
٨٦		رجل من الأزد
٣٠١	-	رجلان - غلي (ع) والفضل بن العباس
٢٠٠	-	رزين - راوي
٣٢٩		رفاعة بن رافع
٢٤١		بنت أبي رهم بن عبد المطلب
٣٠٩		الزبير بن بكار
١٧٦، ١٦٤، ١٠٢، ٨٦		الزبير بن العوام
٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٥		
٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩		
١١٥، ١١١		الزجاج
٨٩		زحر بن قيس
٤٣٣، ٧٣		أبو زرعة
٨٣		زكريا بن ميسرة
٨٢		زكريا بن يحيى الفسير
١٣٥، ١٣٢، ١٣١، ٣٩، ٣٧، ٣٦		الزمخشي
		أبو زهرة = محمد أبو زهرة

..... . منهج في الانتهاء المذهبي	٢١٤، ٢٠٨، ١٨٤	الزهري
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	٢٥١، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٠٢	زياد بن أبيه
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	٨٧	زياد بن ليد الانصاري
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	١٠٦، ٩٣، ٦٧، ٤٤	زيد بن أرقم
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	١٩٨، ١٤٨، ١٠٧	زيد بن الحارث
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	١٩٨	زيد بن حارثة - مولى الرسول
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	١٤١	زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	٦٠، ٥٩	زيد بن يثيع
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	٧٧	أبو زينب - كنية لأمير المؤمنين (ع)
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	٢٠٥	زينب بنت جحش
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	١٤٢، ١٤١	زينب بنت علي عليهما السلام
..... . منهج في الانتهاء المذهبي	٢٧٩	سالم مولى أبي حذيفة
..... . منهج في الانتهاء المذهب	٣٠٦	سبط بن الجوزي
..... . منهج في الانتهاء المذهب	١٥٠، ١١٣	السبطان: العستان عليهما السلام
..... . منهج في الانتهاء المذهب	٢٠٥	الستي: اسماعيل بن عبد الرحمن
..... . منهج في الانتهاء المذهب	٢١٧	سرجيس - مولى الزبير.
..... . منهج في الانتهاء المذهب	٢٥٩	ابن سعد - صاحب الطبقات -
..... . منهج في الانتهاء المذهب	٧١	سعد بن عبادة
..... . منهج في الانتهاء المذهب	٢٨٣، ٢٨١، ٢٧٥	سعد بن ابي وقاص
..... . منهج في الانتهاء المذهب	٢٩١، ٢٨٩، ١٣٧، ٩٢، ٣٨	أبو السعود
..... . منهج في الانتهاء المذهب	١٣١، ١١٣	أبو سعيد الأشجع
..... . منهج في الانتهاء المذهب	٢٠٠	

٣٧٣	الفهارس
٢٦١، ٨٢	سعید بن جبیر
١٢٤، ٩٨، ٩٦، ٩٤، ٤٤	ابو سعید الخدري
١٩٨، ١٤٩، ١٤٨، ١٣٤، ١٣٣	
٣٢١، ٢٣٨، ٢١٣، ٢٠٦	
٢٩١، ٢٨٧، ٢٨٦	سعید بن زید
٢٥٧	سعید بن العاص
٣٣٠	سعید بن منصور
٣٠٠	أبو سفيان
٢٤٩، ٢٤٨، ٢١٧	سفیان الثوری
٢٠٠	سلمی - عن اُم سَلَّمَةَ -
٣٠٠، ٢٨٩، ١٧٦، ١٤٨، ٩٠	سلمان الفارسي
٢٢٩، ٢٠٠، ١٩٩، ٣٧	ام سَلَّمَةَ
٢٥٦، ٢٥٥، ٢٣٩	
٧٣، ٧٢	سلَّمَةَ: بن الفضل الابرش
١٠٧	سلمة بن كهيل
٢٧٦	أبو سلمة المثنى بن عبد الله الانصاري
٢١٢	سلیم البشري
٢٢٠	سلیمان بن سالم
٧٣	سلیمان الشاذکوتی
٢٨٤	سلیمان بن أبي کریمة
٢٥٢، ٢٥١، ٢٥٠، ٢١٠، ١٤٥	سمرة بن جنذب
١٠٢	سهل بن حنیف

٢٣٨، ١٩٨	سهل بن سعد
١٠٢	سهل بن مالك
٣٣٣	سهيل - بن أبي صالح -
٣٢٨	أبو السوداء
٢٥١	أبو السوار العَدَوِي
٢٥١	ابن سيرين
٢١٣، ١٤٦، ١٣١	السيوطى
٣٣٣، ٢٠٥، ٦٢، ٤١، ٤٠	الشافعى
١٩٨	شيث بن ريعي
٦٠	ابن شبرمة
٣١٢	شرف الدين الموسوي
١٥٩، ١٥٧	الشريف الرضي
٢١٧، ١٤٦	شعبة
٣٣٠	الشعبي
٢٣٩	شقيق
١٩٨	شرم - بن ذي الجوشن -
٢٨٥	أبو شهاب الحناظ
٩٦	شهر بن حوشب
٢٦٦، ٢٦٥، ٢٦١	الشهرستاني
٢١٣، ١٤١، ١٣١، ١١٣	الشوكماني
٣٣٠، ٣٢٩	ابن أبي شيبة
٢٨٨، ١٠٩، ١٠٧، ١٠٦	الشيخان - البخاري ومسلم -

الفهارس

٣٧٥	الشيخان - طلحة والزبير -
٢٩٠	أبو صادق - راوي -
٨٣	أبو صالح - عن أبي هريرة
٢٤٨	صالح بن محمد الأُسدي
٧٣	صباح بن يحيى المزني
٨٣	صبيح الصالح
١٥٨	بنت سخر بن عامر
٢٤١	معصومة بن صوحان
٢٠٥	أبو الصلت الهروي: عبد السلام بن صالح
٢٢٥، ٢١٩، ٢١٨	صهيب - الصحابي -
٣٠٠	الضحاك - عن ابن عباس -
٢٨٤	ضمرة
٩٦	أبو طالب
٢١٠، ٢٠٩، ١٣٥، ١٣٤	ابن أبي طالب = علي بن أبي طالب عليه السلام
١٠٢، ٧٠	الطبراني
١٤٦، ١٤٤، ١٤٠، ١١٣، ٩٥	الطبرى: ابن جرير
٣٣٠، ٣٢٩، ٢٩١، ١٤٨، ١٤٧	أبو الطفيل: عامر بن وائلة
٢٥٠، ١٠٧، ٩٣	طلحة بن عبيد الله
٢٥٥، ٢٥٤، ١٦٤، ١٠٢، ٨٦	عائشة بنت أبي بكر
٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٦٠ - ٢٥٧	
١٣٥، ١٣٤، ٨٨، ٨٧، ٣٧	
٢١٤، ٢١٣، ٢٠٨، ١٨٤، ١٣٧	

..... منهج في الإنماء المذهبي	
٢٥٩ - ٢٥٢، ٢٤٦، ٢٤١	
٣٢٢، ٢٨٩، ٢٧٥	
٨٢، ٨١	عبد بن عبد الله الأستدي
٨٣، ٨٢	عبد بن يعقوب
٢٩٦، ٢٩٣	عبادة بن الصامت
١٧٥، ٨٢، ٨١، ٨٠	العباس بن عبد المطلب
٢١١، ١٩٧، ١٨٢، ١٧٦	
٢١٨	العباس بن محمد الدوري
٢٣٠	عبد بن حميد
٣٢٨	ابن عبد خير
	أبو عبد الرحمن = عبد الله بن مسعود
٢٨٧	عبد الرحمن بن الأخفش
٢٨٧، ٢٨٦	عبد الرحمن بن حميد
٨٦	عبد الرحمن بن حنبل
٢٦٠	عبد الرحمن بن سلمان التميمي
٢١٩	عبد الرحمن بن سمرة
٢٤٩، ٢٨٤، ١٠٢	عبد الرحمن بن عوف
٢١١	عبد الرحمن بن ملجم
٣٣٠، ٣٢٩، ٢٠٨	عبد الرزاق - عن معمر -
١٦٠	عبد الزهراء الخطيب
٣٢ - ٣١	عبد الزهراء الكعبي
٢٩٦	العبد الصالح - عيسى عليه السلام -

٣٧٧	عبد الغفار بن القاسم: أبو مريم
٨٢، ٨١، ٨٠	عبد القادر الكيلاني
١٦	عبد الله - عن شقيق -
٢٣٩	عبد الله بن أبي
٢٤١	عبد الله بن حنبل
٢٠٥	عبد الله بن أبي جعفر
١٤٦	عبد الله بن الجنيد
٢١٩	عبد الله بن الحارث
٨٠	عبد الله بن رافع المخزومي
٢٣٩	عبد الله بن الزبير
٢٦٤، ٢٦٣، ١٦٣ - ٢٥٧، ٢٥٠	أبو عبد الله السفاح
٦١	عبد الله بن أبي سفيان بن الحarth بن عبد المطلب
٨٥	عبد الله بن سلام
٢٨٩	عبد الله بن ظالم المازني
٢٨٧، ٢٨٦	عبد الله بن عامر بن كريز
٢٤١	عبد الله بن عباس
١٤٣، ١٢٨، ٨٢، ٤٤، ٤٣	عبد الله بن عبد القدس
٢٠٠، ١٨٩، ١٧٠، ١٤٨، ١٤٥	عبد الله بن عمر
٢٦١، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢١٩، ٢١٧	
٣٠٥، ٢٨٤، ٢٨٢، ٢٦٥، ٢٦٢	
٣٣٠ - ٣٢٨، ٣٠٧، ٣٠٦	
٨٢، ٨٠	
٢٥٠، ١٤٩، ١٤٦	

٢٤٣، ٢٤٢

عبد الله بن عمرو بن العاص

أبو عبد الله محمد بن القاسم = محمد بن

القاسم بن زكريا المحاربي

عبد الله بن مسعود

٢٨٨، ٢٢٣، ١٣٣، ٥٣

٢٩٥، ٢٩٤، ٢٨٩

١٩٩

عبد الله بن نجاشي

٧٢

عبد الله بن أبي نعيم

٩٨

عبد الملك بن أبي غنيمة

٢٠٤، ١١٤

عبد الملك بن مروان

١٩٩، ١٩٥

عبيد الله بن زياد

٣٠٣، ٢٨٨، ١١٥، ١١٠

أبو عبيدة

ابن أبي عتاب = محمد بن أبي عتاب

عثمان بن حبيف الانصاري

عثمان بن عفان

٢٥٨، ١٨٢

٢٠٣، ٢٠٢، ١٨٦، ١٠٢

٢١٤، ٢١٣، ٢١٠، ٢٠٦، ٢٠٥

٢٥٥ - ٢٥٣، ٢٤٨، ٢٤٤

٢٨٦، ٢٧٩، ٢٦١، ٢٥٩ - ٢٥٧

٢٩٥، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩

٣١٨، ٣٠٢، ٢٩٦

عثمان بن المغيرة

٨٣

ابنة عدو الله

٢٠٩

ابن عدي

٨١

٣٧٩	عليّ بن ثابت
	ابن عرفطة = نفطويه
٨٢	
٢٠٨	عروة بن الزبیر
١٣٤، ٩٥، ٨٢	ابن عساکر: أبو القاسم
٢٨٤، ٢٦٠، ٢١١	
٢٠١	عَقَان - راوى
٨٢	عَقَان بن مسلم
٨١	ابن عقدة
٢٨٧	الْعُقِيلِي
٣٣٠	عكرمة
٣٣٣	العلاء
٢٨١	العلاء بن المسيب
٢٢٦	العلائي
١٠٢	عليّ بن اسحاق الوزير الأصبهاني
٣٣١، ٣٢٦، ٣١٢، ١٩٧	عليّ بن الحسين عليهما السلام
٩٦	عليّ بن سعيد الرملي
٤٦ - ٤١، ٣٩ - ٣٦، ١٦	عليّ بن أبي طالب عليه السلام
٧٤، ٧١، ٦٤، ٦٢، ٦١	
٨٣ - ٧٩، ٧٧، ٧٦	
٩٣، ٩٢، ٩٠، ٨٨ - ٨٥	
١١٠، ١٠٩، ١٠٧ - ٩٧، ٩٥	
١٣٤ - ١٢٦، ١٢٤ - ١١٧	

١٥٢ - ١٤٨، ١٤٦ - ١٤٢

١٧٠، ١٦٦، ١٦٢، ١٦٠ - ١٥٧

١٩٠ - ١٨٤، ١٨٢ - ١٧٥

٢٢٥، ٢٢٣ - ٢٢٠، ٢١٦ - ١٩٩

٢٤٦ - ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٢٩، ٢٢٨

٢٦٥، ٢٦١ - ٢٥١، ٢٤٩، ٢٤٨

٢٨٦، ٢٨٢، ٢٧٧ - ٢٧٥، ٢٧٣

٢٩٦، ٢٩٤، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٧

٣١٤، ٣١١، ٣٠٩ - ٣٠٤، ٣٠٠

٣٢٨، ٣٢٦، ٣٢٢ - ٣٢٠

٣٣٨، ٣٢٢، ٣٢٩

١١٣

١٠٢

١٠٢

٢٢٤، ٨٠، ٧٣

٣٢٦، ٢٨٥

٧٣

٢٢٦

٨٣

١٤٥

٢٨٣، ٢٣٤، ١٧٦، ١٤٨، ١٢٦

عليّ بن محمد بن الصباغ المالكي

عليّ بن محمد المقدمي

عليّ بن محمد بن يوسف بن شيبان

بن مالك بن مسمع

عليّ المديني

عليّ بن موسى الرضا عليه السلام

أبو عليّ النيسابوري

عليّ الهاדי عليه السلام

عليّ بن هاشم

عمّار مولى بنى هاشم

عمّار بن ياسر

الفهارس

٣٨١	الفهارس
٢٠٠، ٢٩٧، ٢٩٦، ٢٩٥، ٢٨٨	
١٠٣، ١٠٢، ٩٦، ٩٣، ٦٢، ٦١	عمر بن الخطاب
١٨١ - ١٧٦، ١٤٧، ١٤٥، ١٤٣	
٢٤٨، ٢٤٢، ٢١٤، ٢١٣، ١٨٩	
٢٧٩، ٢٧٥، ٢٦٦ - ٢٦١، ٢٥٦	
٢٩٧، ٢٩١، ٢٨٣، ٢٨٢	
٣٢٤، ٣٢٢ - ٣١٨، ٣٠٨ - ٣٠٣	
١٩٩	عمر بن سعد
٢٧٧، ٢٧٦	عمر بن عبد العزيز
٢٤٩	عمر بن عبد الغفار
١٤٥	عمر بن موسى بن وحبي
٢٤٦	عمرو بن الحمّة الخزاعي
٢٢٤	عمرو بن دينار
٢٤٢، ٢٠٩، ٢٠٨، ١٧٩	عمرو بن العاص
٢٩٤، ٢٨٣، ٢٧٥، ٢٥٢، ٢٤٤	
٢٢٣	عمرو بن عليّ
٢٣٨، ٨٣	أبو عوانة
	عُويْسَر = أبو الدرداء
٤٦	عيسى عليه السلام
٢٢٣	عيسى بن يونس
٢٩٦	أبو الغادية: يسار بن سميح السلمي
	الغزالى = أبو حامد الغزالى

٨٧	غلام من بنى ضبة
١٨٨	فاروق: عمر بن الخطاب
٩٠،٤٦،٤١،٣٩ - ٣٦	فاطمة عليها السلام - انظر ابنة ولی اللہ -
١٩٦،١٨٥ - ١٨١،١٧٩ - ١٧٦	
٢٧٥،٢٢٩،٢٢٨،٢٢١،٢٠٥	
٢١٢،٣٠٤،٣٠٢،٣٠١،٢٧٧	
٢٠٦	الفتح بن شخرف
١١٥،١١١	الفراء
٨٢	أبو الفرج محمد بن أحمد بن علأن الشاهد
٩٨	الفضل بن دكين = أبو نعيم
١٧٦	الفضل بن العباس
٨٣	ابن فنجويه
٧٣	أبو القاسم ابن أخي أبي زرعة
٢٢٣،٢٢٠،٢١٩	القاسم بن عبد الرحمن الأنباري
٣٣٠	قتادة
١٨٥	ابن قبية
٢٧٥	القشم بن العباس
٢٨٣	قدامة بن مظعون الأنصاري
١٤١	القرطبي
٥٤	الفلقشندى
١٧٧،١٧٦	قتنذ
١٩٨	قيس بن الأشعث

٢٨٠	قيس بن سعد
٢٢٧، ١٤٥، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٦، ٨٠	ابن كثير
٢٣٩	أبو گريب
١٠٢	كعب بن مالك
٢٥٤، ٢٥٣	ابن أم كلاب
١١٥	الكلبي
٢٧٧	أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (ع)
١١٤	الكميت
١١٤، ١١٢، ١١١	لبيد
٦٠	ابن أبي ليدى
٣٢٩	ابن ماجة
٣٣٢، ٢٨٥، ٢٤٠، ٦١	مالك بن أنس
٩٦	مالك بن الحويرث
٢٩٧	مالك بن نُويرة
٥٤	الماوردي
٢٤٤، ١١٢	ابن المبارك
١١٠	المبرد
٢٨٤	المتنبي الهندي
١٤٦	المشني
٢١٩	مجاهد
٨٦، ٩٣، ٣٨	المحب الطبرى
٣٢، ٢٦، ١٣، ١٢، ١٠	محمد صلى الله عليه وآله وسلم: الرسول: النبي

٥٧٠٥٤ - ٥٠٠٤٦ - ٣٥

٧٢ - ٦٧٠٦٤٠٦١٠٦٠

١٢٤ - ١١٤٠١١٠٠١٠٧ - ٧٤

١٥٥٠١٥٣ - ١٣٠٠١٢٨ - ١٢٦

١٧١٠١٧٠٠١٦٦ - ١٦٠٠١٥٦

١٩٠٠١٨٩٠١٨٧ - ١٧٧٠١٧٥

٢١٦ - ٢٠٨٠٢٠٦٠٢٠٠ - ١٩٣

٢٢٠ - ٢٢٧٦٢٢٤٠٢٢٢ - ٢٢٠

٢٤٢ - ٢٣٦٠٢٣٤٠٢٣٣

٢٧٣٠٢٦٩ - ٢٥٦٠٢٥٣ - ٢٤٦

٢٨٥٠٢٨٣ - ٢٧٦٠٢٧٤

٢٩٦ - ٢٩١٠٢٨٩ - ٢٨٧

٣١٣ - ٣١١٠٣٠٩ - ٢٩٨

٣٢٩ - ٣٢٦٠٣٢٤ - ٣١٥

٣٣٧٠٣٣٦٠٣٣١

٢١٩

محمد بن أحمد بن رزق

١١٦٠٧٣

محمد بن اسحاق

١٠٧

محمد بن أيوب

٢٥٢٠١٨٧

محمد بن أبي بكر

٢٢٠٠٢١٨

محمد بن جعفر القيدى

٨٢

محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين

٣٢٢

محمد الجواد عليه السلام

٦١	محمد بن الحسن
٢٥٠	محمد بن حميد الرازي: ابن حميد
٢٢٣	محمد بن الحنفية
٦٢٦٠، ٥٩	محمد بن داود الحданى
١٠٧	محمد أبو زهرة
٢١٨	محمد بن سلمة بن كعبيل
٢٥٨، ٢٥٧	محمد بن ظاهر المقدسى
٢٧٦	محمد بن طلحة
٥٩	محمد بن عبد الله الأنصارى
٢٠٢، ٢٠١	محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي
٢٠١، ١٩٥، ١٩٤، ١٤٣	محمد بن علي: أبو جعفر: الباقر (ع)
٣٢٦، ٣١٢، ٢١٢	
٨٣	محمد بن علي بن عبد الله
١٠٢	محمد بن عمر بن علي المقدمي
٢٤٣، ٢٤٢	محمد بن عمرو بن العاص
٨٢	محمد بن القاسم بن زكريأ
٨١	المحاربي: أبو عبد الله
٢٠٢، ٢٠١	محمد بن مزروع
٢١٨	محمد بن يحيى بن سعيد القطان
٣٣٥	محمد بن يعقوب: أبو العباس
	محمود شلتوت

- ٢١٠ محفوظ - عن يحيى بن صالح الواحصي -
- ٢٢٠، ٢٠٢ المدائني
- ١٣٣ ابن مردويه
- ٢٩٦، ٢٩٤، ٢٥٧، ٢٥٥ مروان بن الحكم
- أبو مريم = عبد الفقار بن القاسم
- ٢١٤ العزّي
- ٢٤١ أم منطع
- ٢٤١ منطع بن أثابة
- ابن مسعود = عبد الله بن مسعود
- ١٥٩ المسعودي
- ٢٠١، ١٥٣، ٦٧، ٥٣، ٣٧ مسلم: ابن الحجاج
- ٣٠٠، ٢٨٨، ٢٣٩، ٢١٨، ٢٠٩
- ١٩٨ مسلم بن عقيل
- ٢٤٥ سلمة بن مخلد
- ٣٠٤، ٢٨٩، ٢٨٨ معاذ بن جبل
- ٢٥٣، ٢٥٢ معاوية بن حذيف
- ٢١٩، ٢١٨، ٢٠٥ أبو معاوية الضرير
- ٢٣٩، ٢٢٢، ٢٢٠
- ١٨٨، ١٨٧، ١٧٩، ١٤٧ - ١٤٥ معاوية بن أبي سفيان
- ٢٠٨، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٢، ١٩٤
- ٢٢٥، ٢١٩، ٢١٤، ٢١٢ - ٢١٠
- ٢٦٠، ٢٥٢، ٢٤٩، ٢٤٧ - ٢٤١

الفهارس

٣٨٧	الفهارس
٢٨٧، ٢٨٣، ٢٧٧، ٢٧٦، ٢٦١	
٢٩٧ - ٢٩٤، ٢٩٢، ٢٨٨	
٢١٤، ٢٠٨، ١٨٤	معمر
٢٢٠	ابن المغازلي
٢٢٤	المُغيرة
٢٣٨	مغيرة - عن أبي وائل، وعن أبو عوانة
٢٤١، ٢١٠، ٢٠٨، ٢٠٥	المغيرة بن شعبة: أبو عبد الرحمن
٢٨٣، ٢٤٦، ٢٤٢	
٣٠٠، ١٨٧، ١٧٦، ١٤٨	المقداد بن الأسود: ابن عمرو
٢٥٩	مكحول
٧١	الملأ - صاحب السيرة.
١١٢	ابن الملحق
٢٦٣	ابن أبي مُلِيْكَة
٢٢٠	ابن المنذر
٢٤٨	منصور: شيخ سفيان الثوري
٨٢، ٨٠	المنهال بن عمرو
١١٣	المهایمی
٢٢٦	المهدي (عج)
١٣٠، ٩٠، ٧٥، ٧٤، ٤٥	موسى عليه السلام
٢٢٨	موسى بن اسماعيل
٢١٩	أبو موسى الأشعري
٣٢٦	موسى الكاظم عليه السلام

٢٢٣	الموصلي
٢٦٣	نافع بن عمر
٢١٤، ٩٨، ٩٢، ٧٤، ٧٣	النسائي
٢٦٣، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٣	
١١٣	النسفي
٢٨٤	أبو نصر السجزي
٢٤٥	النعمان بن بشير
٢٣٨	النعمان بن أبي عياش
١١٦، ٩٨، ٧٤	أبو نعيم: الفضل بن دكين
٢١١، ٢٠٤	نقطويه: ابن عرفة
٢٣٩	ابن ثمير
١٨٦، ١٥٣	نوح عليه السلام
١٦٠	أبو نواس
٢٦٥	نوروي جعفر
٢٥٦، ١٣٠، ٧٥، ٧٤	هارون عليه السلام
١٤٩	أبي هارون العبدى
٦٠	ابن هبيرة
١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٠١، ٩٦	أبو هريرة
٢٤٩ - ٢٤٧، ٢١٣، ٢٠٩، ٢٠٨	
٢٩٦، ٢٩٥، ٢٥١	هشام بن عبد الملك
٢٠٥	أبو الهيثم بن التیهان
٢٣٤، ٨٦	

الهيثمي= ابن أبي بكر الهيثمي	
١٢٣، ١٣١، ١٢٤، ٣٨	الواحدى
٢٤٤، ٢٤٣	وردان: مولى عمرو بن العاص
٣٢٨، ٧٧	وكبج
٢٠٩	ابنة ولی الله
٢٧٤	الوليد
٢١٧	يحيى بن سعيد القطان
٢١٠	يحيى بن صالح الوحاصي
٢٣٨	يحيى بن كثیر
٢٩٧، ٢٢٣، ٢٢٠، ٢١٩	يحيى بن معین
٢٤٤	يزید بن اسد الجلی
٢٧٦، ٢٤٧، ٢٤٢، ١٩٦	يزید بن معاویة
٧٣	يعقوب بن شيبة
٢٣٨	يعقوب بن عبد الرحمن
٣٣٤، ١٨١، ٩١	اليعقوبی
٣٢٩	أبو يعلى الموصلي
٢٤٨	أبو يوسف . صاحب أبي حنيفة .
٩٠، ٤٦	يوشع بن نون عليه السلام
٢٠٦	يونس بن عُبيدة

فهرس الأشعار

الصفحة	الشاعر	القافية
٨٧	زياد بن ليد الانصاري	عَطِيبٌ
١١٤	الكبيت	الْمُؤَدِّبُ
١٦٦	الامام عليّ (ع)	غَيْبٌ
٨٦	عبد الله بن أبي سفيان بن الحarth	كِتَابِهِ
٢٣٥	ضبيعة	الْفَرَاتِ
٢٣٥	أمينة الانصارية	عِمَادًا
٨٨	خُزيمة بن ثابت	وَالدِّهَةُ
١١٤	الأخطل	وَتُحَمَّدَا
٨٦	أبو الهيثم بن التيهان	الْأَنْصَارُ
١٦٨	الأعشى	جَابِرٌ
٢٥٤	ابن أم كلاب	الْمَطَرُ
١٣٠	ابن الجوزي	النَّاسُ
٤٠	الشافعي	وَالنَّاهِضُ
١٢٩	حسَان بن ثابت	وَمُسَارِعُ
٢٤٤	عمرو بن العاص	تَصْنَعُ
٢٤٣	عمرو بن العاص	الْعَوَاتِقُ
٨٦	عبد الرحمن بن الحنبل	مُوقَفًا

٤١	الشافعى	أَنْزَلَهُ
٨٥	كثير عَزَّةٌ	مَغَارِمٌ
٨٨	خزيمة بن ثابت	جَبَانٌ
٢٤٤	عمرو بن العاص	وَرْدَانٌ
٢٦٠	عبد الرحمن بن سلمان التميمي	الْأَيْمَانُ
١١١	لَيدٌ	وَأَمَاهَا
١٧٨	حافظ ابراهيم	يُمْلِقُهَا
٨٦	رجل من الأزد	النَّبِيُّ
٨٩	زحر بن قيس الجعفى	النَّبِيُّ
٩٤	حسان بن ثابت	مُنَادِيَا
٨٧	غلام من بني ضبة	بِالْوَصْبِيِّ
٨٨	حُبَرَ بن عدي الكندي	الْمُضِيَا
٢٠٥	الشافعى	الْزَكِيَّةُ

فهرس المصادر

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الاتقان في علوم القرآن: للسيوطى (٨٤٩ - ٩١١هـ). تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.
- ٣ - الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٢٧٠ - ٣٥٤هـ): للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (٧٣٩هـ) - تحقيق كمال يوسف الحوت - دار الكتب العلمية - بيروت ٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٤ - احياء الميت في فضائل أهل البيت: للسيوطى (٩١١هـ).
- ٥ - اختيار مصباح السالكين (شرح نهج البلاغة الوسيط): لابن ميثم البحرياني (٦٨٩هـ) - تحقيق د. محمد هادي الأميني - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٦ - أسباب النزول: للواحدى (٤٦٨هـ) - عالم الكتب - بيروت.
- ٧ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر النمرى (٣٦٣ - ٤٦٣هـ) - بهامش الاصادة - الطبعة الاولى - ١٣٢٨هـ) - دار احياء التراث العربي.
- ٨ - أسد الغابة في معرفة الصحابة: لابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠هـ) - دار احياء التراث العربي.
- ٩ - أنسى المطالب في مناقب سيدنا عليّ بن أبي طالب: للحافظ أبي الخير الجرجي الشافعى (٨٢٣هـ) - تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني.
- ١٠ - الاصادة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) - مطبعة السعادة

- مصر - ١٣٢٣هـ.

- ١١ - أصول السرخسي: للإمام أبي بكر السرخسي (٤٩٠هـ) - تحقيق أبو الرواف الأفغاني - مكتبة المعارف بالرياض - نشر لجنة أحياء المعارف النعيمية بجيدر آباد الدهن بالهند.
- ١٢ - الأضداد: لمحمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دائرة المطبوعات والنشر - ١٩٦٠م.
- ١٣ - الأعلام: لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة السابعة.
- ١٤ - أعلام النساء: لعمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة - الطبعة الخامسة - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٥ - الإعلان بالتوبیخ لمن ذمّ التاریخ: لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ) - دار الكتاب العربي - مصور على نسختي خزانة المحقق أحمد باشا تيمور - عنی بنشره: القدسی - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٤م.
- ١٦ - الامامة والسياسة: لابن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦هـ) - مكتبة ومطبعة مصطفى بايى الحلبى - مصر - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
- ١٧ - الأنساب: للسمعاني (٥٦٢هـ) - تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٨ - أنساب الأشراف: للبلاذري (٢٩٩هـ) - النشرات الإسلامية - تحقيق عبد العزيز الدوري - دار النشر فراش شتاينر بفيسبادن - بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ١٩ - الأوائل: لأبي هلال العسكري (بعد سنة ٣٩٥) - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٠ - البحر المحيط (تفسير): لأبي حيان الأندلسي (٦٥٤ - ٧٥٤هـ) - مكتبة ومطبع النصر الحديثة - الرياض.
- ٢١ - البدء والتاريخ: لمظہر بن طاهر المقدسی (٥٠٧هـ) - مكتبة الثقافة الدينية.
- ٢٢ - البداية والنهاية: لابن كثير الدمشقی (٧٧٤هـ) - دار الكتب العلمية - الطبعة الرابعة -

١٤٠٨ - ١٩٨٨.

٢٢ - **تاج العروس**: للإمام اللغوzi محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) - الطبعة الأولى
بالمطبعة الخيرية بجمالية مصر - ١٣٠٦هـ.

٢٤ - **تاريخ بغداد**: للخطيب البغدادي (٣٩٢ - ٤٦٣هـ) - مطبعة السعادة - مصر - ١٣٤٩هـ.

١٩٣١م.

٢٥ - **تاريخ الخلفاء**: للسيوطى (٩١١هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٦ - **تاريخ ابن خلدون**: لعبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ) - تحقيق الاستاذ خليل
شحادة وسهيل زكار.

٢٧ - **تاريخ الطبرى (تاريخ الأئم والملوك)**: لمحمد بن جرير الطبرى (٢٤٤ - ٣١٠هـ).
الطبعة الأولى.

٢٨ - **تاريخ أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر)**: لعماد الدين اسماعيل أبي الفداء -
صاحب حماه - (٧٣٢هـ) اصدار: دار الفكر ودار البحار.

٢٩ - **التاريخ الكبير**: للإمام البخاري (٢٥٦هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٠ - **تاريخ المدينة المنورة**: لأبي زيد عمر بن شبة التميري (١٧٣ - ٢٦٢هـ) - تحقيق
فهيم محمد شلتوت - منشورات دار الفكر.

٣١ - **تاريخ المذاهب الإسلامية**: لمحمد أبي زهره - دار الفكر العربي - ١٩٨٩.

٣٢ - **تاريخ ابن الوردي**: لعمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (٧٤٩هـ) - المطبعة الحيدرية -
النجف - الطبعة الثانية - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٣٣ - **تاريخ اليعقوبي**: لأحمد بن أبي يعقوب الكاتب العباسي (القرن الثالث الهجري) - دار
صادر - بيروت.

٣٤ - **تذكرة الحفاظ**: للذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) - دار احياء التراث العربي - تصحيح عبد
الرحمن بن على المعلمي - مكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة.

- ٣٥ - تذكرة الخواص: لسبط بن الجوزي (٥٨١ - ٦٥٤هـ). - تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم - الطبعة الأولى.
- ٣٦ - ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق الكبير: لابن عساكر (٥٧١هـ). - تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي - مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية - ١٣٩٨هـ . م ١٩٧٨
- ٣٧ - تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربع: لابن حجر السقلاني (٦٥٢هـ) . دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٣٨ - تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل): لأبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (٧٩١هـ) . دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ - م ١٩٨٨
- ٣٩ - تفسير التبيان: للشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) . تحقيق أحمد حبيب قصیر العاملی - مكتبة الأمين - النجف الأشرف - ١٣٨٣هـ - م ١٩٦٣
- ٤٠ - تفسير الشعالي (جواهر الحسان في تفسير القرآن): لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الشعالي - مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت.
- ٤١ - تفسير الثعلبي (الكشف والبيان في تفسير القرآن): لأبي اسحاق الثعلبي (٤٢٧هـ) . الجزء الأول منه مطبوع على الحجر.
- ٤٢ - تفسير الحبرى: لأبي عبد الله الحسين بن الحكم بن مسلم الحبرى (٢٨٦هـ) . - تحقيق السيد محمد رضا الحسيني - مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ - م ١٩٨٧
- ٤٣ - تفسير أبي السعود: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (٩٥١هـ) . دار احياء التراث العربي.
- ٤٤ - تفسير الطبرى (جامع البيان في تفسير القرآن): لابن جرير الطبرى (٣١٠هـ) . دار المعرفة - ١٤٠٣هـ - م ١٩٨٣

- ٤٤ - **تفسير غريب القرآن**: لابن الملقن (٨٠٤هـ) تحقيق سمير طه المجلوب - عالم الكتب - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٤٦ - **تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ) - دار أحياء التراث العربي - تصحیح أحمد عبد العليم البردوني.
- ٤٧ - **تفسير ابن كثیر**: لأبي الفداء ابن كثیر الدمشقی (٧٧٤هـ) - دار المعرفة - تقدیم الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
- ٤٨ - **تفسير الرازی (التفسیر الكبير)**: للفخر الرازی (٥٤٣ - ٦٠٦هـ) - دار أحياء التراث العربي - بالأقسیت من طبعة المطبعة البهیة بمصر.
- ٤٩ - **التفسیر الكشاف**: للزمخشري (٢٨٥هـ) - الطبعة الأولى.
- ٥٠ - **تفسير المراغی**: لأحمد مصطفی المراغی - مکتبة وطبعه مصطفی البابی الحلی وآولاده - مصر - الطبعة الأولى - ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- ٥١ - **تفسير المنار**: لمحمد رشید رضا (١٣٥٤هـ) - دار المعرفة - الطبعة الثانية بالأقسیت.
- ٥٢ - **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأویل)**: لأبي البرکات عبد الله بن أحمد النسفي (٧٠١هـ). دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٥٣ - **تلخیص المستدرک**: للذهبی (٧٤٨هـ) - بذیل المستدرک على الصحيحین.
- ٥٤ - **تنزیه الأنبياء**: للشیری المرتضی (٣٥٥ - ٤٣٦هـ) - منشورات الشیری الرضی - الطبعة الأولى.
- ٥٥ - **تهذیب تاریخ دمشق الكبير** لابن عساکر (٥٧١هـ): هذبه ورتبه الشیخ عبد القادر بدراں المتوفی سنة (١٣٤٦هـ) - دار أحياء التراث العربي - الطبعة الثالثة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٥٦ - **تهذیب التهذیب**: لابن حجر العسقلانی (٨٥٢هـ) - دار أحياء التراث العربي - الطبعة الاولی - مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند - حیدر آباد الدکن - ١٣٢٥هـ.
- ٥٧ - **تهذیب الکمال في أسماء الرجال**: للحافظ جمال الدين المزّی (٧٤٢هـ) - تحقيق

- د. بشار عواد معروف - مؤسسة الرسالة - الطبعة الرابعة - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٥٨ - جامع الأصول : لابن الأثير الجزري (٥٤٤ - ٦٦٠هـ) - تحقيق محمد حامد الفقي - دار أحياء التراث العربي - الطبعة الرابعة - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٥٩ - الجامع الصغير : للسيوطى (٩١١هـ) - دار الفكر - بيروت.
- ٦٠ - الجوهر الشinin في سير الملوك والسلطانين : لابن دعماق (٨٠٩هـ) - تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي - عالم الكتب - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٦١ - حلية الأولياء : للحافظ أبي نعيم الأصفهاني (٤٣٠هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٦٢ - حياة الصحابة : لمحمد يوسف الكاندلولي - تحقيق الأستاذ علي شيري - دار أحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٦٣ - خصائص الأئمة : للشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦هـ) - تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني - مجمع البحوث الإسلامية - ١٤٠٦هـ.
- ٦٤ - خصائص أمير المؤمنين : للحافظ النسائي (٣٠٣هـ) - مطبعة التقديم بالقاهرة.
- ٦٥ - الخصائص الكبرى : للسيوطى (٩١١هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٦٦ - خصائص الوحي المبين : لابن البطريق (٦٠٠هـ) - تحقيق الشيخ محمد باقر محمودي - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ.
- ٦٧ - الدر المنشور في التفسير المأثور : للسيوطى (٩١١هـ) - دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٦٨ - دلائل النبوة : لأبي بكر البهيفي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ) - تحقيق د. عبد المعطي قلمجي - دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٦٩ - رشفة الصادي : لأبي بكر الحضرمي (١٣٤١هـ) - طبعة القاهرة - سنة ١٣٠٣هـ.

- ٣٩٩ ٧٠ - روح البيان (تفسير) : للشيخ اسماعيل حمي البروسوي (١١٣٧هـ) - دار احياء التراث العربي - بيروت - الطبعة السابعة - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٧١ - روح المعاني (تفسير) : لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (١٢٧٠هـ) - ادارة الطباعة المنيرية - دار احياء التراث العربي - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٧٢ - رياض الصالحين : للنحوی الشافعی - تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة - وكالة المطبوعات - الكويت - دار القلم - بيروت.
- ٧٣ - الرياض النفرة في مناقب العشرة : للمحب الطبری (٦٩٤هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٧٤ - سر العالمين : للغزالی (٥٥٥هـ) - منشورات مكتبة الثقافة الدينية - النجف - الطبعة الثانية.
- ٧٥ - سنن الترمذی (الجامع الصحيح) : للترمذی (٢٠٩ - ٢٧٩هـ) - تحقيق أحمد محمد شاکر - دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٦ - سنن الدارمی : لأبي محمد الدارمی (١٨١ - ٢٥٥هـ) - دار احياء السنة النبوية - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٧٧ - سنن أبي داود : لأبي داود السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥هـ) - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار احياء السنة النبوية.
- ٧٨ - السنن الكبرى : لليهقی (٤٤٥هـ) - دار المعرفة - بيروت.
- ٧٩ - سنن ابن ماجة : لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزوینی ابن ماجة (٢٠٧ - ٢٧٥هـ) - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقی دار الفكر.
- ٨٠ - سنن النسائي : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٣٠هـ) - بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الامام السندي - دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٨١ - سیر أعلام النبلاء : للذهبی (٧٤٨هـ) - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثالثة -

١٤٠٥ - ١٩٨٥ م.

- ٨٢ - سيرة ابن اسحاق: لمحمد بن اسحاق بن يسار (٨٥ - ١٥١هـ) - تحقيق د. سهيل زكار - دار الفكر.
- ٨٣ - السيرة الحلبية (انسان العيون في سيرة الأمين المأمون): لعلي بن برهان الدين الحلبي - (٩٧٥ - ١٠٤٤هـ) - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٨٤ - السيرة النبوية: لابن هشام (٢١٣هـ) - تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الأباري وعبد الحفيظ شلبي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٨٥ - السيرة النبوية - المستقة من تاريخ الاسلام للذهبي - : تحقيق حسام الدين القديسي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الاولى - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٨٦ - السيرة النبوية (المسمي عيون الأثر): لمحمد بن عبد الله بن يحيى (٧٣٤هـ) - دار الحضارة للطباعة والنشر - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٨٧ - الشافي في الامامة: للشريف المرتضى (٤٣٦هـ) - تحقيق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب - مؤسسة الصادق - طهران - ١٤١٠هـ.
- ٨٨ - شرح المعلقات السبع: لأبي عبد الله الروزنی (٤٨٦هـ) - مكتبة دار البيان للطباعة والنشر، مؤسسة الزين للطباعة والنشر - بيروت.
- ٨٩ - شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحميد المعتزلي (٥٨٦ - ٦٥٦هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار احياء الكتب العربية - مصر - الطبعة الاولى ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
- ٩٠ - شرح نهج البلاغة: لابن ميثم البحرياني (٦٧٩هـ) - عنى بتصحيحه عدّة من الأفاضل دار الآثار للنشر ودار العالم الاسلامي - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٩١ - شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: للحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحاكم الحسکاني الحنفي (٤٧٠هـ) - تحقيق محمد باقر المحمودي - مؤسسة الأعلمي - بيروت - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م.

- ٤٠١ الفهارس
- ٩٢ - الصحاح : لاساعيل بن حماد الجوهرى (٣٩٣هـ) . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .
دار العلم للملائين - الطبعة الاولى - القاهرة - ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
- ٩٣ - صحيح البخاري : (٢٥٦هـ) عالم الكتب - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٩٤ - صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ) . دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ٩٥ - صفة الصفوة : لأبي الفرج ابن الجوزي (٥٩٧هـ) . تحقيق محمود فاخورى و د. محمد رواس قلعي - دار المعرفة بيروت لبنان - الطبعة الرابعة - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٩٦ - الصواعق المحرقة : لابن حجر الهبشي (٩٧٤هـ) . تحقيق عبد الوهاب اللطيف - مكتبة القاهرة - الطبعة الثانية - ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .
- ٩٧ - الفعفاء الصغير : للإمام البخاري (٢٥٦هـ) . تحقيق بوران الصناوى - عالم الكتب - الطبعة الاولى - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٩٨ - الفعفاء الكبير : لأبي جعفر العقيلي (٣٢٢هـ) . تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الاولى - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٩٩ - طبقات الشافعية : لأبي بكر تقي الدين ابن فاضي شهبة الدمشقي (٨٥١هـ) . تصحيح الدكتور الحافظ عبد العليم خان عالم الكتب - الطبعة الاولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ١٠٠ - الطبقات الكبرى : لابن سعد الزهري (١٦٨ - ٢٣٠هـ) . دار صادر - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ١٠١ - العقد الفريد : لابن عبد ربّه الأندلسي (٣٢٨هـ) . تحقيق محمد سعيد العريان - المكتبة التجارية الكبرى .
- ١٠٢ - علي ومناوشوه : الدكتور نوري جعفر - دار العلم للطباعة - القاهرة - ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .

- ١٠٣ - عمدة عيون صحاح الأخبار : لابن البطريق (٦٠٠هـ) - مؤسسة النشر الاسلامي.
- ١٠٤ - عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) - دار الكتاب العربي.
- ١٠٥ - عيون أخبار الرضا : للشيخ أبي جعفر الصدوق (٣٨١هـ) - تصحيح السيد مهدي الحسيني الاجوردي.
- ١٠٦ - غرر الحكم ودرر الكلم : تأليف عبد الواحد الأدمي التميمي - منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - الطبعة الاولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٠٧ - غريب القرآن وتفسيره : لأبي عبد الرحمن بن المبارك البازري (٢٣٧هـ) - تحقيق محمد سليم الحاج - عالم الكتب - الطبعة الاولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٠٨ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
- ١٠٩ - فتح القدير (تفسير) : للشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ) - دار احياء التراث العربي.
- ١١٠ - فتح الملك العلي - بصحبة حديث باب مدينة العلم على : لأحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي (١٢٨٠هـ) - تحقيق محمد هادي الأمين - مكتبة أمير المؤمنين (ع).
- ١١١ - الفتوح : لابن أثيم الكوفي (٣١٤هـ) - دار الكتب العلمية - الطبعة الاولى - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١١٢ - فتح البلدان : للبلذري (٢٧٩هـ) - تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع - مؤسسة المعارف - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١١٣ - فرائد السمعطين في فضائل المرتفع والبتول والسبطين : للمحدث ابراهيم بن محمد بن المؤيد الجوني (٦٤٤ - ٧٣٠هـ) - تحقيق محمد باقر المحمودي - مؤسسة المحمودي - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ١١٤ - الفردوس بتأثر الخطاب : للديلمي (٤٤٥ - ٥٠٩هـ) - دار الكتاب العربي - الطبعة الأولى.
- ١١٥ - الفرق بين الفرق : لمبد القاهر الاسفرايني (٤٢٩هـ) - تحقيق محمد محى الدين عبد

- الحمد - دار المعرفة.
- ١١٦ - الفصل في الملل والتّحلل: لابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ) - منشورات مكتبة المثنى ببغداد.
- ١١٧ - الفصول المهمة: لابن الصياغ المالكي (٨٥٥هـ) - مطبعة العدل في النجف - نشر مكتبة دار الكتب التجارية في النجف الأشرف.
- ١١٨ - فضائل الصحابة: للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) - مركز البحث العلمي وأحياء التراث الإسلامي بمنطقة المكرمة - الطبعة الأولى - ١٤٠٣ - م. ١٩٨٣.
- ١١٩ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: للشو كاني (٢٥٠هـ) - تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني - اشراف عبد الوهاب عبد اللطيف - مطبعة السنة المحمدية - م. ١٣٩٨ - ١٩٨٧.
- ١٢٠ - الكافي: للشيخ الكليني الرازى (٣٢٨هـ) - تصحیح الشیخ نجم الدین الاملى - منشورات المكتبة الاسلامية.
- ١٢١ - الكامل في التاريخ: لابن الأثير (٥٥٥هـ - ٦٣٠هـ) - دار صادر - ١٤٠٢ - م. ١٩٨٢.
- ١٢٢ - كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون: لحاجي خليفة - منشورات مكتبة المثنى ببغداد.
- ١٢٣ - كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: للكنجي الشافعى (١٥٨هـ) - تحقيق هادى الأميني - دار أحياء تراث أهل البيت - الطبعة الثالثة.
- ١٢٤ - كنز العمال: للمتنقى الهندي (٩٧٥هـ) - مؤسسة الرسالة - الطبعة الخامسة - ١٤٠٥ - م. ١٩٨٥.
- ١٢٥ - لباب التّقول في أسباب النزول: للسيوطى (٩١١هـ) - دار أحياء العلوم - بيروت - الطبعة الرابعة - ١٤٠٣ - م. ١٩٨٣.
- ١٢٦ - لسان العرب: لابن منظور (٦٣٠ - ٧١١هـ).

- منهج في الإنماء المذهبي ١٢٧
- ١٢٧ - لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت
الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- ١٢٨ - مآثر الانافة في معالم الخلافة: للقلقشندی (٧٥٦ - ٨٢٠هـ) - تحقيق عبد الستار
أحمد فراج - عالم الكتب.
- ١٢٩ - مجلة العالم: العدد ٣٣٦ - سنة ١٩٩٠ .
- ١٣٠ - مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الطبرسي (٥٤٨هـ) - دار المعرفة -
الطبعة الاولى - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٣١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لأبي بكر الهيثمي (٧٣٥ - ٨٠٧هـ) - دار الكتاب
العربي - الطبعة الثالثة - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٣٢ - المحاسن والمساوئ: لابراهيم بن محمد البهيفي (٢٣٠هـ) - دار بيروت للطباعة
والنشر - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٣٣ - المراجعات: لعبد الحسين شرف الدين الموسوي - منشورات قسم الدراسات الاسلامية
الطبعة الثالثة - ١٤٠٨هـ.
- ١٣٤ - مروج الذهب: للمسعودي (٣٤٦هـ) - تحقيق يوسف أسد داغر - منشورات دار
الهجرة - الطبعة الثانية - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٣٥ - المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري (٣٢١ - ٤٠٥هـ) - طبع حيدر آباد
- الهند.
- ١٣٦ - مستند الإمام أحمد بن حنبل: (٢٤١هـ) - دار الفكر - بيروت.
- ١٣٧ - مستند الحُميدي: لأبي بكر عبد الله بن الزبير القرشي الحميدي (٢١٩هـ) - تحقيق
حبيب الرحمن الاعظمي - مطبعة دائرة المعارف - حيدرآباد - الهند - ١٣٨٠هـ.
- ١٣٨ - مستند أبي يعلى: لاحمد بن علي التميمي، أبي يعلى الموصلي (٢١٠ - ٣٠٧هـ) -
تحقيق حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث - الطبعة الثانية - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- ١٣٩ - مصابيح السنة: للبغوي (٤٤٣ - ٤٥٦هـ). - تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي و محمد سليم سمارة و جمال حمدي النعيمي . دار المعرفة . الطبعة الاولى - ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.
- ١٤٠ - مصادر نهج البلاغة وأسانیده: للسيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب . دار الأضواء . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٤١ - المعارف: لابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) . دار الكتب العلمية . الطبعة الاولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٤٢ - معالم التنزيل في التفسير والتأويل: للبغوي (٥١٠هـ) . دار الفكر . ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.
- ١٤٣ - معاني القرآن: للأخفش (٢١٥هـ) . تحقيق الدكتور عبد الأمير محمد أمين الورد . عالم الكتب . الطبعة الاولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٤٤ - معجم الأدباء: لياقوت الحموي (١٢٦هـ) . مطبوعات دار المأمون.
- ١٤٥ - معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالـة . دار احياء التراث العربي.
- ١٤٦ - المغازي - من تاريخ الاسلام - للذهبي (٧٤٨هـ) . تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٤٧ - المغازي: للواقدي (٢٠٧هـ) . تحقيق د. مارسدن جورنسن . عالم الكتب . الطبعة الثالثة . ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١٤٨ - مقالات الاسلاميين: لابي الحسن الاشعري (٣٣٠هـ) . تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد . الطبعة الثانية . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٤٩ - المقالات والفرق: لسعد بن عبد الله الاشعري (٢٩٩هـ) . تحقيق محمد جواد مشكور.
- ١٥٠ - المقتضب: لابي العباس المبرد (٢٨٥هـ) . تحقيق محمد عبد الخالق عصيـمة . عالم

الكتب .

- ١٥١ - مقتل الإمام الحسين : للخوارزمي (٥٦٨ هـ) - الطبعة الأولى .
- ١٥٢ - الملل والنحل : للشهرستاني (٥٤٨ هـ) - مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة الثانية .
- ١٥٣ - مناقب الإمام علي بن أبي طالب : للخوارزمي (٥٦٨ هـ) - الطبعة الأولى .
- ١٥٤ - مناقب الإمام علي بن أبي طالب : لابن المغازلي (٤٨٣ هـ) - دار الأضواء - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ١٥٥ - المنتخب من كنز العمال : للمتنبي الهندي (٩٧٥ هـ) بهامش مستد أحمد - دار الفكر .
- ١٥٦ - منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة : للقطب الرواندي (٥٧٣ هـ) تحقيق السيد عبداللطيف الكوهكيري - ١٤٠٦ هـ .
- ١٥٧ - الموطأ : للإمام مالك بن أنس (١٧٩ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار أحياء التراث العربي - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .
- ١٥٨ - ميزان الاعتدال : للذهبي - تحقيق علي محمد البجاوي - دار المعرفة - الطبعة الأولى .
- ١٥٩ - الميزان في تفسير القرآن : للسيد الطباطبائي - الطبعة الثانية - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
- ١٦٠ - نهج البلاغة : تحقيق الدكتور صبحي الصالح - منشورات دار الهجرة .
- ١٦١ - نهج البلاغة : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الجيل .
- ١٦٢ - نهج البلاغة : شرح الشيخ محمد عبده - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - مطبعة الاستقامة .
- ١٦٣ - نور الأبصار : للشبلنجي (القرن الثالث عشر الهجري) - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٦٤ - النور المشتعل : المقتبس من كتاب ما نزل من القرآن في علي عليه السلام - لابي نعيم الأصفهاني - جمع وتحقيق محمد باقر المحمودي - الطبعة الأولى .
- ١٦٥ - النهاية في غريب الحديث والأثر : لابن الأثير الجزري (٦٠٦ هـ) - تحقيق محمد

- الظاهري ، طاهر أحمد الزاوي - المكتبة الإسلامية - الطبعة الأولى - ١٢٨٣ هـ .
- ١٦٦ - هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين : لإسماعيل باشا البغدادي - منشورات مكتبة المثنى - بغداد - بالأوفست من طبعة استانبول سنة ١٩٥١ م .
- ١٦٧ - وفيات الأعيان : لابن خلkan (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) - تحقيق الدكتور أحسان عباس .
- ١٦٨ - وسيلة المتعبدین (سيرة الملا) : لابي الحفص عمر بن محمد الملا الموصلي (٥٧٠ هـ) - طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية - بجیدرآباد الدهن - الهند - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ١٦٩ - وقعة صفين : لنصر بن مزاحم المتنري (٢١٢ هـ) - تحقيق عبد السلام محمد هارون - المؤسسة العربية الحديثة - مصر - الطبعة الثانية - ١٣٨٢ هـ .
- ١٧٠ - ينابيع المودة : للقندوزي الحنفي (١٢٢٠ - ١٢٩٤ هـ) - طبع اسطنبول - ١٣٠٢ هـ .

المحتوى

٧	دعاة
٩	لماذا هذا الكتاب ؟
١٥	الانتساع المذهبي بين الواقع والمسؤولية
٢١	هكذا كانت البداية
٢٥	مدخل في فضائل أهل البيت عليهم السلام
٢٥	آية المباهمة
٢٧	آية التطهير وحديث الكسام
٣١	القرآن الكريم يأمر بموذتهم
٤٠	ويوجب الصلاة عليهم
٤١	ويبشرهم بالجنة والرضوان
٤٢	علي وارث حلم النبي
٤٢	وأحب الخلق إلى الله
٤٣	وأخصهم برسول الله
٤٤	علامة الإيمان
٤٥	الصديقون ثلاثة

٤٥	والشبق ثلاثة
٤٦	في بيوت أذن الله أن تُرتفع
٤٧	لا بدّ من إمام
٤٩	الإمامية في القرآن
٥١	وفي السنة
٥٢	إثنا عشر إماماً
٥٤	وفي الإجماع
٥٧	من هو الإمام؟
٥٩	آراء المذاهب في الإمام
٥٩	أولاً : مع المذاهب الأربعة
٥٩	أبو حنيفة
٦١	مالك بن أنس
٦٢	الشافعى
٦٢	أحمد بن حنبل
٦٣	ثانياً : المعترضة
٦٤	ثالثاً : الزيدية
٦٤	رابعاً : الإمامية الإثنا عشرية
٦٧	الله تعالى يقول ورسوله يتحدّث
٦٧	١ - حديث الثقلين
٧٤	٢ - حديث المنزلة
٧٦	٣ - أنت مئي وأنا منك
٧٦	٤ - أما أنت يا علي أنت صفتني وأميّنني

٧٧	٥ - تبليغ سورة براءة
٧٩	٦ - حديث الدار - أو قصة الإنذار -
٨٥	الوصي
٩١	٧ - حديث الغدير
٩٧	قصص الشكاوى : القصة الأولى
٩٨	القصة الثانية
٩٩	القصة الثالثة
١٠٤	الشهادة الكبرى - أو البيعة الثانية -
١١٠	معنى المولى
١١٠	١ - من أئمة اللغة
١١٣	٢ - من أئمة التفسير
١١٣	٣ - ومن غيرهم
١١٤	٤ - وفي الحديث النبوى الشريف
١٢٤	نصوص أخرى في الولاية
١٢٨	٨ - قوله تعالى : (إنما ولتكم الله ورسوله...)
١٣٣	٩ - آياتان في القرآن : الآية الأولى
١٤٤	الآية الثانية
١٥٠	١٠ - الولاية أيضاً
١٥٣	١١ - النجاة
١٥٥	١٢ - الأمان
١٥٧	أصحاب الحق يتكلّمون
١٥٧	نوح البلاغة

- القسم الأول : في معرفة الامام وال الخليفة
- ١٦٠ - قوله يصف عترة النبي (ص)
- ١٦١ - احتجاجه عليه السلام
- ١٦٢ - كلامه في شرح سبيل النجاة
- ١٦٣ - في رسول الله وأهل بيته
- القسم الثاني : في التصریح بحقه في الخلافة
- ١٦٤ - من خطبة بعد انصرافه من صفين
- ١٦٤ - قوله لمن أشار عليه ألا يتبع طلحة والزبير
- ١٦٥ - جوابه لبعض أصحابه
- ١٦٥ - مناظرة له مع بعض الصحابة
- ١٦٦ - في الخلافة والصحابة والقرابة
- ١٦٧ - الخطبة الشفافية
- ١٧٣ - ثُمَّ انزوى الحق
- ١٧٥ - وراء السقافة
- ١٨١ - ومع الزهراء عليها السلام
- ١٨٤ - عقیدتها في الخلافة
- ١٨٥ - وغيرهم أيضاً دعا
- ١٨٦ - كلام صادق اللهجة أبي ذر
- ١٨٧ - المقداد بن عمرو
- ١٨٧ - وحتى معاوية
- ١٨٩ - من دلائل النبوة
- ١٩١ - مجمل ما لقي أهل البيت وقصة الوضع في الحديث

١٩٣	فصول القصة
٢٠١	قصة الوضع في الحديث
٢٠٨	نماذج من الموضوعات
٢٠٨	أولاً : في المطاعن
٢١١	ثانياً : المناقب المصنوعة
٢١٤	أول من أسلم
٢١٧	على تلك الخطى
٢١٧	أولاً : مع حديث الطير
٢١٨	ثانياً : مع حديث مدينة العلم
٢٢٠	ثالثاً : محنة الاعمش
٢٢٣	من هو الاعمش
٢٢٤	رابعاً : محنة النساء
٢٢٥	خامساً : في الجرح والتعديل
٢٢٧	في العيزان
٢٢١	بين الصحابة
٢٢٣	الصحابة(رض) يبايعاز
٢٣٦	الحكم لله أولاً
٢٣٧	والحكم لرسوله ثانياً
٢٣٨	حديث الحوض
٢٤٠	حديث الإنك
٢٤١	المغيرة بن شعبة أيام معاوية
٢٤٢	وعمر وبن العاص

٢٤٥	ومعاوية من هو؟
٢٤٧	وأبو هريرة
٢٤٩	عبد الله بن الزبير أميراً
٢٥٠	سُمْرة بن جنْدَب
٢٥٢	معاوية بن خديج
٢٥٣	فتنة الجمل
٢٦١	يُوم الخميس وما يوم الخميس!
٢٦٣	كاد الخيران أن يهلكا
٢٦٧	بعثة أسامة
٢٧١	حوار
٢٧٣	أسئلة حرة
٢٧٥	أول سيدة في الإسلام
٢٧٧	خير القرون
٢٧٩	إخوان الرسول
٢٨١	حديث أصحابي كالنجوم
٢٨٥	حديث العشرة المبشّرة
٢٩٤	معالم أخرى
٢٩٤	مع أبي ذر
٢٩٤	وعبد الله بن مسعود
٢٩٥	وعمار بن ياسر
٢٩٥	وعبادة بن الصامت
٢٩٦	المجتهد المُخطئ

٢٩٩	براءة الرسول
٣٠٢	عهود الخلاقة
٣٠٥	عمر وابن عباس
٣٠٩	الهالة المصطنعة
٣١٥	خاتمة المسير
٣١٧	وقنة
٣١٩	دروس ومواعظ
٣٢٣	لابد من جواب
٣٢٧	لماذا هذا الجفاء ؟
٣٢٧	السجود على التربة
٣٢٨	مسح القدمين
٣٣٠	التوحيد الحالص
٣٣٢	تنزيه الأنبياء
٣٣٣	الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٣٣٥	سر الجفاء
٣٣٧	أزمة الحق